رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المنهزمون

دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة

يوسف العظم

دار الصباح

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

يوسف العظم

المنهزمون

دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة

ISBN 9957-05-144-X (ردمك)

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الضياء للنشر والتوزيع

عمّان – الأردن

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٢٧ - ٢٠٠٦

صمم الغلاف

أنس أحمد الجدع

الإهداء

إلى ...
الذين اهتدوا ليزدادوا هـدى والمـضللين لعلهـم يرجعون.

إلى ...
هؤلاء وأولئك من أبناء أمة القرآن وبناتها مـن أجيـال الغد المرتقب ؛ عسى أن يلتقوا على طريق " الإيمـان والمعرفة " معاً ، لا طريق الضياع الذي أغرق الأمـة في متاهة من التمزق والبوار!!
إلى الجيل الذي أرجو أن يحمل الراية فـي غيـر ضعف ولا خور ، ليقود العالم من جديد نحو " حضارة التوحيد " المشرقة " وسلام الإيمان " العزيز !

يوسف العظم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار الضياء للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

ص.ب ٩٢٥٧٩٨ الرمز ١١١٩٠

هاتف وفاكس ٥٦٧٨٥٠٢

الموقع على الإنترنت www.daraldia.com

البريد الإلكتروني info@daraldia.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٦/٥/١٢٨٣

٣٠٦,٢

العظم ، يوسف

المنهزمون : دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة / يوسف هويمل العظم. _عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦

(٢٧٢ ص).

ر.إ. (٢٠٠٦/٥/١٢٨٣).

الواصفات : // الفكر // الثقافة السياسية // الثقافة الجماهيرية // الفكر الإسلامي //الوعظ والإرشاد // الحضارة العربية /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل ٢٠٠٦/٥/١٢١٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب .. لماذا ؟

قبل أن أمضي في موضوع " لماذا " .. عنوان مقدمتي هذه ، لا بد أن أبين أن الإسلام في نظر "الإسلاميين " منهاج حياة متكامل ، يتناول جوانب العبادة والقيادة والسياسة والأخلاق والاقتصاد والتربية والاجتماع ، ونظم الحرب والمعاهدات والعلاقات الدولية وما إلى ذلك من شؤون العالم وأنظمة الكون وحياة الإنسان !

وأن مثل هذا التصور وهذا الفهم المتكامل لرسالة الإسلام هو الذي جر على " الإسلاميين " كثيراً من العذاب ، وأذاقهم على يد خصومهم الويلات والمصائب ، وأوقعهم في كثير من المحن والكوارث !

ويقيني .. لو اكتفى الإسلاميون بالتقوقع في مساجدهم والإنطواء على نفوسهم يصلون ويسبحون ويصومون ويحجون ، دون أن يخرجوا إلى الناس يوقظون فيهم الوعي ويبعثون الهمم والعزائم ، لما التفت الفكر الأجنبي والعدو الغاصب لما يفعله أولئك ، بل لتركوهم وحدهم يذوبون فوق أعواد المنابر وفي ظلال المحاريب !..

إن كل عذاب يوقعه الخصوم بالمسلمين وكل التحديات التي يواجهها الإسلام إنما تقوم بسبب إعلان " الإسلاميين " إيمانهم بالمنهج الإسلامي المتكامل ، ودعوتهم إلى تطبيقه في واقع الحياة ، واعتبارهم من يرفض ذلك أو يحول دون تحقيقه معوِّقاً متخاذلاً متخلفاً عن جانب هام من جوانب العقيدة الإسلامية وهو التطبيق العملي في واقع الحياة .

و " الإسلاميون " إذ يرون مثل هذا الرأي فإنهم لا يختلقونه اختلاقاً .. ولا يستمدونه من خيال خصيب ، إنما يطالعونه كلما رددوا من الكتاب الكريم آيات ،

وتلوا منه سوراً ، وفهموا منه أحكاماً ، إذ يندر أن يجد المؤمنون في القرآن آية إيمان لا يعقبه عمل .. ودعوة إيمان لا يتلوها تضحية .

ومن الملاحظ والمعلوم أن الدعوة للإيمان في القرآن والسنة يعقبها التزامات عملية وسلوك في واقع الحياة ، يخطط له الإسلام ويوجهه ، ليكون المسلم قمة في التوفيق بين ما يؤمن به وما يقوم بتنفيذه ويحياه !

ومن الالتزامات التي يُدعى المؤمن إليها أن يكون تقياً يؤدي ما عليه من فروض وطاعات تعبدية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1].

ثم هو مكلف أن ينفق مما رزقه الله عن طيب خاطر وبكل رضى ، يشعر معه أنه يؤدي رسالة إنسانية ويخدم أمته في مجال هو قادر عليه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [2].

ومما يُدعى إليه المؤمن بعد إيمانه أن يكون وفياً لعهده ، منفذاً لعقده ، محترماً لكلمته :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ ﴾ [3].

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٥٤ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١ من سورة المائدة .

ولا يتم إيمان المؤمن إلا إذا كان صادقاً حتى مع خصومه عادلاً حتى مع أعدائه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

والمؤمن مدعو إلى الثبات على الحق والوقوف ببسالة نادرة وشجاعة فذة في وجه الطاغوت مهما تعددت ألوانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾(٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣)

ويؤكد الإسلام خسارة الإنسان الكبرى في حياته إن لم يكن من المؤمنين الأبرار ، الذين يعملون الصالحات ويتواصون بالحق قولاً وعملاً وبالصبر المثمر الإيجابي الذي يرفض الباطل ويأبى الهوان :

---

(١) الآية ٨ من سورة المائدة .

(٢) الآية ١٥ من سورة الأنفال .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الأنفال .

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1].

ويبلغ المؤمن الذي يعمل الصالحات قمة الرضوان حين يختاره الله إلى جواره ويتخذه شهيداً من المقربين :

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2]

ومع قيام المجتمع الإسلامي المسلم والأمة المؤمنة الحقة ، فإن جزاء لبناتها الصالحة على الله لا يبخسهم حقاً ولا يظلمهم فتيلا . إنه جزاء صاحب الفضل في أعمق معاني الرضوان والبر والمرحمة ، يغمر به عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات في صدق ووفاء وثبات وتضحية :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة العصر .

(٢) الآية ١٤٠ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٥٧ من سورة آل عمران .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3] .

وليس للمؤمنين الخيار في أن يسلكوا مثل هذا السبيل ويستجيبوا لمثل هذه الدعوة . دعوة التوافق بين الإيمان والعمل والفكر والسلوك والعقيدة الصافية والخلق النظيف .. ليس لهم الخيار إلا إذا مسخوا إسلامهم ومبادئهم – كما فعل غيرهم – شعارات جوفاء ، ونداءات تفقد معناها وتصبح هراء لا طائل تحته ، ولغواً يذهب جفاء .

إن كلمة لا إله إلا الله هي قاعدة الأساس في دين التوحيد ، ولكن الجهاد من أجل تثبيت تلك القاعدة ووضعها موضع التنفيذ هو ذروة سنام الإسلام . ومن هنا فلا يقبل من المسلم أن يكون سلبياً متخاذلاً غير فعال ولا مؤثر فيمن حوله من الناس وما حوله من نظم الحياة وطرق المعيشة .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٩ من سورة المائدة .

(٣) الآية ١٩ من سورة السجدة .

إن بين الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل إعلائها ونشرها تلاحماً لا يمكن تمزيقه ، ووثاقاً لا يمكن فصم عراه ، إلا إذا قصد للإسلام أن يكون كلمات خاوية ومعتقدات محنطة لا روح فيها ولا حياة ولا تطبيق لها أو تنفيذ في واقع المجتمعات بين الخلق والناس .

وإذا أخذ كثير من (المنهزمين) أمام الزحف الأجنبي الضاري ، (الهاربين) من تراث أمتهم وأمجاد ماضيهم على " الإسلاميين " – ظلماً وتجنياً – إصرارهم على إيمانهم وما ينبثق عنه من عمل ،و تمسكهم بعقيدتهم وما ينبثق عنها من تطبيق ، فإن " الإسلاميين " يأخذون بحق على " المنهزمين " هذا الضعف وهذه الاستكانة عند أقدام الدخيل وبين يديه ، ولا يفرقون بين دخيل يطأ الأرض بحذائه أو يسحق التراث باستعلائه .. سواء أكانت وسيلته في ذلك (بندقية) تصفي الجسد أم (كتاباً) مهمته تصفية تراث الإسلام وفكر القرآن وحضارة التوحيد ؟!

لقد عرف المجتمع الإسلامي كثيراً من " المنهزمين " . منهم من عاد إلى الله وأعلن التوبة واستقام على الطريق .. ومنهم من لقي الله بنكوصه وهزيمته ، وبعض أولئك من ظل يلهث وراء الدخيل من الفكر ، المستورد من التراث دون أن يبلغ ما يريد من المجد الزائف والسراب الخادع ؛ لأنه حجر على رقعة الشطرنج العالمي الكبير ، تحركه رؤوس مدبرة وعقول تعرف متى وكيف تحركه من أجل هدف معين وغاية محدودة ...

لقد أعلن طه حسين يوماً رأيه في قصص القرآن[1] ، وطعن في صحة بعض ما جاء في القرآن الكريم ، ونفى وجود إبراهيم وإسماعيل عيهما السلام ، وأنكر حادث بناء الكعبة . ولم يكن " لعميد الأدب العربي " دليل على دعواه أكثر من حب المخالفة والرغبة في الخروج على المعتقدات التي تسود مجتمع شاب بهرته الثقافة الفرنسية وأحب أن يشار إلى قبعته بالبنان في بيئة غاصة بالطرابيش والعمائم !

ونسي الناس كتاب " في الشعر الجاهلي " .. وعاد طه حسين عن كل ما كتبه من شطحات يعلن في عدد من كتبه صفاء عقيدته وارتباطه بالفكر الإسلامي ، ويؤكد للدنيا جميعاً أن أية وحدة بين أجزاء الوطن العربي لا يمكن أن تقوم على غير القرآن:

" وإذا كان هناك الآن وحدة إسلامية عامة أو شيء يشبه هذه الوحدة فبفضل القرآن وجدت وبفضل القرآن ستبقى ، مهما تختلف الظروف وتدلهم الخطوب ... وإذا كانت هناك وحدة يحاول العرب أن يعودوا إليها ويقيموا عليها أمرهم في الحياة الحديثة كما قامت عليها حياتهم القديمة ؛ فالقرآن هو أساس هذه الوحدة الجديدة كما كان أساساً للوحدة القديمة "[2].

ويشير الدكتور طه حسين إلى روعة القرآن وعظمة الرسالة الإسلامية وخلودها من خلال قول الله تعالى :

---

(١) الكتاب : في الشعر الجاهلي (طه حسين) ص١٩ ، ٢٧

(٢) مرآة الإسلام لطه حسين طبعة ١٩٥٩ ص١٦١ .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

حيث يقول :

" فهذه الآية الكريمة التي أنزلت وتلاها النبي صلى الله عليه وسلم على قوم من العرب كانوا يخرجون من جاهليتهم ويدخلون في الإسلام ، فهم حديثو عهد بالكفر وحديثو عهد بالعصبية القديمة ، وحديثو عهد بتفرق القبائل واختصامها واحترابها لأيسر الأمور وأهونها شأناً . هذه الآية الكريمة ما زالت قائمة بعد قريب من أربعة عشر قرناً وستظل قائمة . وهذا الأمر للمسلمين بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا ، لم ينقض بانقضاء عهد الخروج من الجاهلية والدخول في الإسلام ، وإنما هو قائم دائماً ما دام في الأرض مسلمون . فمثل هذا الأمر في القرآن لا يخص قوماً بأعينهم ولا عهداً بعينه ولا مكاناً بعينه ، وإنما هو أمر شامل عام واجب الاحترام في كل زمان وفي كل مكان .

" والعرب أجدر الناس أن يفهموه وينفذوه ، فهو أنزل فيهم وأنزل في لغتهم واتجه إليهم أول ما أنزل " [2] .

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٢) مرآة الإسلام لطه حسين طبعة ١٩٥٩ ص١٦٢ .

وكان الشيخ علي عبد الرازق قد أصدر من قبل كتاب " الإسلام وأصول الحكم " فرحبت أوساط أدعياء العلمانية والعقلانية بالكتاب الذي ينكر صاحبه على المسلمين فهمهم الشامل المتكامل لرسالة الإسلام ، ويصر على مزاعمه بأن الإسلام مجرد دعوة دينية روحية لا علاقة له بالحكم أو السياسة ، ولكي يثبت الشيخ جرأته ويعلن عقوقه للأزهر والثقافة الإسلامية زعم أن جهاد النبي عليه السلام كان في سبيل الملك لا سبيل الدين ، وأن إبلاغ الدعوة للعالم ليس وظيفة شرعية يطالب بها المسلمون ...

وانتهت مزاعم الشيخ " المتفرنج " كما انتهت مزاعم الكثيرين من الباحثين عن الشهرة ولو على حساب دينهم وتراث أمتهم ، وظل القرآن سامقاً يتكسر عند إعجازه وشموخه كل غثاء الأدعياء ولغو الضائعين !

ووقف خالد محمد خالد يعلن غثاء من الآراء والأفكار المستوردة حتى قال عن ستالين يوم وفاته ما قاله الصدِّيق عليه الرضوان للرسول الأمين .. لقد قال خالد محمد خالد يؤبن ستالين :

طبت حياً وميتاً أيها الرفيق ![1]

ثم عاد يعلن في عدد من كتبه أصالة الخير وفطرة الإيمان في نفسه ، فقدم للمكتبة العربية عدداً من الكتب القيمة التي ترفض الطفيلي من الفكر والغثاء من الثقافة ..

---

(١) جريدة الجمهورية بالقاهرة صبيحة موت ستالين .

إنها عقدة " الإفرنج " التي تلاحق أبناء هذه الأمة المستضعفة ، عقدة الأمة المغلوبة تتوارى خجلاً كلما بهرها بريق الأضواء وأصم آذانها دوي الآلة وهدير الصاروخ ، وهو خلط بين العلم والثقافة ، وبين المدنية والحضارة ، لا يقع فيه إلا جاهل أو مضبوع عبر سنين طويلة من عمليات غسيل الدماغ وإحلال مزيج من الثقافة الهادفة الهادمة .

وحمل " يساري الأمس القريب " الدكتور مصطفى محمود راية الكفر وقاد دفة الإلحاد في بحر لجي من لغو الصحافة وهذيان الأقلام .. ثم عاد اليوم يكتب تفسير القرآن بروح المؤمن وأسلوب الأديب ، ونحن وإن كنا لا نقر الدكتور مصطفى محمود على كل ما ذهب إليه من مفاهيم في تفسيره أو محاولته للتفسير إلا أننا نعتبر إيمانه انطلاقة سليمة وخطوة أولى على طريق الاستنارة الفكرية والإيمان الخالص والعمل البناء ، الذي نرجو أن يؤتي أطيب الثمرات بإذن الله .

وإذا كان صادق العظم قد طلع علينا بكتابه " نقد الفكر الديني " فإن كتابي هذا ليس رداً على كتابه ، بل هو رد على " الفكر المنهزم " في المجتمع العربي والديار الإسلامية كافة ، لأن أفكار الكتاب نقطة من طوفان الزحف الشرقي الأحمر والغزو الغربي الأسود والهدف والغاية منهما: أن تمزق راية الإسلام ، وأن تشرد جموع المؤمنين ، وأن تخلو الساحة للدخيل .. سواء أكانت الغلبة في النهاية للوافدين من لندن وواشنطن أم من موسكو وبكين !

إننا في نقاشنا الهادئ هنا ودراستنا الموضوعية لا نرد على " حجارة الشطرنج " العربية التي تتناقلها الأيدي الأجنبية بلا إرادة ولا وعي ، ولكنا نرد

على المتآمرين مع اللاعبين المحترفين الذين يخططون ، والعقول المدبرة التي تتصرف بحقد جذري وكراهية أصيلة ، يستوي في ذلك أساطين الفكر اليساري المادي الملحد أو الحضارة الغربية المتفسخة ، لأن كلا " السيدين " لا يبعث لأتباعه والمؤمنين به ، ولا يورد غير " الفلسفات " و " الأفكار " التي تعمل مجتمعة أو متفرقة على حرب "الإسلام " ومطاردة أتباعه ودعاته من الساحة العربية والعالمية .

إن " الشرق " و " الغرب " على يقين أن الإسلام يجري دماً في عروق أبنائه ، وينتفض نبضات في قلوب أتباعه ، ولذا فإنهم يمدون أيديهم بالعون حتى للدُمَى في ديار الإسلام بمقدار محدد ومدروس خشية أن يستيقظ النيام وأن يصحوا المخدرون ..

إننا لم نسمع عن " يساري عربي " واحد — وهذه ظاهرة تستحق الدراسة والبحث — أبدع في مجالات العلم والتكنولوجيا ، وحلّق في أجواء الفضاء أو دنيا المختبر ، بحيث يعود على أمته بالنفع العلمي والفائدة التكنولوجية ، ولكنا نسمع كثيراً من الهراء والخلط والتهجم أو الاصطلاحات المعماة والتسميات العائمة ، التي توحي أن اليسار العالمي لا يورِّد لليسار العربي غير الفكر والثقافة والفلسفات المنحرفة تماماً كما تمنحنا أمريكا وتثقف كثيراً من أبنائنا في مجالات الإدارة والفلسفة والتربية وعلم النفس ، وتحول بينهم وبين الإبداع في مجالات الفيزياء وميادين الذرة والفضاء واختراع الآلة .

والسؤال الذي يطرح نفسه ويفرض وجوده الآن هو : كم عدد الذين رحبت بهم جامعات " الشرق الأحمر " من أبناء البلاد العربية المتحررة ليختصوا في مجالات الذرة والفضاء ؟!

أم أن الثقة متبادلة بين " العقول " و " الدمى " في حدود فكر يستورد ، وثقافة تنشر ، وعقيدة هادفة تعمل على اجتثاث عقيدة التوحيد من الجذور ؟

إننا نواجه أحدث نموذج للاستعمار الحديث المتمثل في الفكر المستورد والثقافة الوافدة ، وقد ولّى زمن الاستعمار العسكري الذي يجثم على الأرض وفي المعسكر ، واستولت أمريكا مع الاتحاد السوفيتي في أنها لا ترغب في غير التأثر بالفكر والثقافة والخضوع للاقتصاد والسياسة ، مثلما يرغب الاتحاد السوفيتي صديق الشعوب في أن تكون تلك الشعوب على علاقة به عميقة ، تؤمن بفكره ، وتطبق مبادئه ، وتعمل على غرس ثقافته في كل حقل من الحقول الإنسانية المتعددة .

لقد بدأت أمريكا تحمل أمتعتها وتقتلع أطناب خيامها العسكرية وقواعدها الحربية من كثير من بقاع الأرض ، لأن عصر الصواريخ عابرة القارات هو الذي حل محل عصر القواعد ومخططات " احتلال الأدمغة " هي التي صارت بديلاً من مخططات احتلال المواقع الجغرافية في أرجاء المعمورة .

إننا اليوم في وضع نتألم فيه أن نظل عالة على الأجنبي في استيراد " الآلة " و " الجهاز " ، فكيف لا يكون من العار أن نظل حقلاً للتجارب ، ومدرسة للتطبيقات، نستورد الفكر مع الآلة والثقافة مع الجهاز ، ونحن أصحاب الفكر الأعمق والثقافة الأعرق والينابيع الثرة التي أوصلتنا إلى قيادة سفينة العالم وإنقاذ شعوب الإنسانية .

إننا لا نرفض " العلم " حيثما يكون مصدره ، فلقد وردّناه إلى الغرب يوماً عبر الأندلس والحروب الصليبية ، ومن خلال جامعات قرطبة والقاهرة وبغداد

ونيسابور ، ولكنا نرفض استيراد الفكر الذي دفع بالغرب إلى القلق والضياع ، والثقافة التي أوصلت الشرق إلى الكفر والإلحاد . وكتاب " صادق العظم " ليس إلا نموذج من تلك البضاعة المرفوضة والسلع التي يروج له عميل منتفع لمصنع أجنبي غريب !

إن كتابي هذا رد على كل ما يجتره دعاة الشرق والغرب وعبيد الفكرين الرأسمالي والشيوعي على حد سواء ، لأن كلا المعسكرين لا يريد بنا إلا الهزيمة ، ولا ينوي لنا إلا أن نكون أتباعاً نحسن التقبل والتأثر والسير وفق ما يملى علينا وما يوحى إلينا ، حتى نكون في ذيل إحدى القافلتين الكبيرتين .

إنه ليعجبني بمرارة وألم تصوير برنارد لويس لقضية فلسطين العربية المسلمة في كتابه

" الغرب والشرق الأوسط " بقوله :

" قضية الشرق الأوسط يقوم فيها الغرب بدور الطبيب الجراح " .

والذي يبدو لي أن الشرق أو الطبيب الجراح بدأ يمد يد العون للسيكلوجية الأمريكية المخدرة أو للطبيب المخدر كما وصفه برنارد لويس ، حيث بدأ الشرق يقدم رأيه ومشورته حتى في مرحلة التخدير قبل بدء العملية الجراحية ، وكلنا ما زال يذكر أقوال بودغورني وهو يقوم بزياراته للعالم العربي المتحرر ، وهي تسمية ساخرة تبلغ فيها السخرية مداها إذا كان من علامات التحرر أن تسبح القوات الإسرائيلية في مياه قناة السويس ، وأن تتزلج على ثلوج هضبة الجولان ...

لقد قال بودغورني : ما دخلت بلداً عربياً إلا وكان ناراً تتلظى ، وما خرجت منه إلا وقد أخلد للهدوء والسكينة والتعقل !...

إن أعمق معاني الهزيمة في حياة " الإنسان " تلك التي تنبع من داخله لتفيض على جميع مشاعره النفسية وكل مظاهر السلوك الحياتي لديه .. وأخطر ما في هذا النوع الرهيب من الهزيمة أن صاحبه لا يشعر به ولا يعترف ، لأنه مخدر الذهن ، مسلوب الإرادة ، معبأ بما يحسبه الرفعة والمجد والظفر .. وهو يحيا في أجواء من الغرور لا يملك معها أن يفسح لغيره حواراً ، لأنه يطل على من حوله من بروج الاستعلاء التي لا تؤمن إلا بعبودية الفكر وقهر الإنسان !.

والشعوب المهزومة مجموعة من الأفراد الذين تنبع الهزيمة من داخلهم ولا يشعرون .. ومن هنا كانت هزيمة الخامس من حزيران البشعة .. تلك التي تضعنا أمام حقيقتين رهيبتين !

الأولى : أن " الهزيمة الحزيرانية السوداء " لم تكن عسكرية كما يتوهم الكثيرون ويصرون، وإنما هي هزيمة نفسية تربوية فكرية شملت الأمة جميعها ، وطبعت الجيل بأكمله ، فانعكست آثارها العميقة على الهزيمة العسكرية الخارجية، التي هي مظهر من مظاهر هزيمة مدمرة كانت تعيش في داخلنا وتعمل في ميادين العقل والقلب والنفس !

والثانية : أن الإسلام لم ينهزم قط لأنه أُبعد عن المعركة بتخطيط واع وخبث مبيّت . والذين انهزموا هم أولئك الذين حملوا اسم الإسلام دون أن يطبقوه سلوكاً في واقع حياتهم أو نظاماً في أساليب حكمهم ، لا فرق في ذلك بين شعوب

مستضعفة وحكام متسلطين .. ومن هنا كان العمى الذي يطمس أبصار المتسائلين في غفلة : أين الإسلام .. والأقصى يضيع ويحترق ؟

إن الجواب على مثل هذا السؤال الساذج بدهي يعيه من أُوتي حظاً بسيطاً من الوعي ، إذ ليس للإسلام وجود فعال في " داخل " الجماهير المضلَّلة لأن عملية استئصاله كانت تمهيداً لوقوع الهزيمة .. وليس له وجود صادق في " نفوس " الحكام لأن وجوده " العملي التنفيذي " في نفوسهم معناه ألاَّ يكونوا في كراسي الحكم والعالم معسكران : شيوعي ملحد ، وغربي صليبي حاقد ...

وما يقال اليوم عن معسكر ثالث يدعو للحياد ليس إلا ظلالاً باهتة وصوراً مهزوزة للأصل القائم البشع والفكر المستورد الدخيل ، سواء أكانت التبعية لواشنطن ولندن أم لموسكو وبكين ؟!

إن الإسلام قائم محفوظ في بطون الكتب أولاً ، وفي نفوس نذرت لله أن تكون قرابين على مذبح الدعوة الإسلامية ، تدعو الأمة أن تعود إلى الله لتبلغ العزة وتنال الظفر ، وهي تسعى لبعث جذوة خامدة تحت رماد القرون ، وفي أتون القهر والإذلال، علّ شعلة تتقد منها فتضيء طريق الأجيال ، وتحرك فيها الرغبة في السير الجاد الهادف حتى تبلغ قمة السؤدد وموطن الكرامة ...

هذا هو موضوع كتابي الذي أقدّم اليوم ونحن نخوض مع " العدو " معركة المصير .. العدو الصغير الماكر الذي اتخذ منه " الأعداء " الكبار ستاراً يختفون خلفه، ومخلب قط يحركونه لخدمة مصالحهم وبث أحقادهم منذ هزم " اليهود " في حصن خيبر .. وأطفأ نور الإسلام نار فارس .. وردَّدت كلمة التوحيد في آفاق اليرموك وحطين وعين جالوت !!

إنني لا أعني " بالمنهزمين " دعاة اليسار وحده ولا دعاة اليمين وحده ، ولكنني أعني على حد سواء السياسة التي أتاحت للقوات الإسرائيلية أن تستحم في نهر الأردن ، ولمجندات " جيش الدفاع الإسرائيلي " التزلج فوق قمم جبل الشيخ ، وللقوارب اليهودية أن تمخر عباب القناة !

" المنهزمون " في نظر الإسلام هم أعوان الشرق والغرب معاً .. وسواء أكانت تبعيتهم ذيلية لماركس أم خضوعاً لسارتر أم اعجاباً وانقياداً للفكر البريطاني والثقافة الأمريكية ، فهم جميعاً سواء في الهزيمة والضياع والتبعية ...

وأخيراً أسأل الله الهدى في القول والعمل ، وأن يجعل عملي متقبلاً ليكون سطراً في ملحمة إسلامية كبرى ، تقف شامخة في وجه التحديات مهما أدلهم الليل ووعر الطريق ..

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[1]

يوسف العظم

عمان – الأردن

---

(١) الآية ٨ من سورة آل عمران .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

مسؤولية الحكم

بين مفهوم الكهنوت ومفهوم الإسلام

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

مسؤُوليّـة الحُـكم

بين مفهوم الكهنوت ومفهوم الإسلام

للحكم الكهنوتي " الثيوقراطي " مميزات ينفرد بها وخصائص لا تجتمع في غيره . والمطلع على تاريخ الكنيسة في أوروبا يستطيع أن يواجه صوراً رهيبة من خصائص ذلك الحكم وأسساً لا ينهض بغيرها أو يقوم :

أولاً : الدكتاتورية المطلقة التي لا تسمح بالحوار ولا تفسح صدرها للرأي المخالف .

ثانياً : الترف والأبهة التي دعا السيد المسيح إلى هجرها والتخلي عنها وربّى على مثل تلك الروح الزاهدة الأبرار من الصديقين والأخيار من الحوارين .

ثالثاً :الاستغلال الجشع الذي كان يجمع في رحاب " الكهنوت " كل خيرات الأرض ليعيش رقيق الأرض من عباد الله عيش الكفاف ويحيون حياة الفاقة .

رابعاً : ضيق الأفق والتزمت الذي كان يفرض من النظريات والآراء ما لم ينزل في إنجيل أو يرد على لسان نبي ، بحيث ضيق الخناق على كل عالم وحَجَرَ على كلّ مفكر ، وبات المختبر في جانب والهيكل في جانب آخر لا يلتقي به ولا يرضاه .

خامساً : التآمر الذي كان يتم بين " الكهنوت " و " الإقطاع " لاقتسام الضرائب الباهظة التي كانت تثقل كاهل الأغلبية الساحقة من أبناء الأمة، والحماية متبادلة والمصالح مشتركة بين حملة السوط من جانب ، وحملة صكوك الغفران من جانب آخر !

سادساً : كل ذلك يتم على غير مستوى بشري – كما يزعم المتأهلون – لأنهم يرون أن ما يقولون به في السياسة والحكم وأساليب الحياة ونظريات العلم ، إنما هو آراء ربانية وأفكار سماوية لا تخضع للمناقشة ولا تقبل الحوار ولو لم ترد على لسان السيد المسيح أو تتنزل في الكتاب المنزل عليه .

ومن هنا كان الباب مفتوحاً على مصراعيه لمن أراد أن يبتكر أو يخترع أو يلصق بالمسيح العف والعذراء البتول والحواريين الأبرار ما يروق له من الآراء والأفكار والمعتقدات ..

هذه لمحة موجزة عن الأسس التي تقوم عليها حكومة الكهنوت الثيوقراطية في مختلف عصور الكنيسة .. فهل نرى في الإسلام شيئاً من ذلك أ وقريباً منه حتى ينبري " المنهزمون " فيسمون حكم الإسلام حكماً " ثيوقراطياً " وهم في غفلة من الأمر وجهالة من سوء التصور والتدبر؟!

لقد أرسل الله نبيه محمداً عليه السلام بالهدى ودين الحق ، وأمره أن يحكم بين الناس بالعدل ووضع له الخطوط ، وبيَّن له المعالم وكان دور الرسول عليه السلام دور المبلغ الصادق للرسالة، المنفذ الأمين للتعليمات التي يوجهها له الخالق عز وجل:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1] .

والأمر متروك لله وحده يتدبر شأن المتمردين على شريعته ، المنكرين لحكمه، وما على الرسول الأمين إلا البلاغ ، سواء قدّر له أن يدرك حساب الجاحدين أم أن يلقى ربه قبل ذلك ، ليترك حسابهم على الله الذي لا يظلم الخلق ولا يغفل عن شيء .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[2]

ولئن تألم الرسول الكريم لضلال قومه من قريش وضلال عشيرته الأقربين ، بل لعناد كل من دُعي إلى الهدى فأبى ، ولئن كان يتمنى ويرجو أن يهتدي أكثرهم وبأسرع مما وقع ، فإنما هي العاطفة الكريمة والفطرة السوية التي تحب الخير والهدى للناس ، ومع ذلك فقد حدّد الله موقف نبيه وطريق رسوله :

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[3]

---

(١) الآية ٢٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٤٠ من سورة الرعد .

(٣) الآية ٤٨ من سورة الشورى .

ومع ما كان للرسول العظيم من قدر وما كان له من مكانة ، فإنه لم يشمخ في قلاع مشيدة وعلى فرش وثيرة وأرائك ناعمة يطل على الناس من عل يباركهم ببسمة أو كلمة أو يد ملوحة ، وإنما افترش مع الناس الحصى ، وأظله معهم عريش من سعف النخيل ، ونام على الفراش الخشن، وناله من الأذى أكثر مما نال أصحابه ومؤيديه ؛ سواء أكان ذلك في شِعب أبي طالب بمكة، أم في رحلته إلى الطائف ، أم يوم أحد الذي خاض فيه عليه السلام معركة ضارية ضد قوى الظلام المتغطرسة المتعالية .

ولما حقق الله النصر لدعوته وأعز نبيه وأعلى لواءه ودخل جيش الفتح مكة من كل أطرافها ؛ لم يتعال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يفاخر ، ولم يحقد على قومه أو يسعى للانتقام من أحد ، بل دخل مكة وقد طأطأ قامته على قتب بعيره تواضعاً لله واعترافاً بفضله ، وفي قلبه وعلى لسانه أكرم معنى من معاني العفو والصفح الجميل عن قوم لو أتيح لهم أن يشربوا من دمه لما تخلفوا ، وقد مضغوا من قبل كبد سيد الشهداء عمه حمزة :

اذهبوا فأنتم الطلقاء !

إنها قمة التسامح والرحمة من قائد ظافر منتصر على قوم شردوه وأخرجوه ونال من أذاهم ما لا يحتمله إلا أولو العزم من الرجال .

وعلى الرغم مما كان لرسول الله من عصمة تقوم على النبوة والرسالة والوحي، فإن ذلك لم يمنع المسلمين أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهم ، وأن يعلنوا ما يعتقدونه صواباً ليلاقوا من نبيهم كل تجاوب وتعاطف ورضى :

" والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أي أول ماء وجده ، فتقدم إليه الحُباب بن المنذر فقال : يا رسول الله ، هذا المنزل الذي نزلته ، منزل أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه ، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ فقال : بل منزل نزلته للحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ، ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ما يلي القوم ونغوِّر ما وراءه من القلب[1] ، ونبني الحياض ، فيكون لنا ماء وليس لهم ماء ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل كذلك "[2]

أفي ظلال الحكم الديني " الثيوقراطي " صاحب الحق الإلهي المزعوم يتمكن جندي في مكانة الحُباب أن يناقش رئيس الدولة أو قائد الجيش في خطة حربية نفذها القائد وبدأ منها الخطوات الأولى على الطريق ؟ ..

بل في ظل أي نظام ديمقراطي زائف أو اشتراكي متبجح من أنظمة اليوم يمكن لجندي بسيط أن يلقى قائده بهذه الفطرة السليمة ، وهذا الحب الغامر والإيمان الواعي ، ليعدل خطة وضعت أو يوقف أمراً عسكرياً نفذ جزء منه ؟..

إنه حكم الإسلام الذي سما على كل حكم .. ودين الله الذي علا فوق كل دين.. ولكن المنافقين لا يعلمون !!

لقد حدد الرسول إطار شخصيته الإنسانية في صورة بسيطة لا تعقيد فيها ولا تأله ، وأرسل في نفس رجل هاب الدخول عليه — لما له من سمت وقور ومهابة جليلة

---

(١) جمع قليب : وهو البئر .

(٢) تفسير ابن كثير ج/٢ سورة الأنفال .

– كل معاني البساطة والرفق وكل معاني الانبثاق من صميم الأمة ليهدئ من روعه ويبعث الطمأنينة والسكينة بين جنبيه:

– إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ...

لقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم غاية في البساطة والتواضع والبعد عن أبهة الحكام وعقد المؤلهين ، فكان يخصف نعله ، ويحلب شاته ويرقع ثوبه .. وكان يحمل حاجته بيده لأن صاحب الحاجة أولى بحاجته .

وأنه ليحيا حياة الكفاف ويعيش عيش الفاقة ، دون ترف ولا بطر ، ولا استعلاء ، والدنيا جميعاً من حوله خاضعة له ، فخورة بنبوته ، تضع تحت تصرفه المال والجاه والحياة الناعمة .. غير أنه صلى الله عليه وسلم يأبى أن يكون الحكم وسيلة من وسائل الاستغلال وأسلوباً من أساليب الثراء والعظمة الزائفة :

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً " (١)

* عن عروة بن عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول :

" والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاث أهِلّةٍ في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قال : قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول

---

(١) رواه مسلم .

الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه" [1].

* عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت :" لقد مات ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين " [2].

* عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " والذي نفسي بيده ما أشبع رسول ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنظلة حتى فارق الدنيا " [3].

* عن سماك بن حرب قال :" سمعت النعمان بن بشير يخطب قال : ذكر عمر ما أصاب من الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً[4] يملأ به بطنه " [5] .

ولما مات ﷺ لم يترك مالاً ولا عقاراً ، وقد ألح على أم المؤمنين عائشة أن تتصدق بآخر ما لديه من عرض الدنيا : سبعة دنانير ؟

" وقد كان من أخلاق رسول الله ﷺ أنه أسخى الناس ، ولا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل ولم يجد ما يعطيه ويأتيه الليل لا يأوي إلى منزله حتى يبرأ منه ، ولا ينال من الدنيا ، وأكثر قوت عمله عامة من أيسر ما يجد من التمر

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) الدقل : أردأ التمر .

(٥) رواه مسلم .

والشعير ، ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله ، لا يسأل شيئاً إلا يعطي ثم يعود إلى قوت عامه ، فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ، وكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، وكان أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعاً ، فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين " [1].

* عن عائشة رضي الله عنها قالت :" توفي رسول الله ﷺ وما في رفي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي . فكلته حتى طال علي فكلته ففني"[2] .

أيمكن لعاقل يحترم عقله أو عقول الآخرين أن يسمي هذا السمو من أخلاق القرآن وحكم النبوة حكماً " ثيوقراطياً " كذلك الذي عرفته الكنيسة في عصورها المختلفة ، وهي في صراع مع السلطة الزمنية .. تنشد الحكم " الكهنوتي " الذي جثم كابوساً رهيباً على أوروبا ، لا يعرف غير التأله والاستعلاء والتسلط والاستبداد ؟!

ولما جاء بعد رسول الله ﷺ صاحبه أبو بكر عليه الرضوان لم يعلن أنه حاكم مستبد يفرض رأيه ويرفض المناقشة والحوار ، ولكنه جاء يؤكد للناس جميعاً أنه عبد من عبيد الله ، وأنه واحد منهم لا يمتاز عنهم أو يفضلهم إلا بمقدار ما يقدم لهم الخدمة وما يرعى لهم الحق :

---

(١) إحياء علوم الدين ٥ / ١٢٣ .

(٢) رواه مسلم .

" أما بعد أيها الناس ؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وأن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح[1] عليه حقه إن شاء الله تعالى . .ولا يدع أحد الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " [2] .

وإذن فبشرية أبي بكر لا تمتاز عن بشرية غيره من الخلق إلا بمقدار ما يطبق شرع الله ، وشرع الله حق لجميع العباد أن يفهموه وأن يناقشوا الخليفة على أساسه دون أن يدَّعي عصمة أو يتخذ من الشريعة مطية ينفذ عبرها أغراضه أو يحقق بها هواه .

لقد حدد أبو بكر رضوان الله عليه أول حاكم للمسلمين بعد رسول الله ﷺ مهمة الحاكم المسلم ومكانته في أكثر من موقف وأكثر من مقال ، حتى يدرك الناس بعمق أن الحاكم المسلم واحد من الناس يخطئ ويصيب ويرد ويناقش ، حيث يرى المسلمون أنه قد وقع في خطأ أو انحراف . ومرة أخرى يقف الصديق عليه الرضوان ليضع المعالم على الطريق فيقول :

" يا أيها الناس ؛ إني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، والله لوددت لو أن بعضكم كفانيه وإنما أنا مثلكم ، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ

---

(١) أريح : أرد .

(٢) من خطبة أبي بكر بعد أن ولي الخلافة .

يطيق . إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، ولست بخير من أحدكم فراعوني ، فإن رأيتموني استقمت فتابعوني، وإن رأيتموني زغت فقوموني ، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سيف فما دونها ، ألا وإنَّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم " ثم أشخص الجيش وشيعه وهو ماشٍ وأسامة راكب وعبد الرحمن ابن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله : والله لتركبنّ أو لأنزلنّ ، قال : والله لا تنزل ووالله لا أركب وما عليّ أن أغبر قدميَّ في سبيل الله ساعة ، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة . حتى إذا انتهى قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له "[1] .

ومن سياق الرواية والكلمة نقف أمام شوامخ من الفكر والسلوك تدمغ كل أدعياء الإنسانية والتحرر بالافتراء على الإسلام ورجاله الأبرار .

أبو بكر يعلن للجماهير المؤمنة أنه بشر معرض للزلل والزيغ ، ويحث أبناء الأمة على مناقشته ودفعه نحو الاستقامة . ثم هو يحدثهم حديث الخبير بطباع النفس البشرية ، ويبين لهم أفضل الأوقات التي يراجع فيها ويحتكم إليه ، ألا يكون في غضب عارم يطفئ سراج العقل والحكم الرشيد .

ويرد على كل الخالطين — جهلاً أو عمداً — بين الحكم الإسلامي والحكومة " الثيوقراطية الكهنوتية " فيقف موقف الحاكم المسلم المتواضع ليسير في ركاب أسامة

---

(١) ابن سعد والطبري .

بن زيد ، الفتى الذي بلغ عامه السادس عشر ، وهو يؤكد أن المجاهد في سبيل الله المقاتل لأعداء دعوة الله الإسلام وديارها أفضل عند الله ، وأكرم من المتربعين على الكراسي حتى ولو كانوا قمة في التقى والاستقامة !.

وبأدب الحاكم الذي رباه الإسلام يستأذن من القائد الشاب – إن رأى ذلك – أن يترك له عمر وزيراً يعينه على الحكم والإدارة في حاضرة الدولة الإسلامية !.

أي حكم " ثيوقراطي " ذاك الذي يتخيله المرضى الذين أصاب الكساح منهم موطن التفكير؟!

ولكي ندرك عمق المفاهيم الحضارية في الإسلام ونحس بعظمة السلوك وصفاء النفس بين جنبي المسلم الحق من أمثال أبي بكر ، لا بد من معرفة جانب ولو يسير من جوانب الخلق الرفيع لدى خليفة رسول الله .

* قال رسول الله ﷺ: " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، فقال أبو بكر : إن أحد شقي ثوبي يرتخي إلا أن أتعاهد ذلك منه : فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء "[1] .

وكان أبو بكر إذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخذه ، فيقال له : لو أمرتنا أن نناولكه . فيقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نسأل الناس شيئاً[2] .

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) تهذيب ابن عساكر .

وإذا كان أبو بكر وهو الحاكم الأول بعد رسول الله على مثل هذا السلوك الرفيع وهذا التواضع الجم حجر الأساس في الحكم الإسلامي بعد حكم النبوة وقيادتها المعصومة ؛ فلقد سار على مثل ذلك عمر حتى عدَّ في الشوامخ من العقل والخُلق ، وتبعه كثير من الخلفاء والصحابة والتابعين؛ سواء من كان له من الحكم حظ وفي السلطة نصيب ، أو من كانوا في موضع الصدارة والتوجيه للقادة والحاكمين .

والإسلام ليس مسؤولاً عن انحرافات بعض من أحالوا الحكم مع الزمن كسروياً قيصرياً في أبهته وجبروته واستعلائه ، بل إن إبعاد الإسلام عن كرسي الحكم – على تفاوت في الدرجة – هو المسؤول عن تحول التواضع جبروتاً والشورى استبداداً والاستقامة عوجاً .

لقد جاء بعد أبي بكر عمر وكان " أمير المؤمنين " بعد موت أبي بكر ، فصنع نماذج من السلوك الرفيع في الحكم توقف كل البشر اليوم أقزاماً في رحاب عمر ..

لقد أصابت المسلمين أيام من القحط لم يسلم منه بيت أمير المؤمنين ، إن عمر قادر لو تخلى عن التقوى – أسمى قيمة من قيم الحضارة الإسلامية – أن يوفر الطعام لأهله والناس جياع ، وأن يغمرهم برغد العيش والأمة في ضيق وحرج ، ولكنه عامل الجميع على حد سواء حتى بلغ الجوع والهزال أبناءه وأحفاده .

بينما عمر يمشي في سكة من سكك المدينة إذا هو بصبيّة تطيش هزالاً تقوم مرة وتقع أخرى.

قال عمر : يا حوبتها ! يا بؤسها ! من يعرف هذه منكم ؟

قال عبد الله بن عمر : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا .

قال : هذه إحدى بناتك !

قال : وأي بناتي هذه ؟!

قال : هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر !

قال : ويحك .. وما صيَّرها إلى ما أرى ؟

قال : مَنْعُك ما عندك .

قال : ومنعي ما عندي منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب القوم لبناتهم ؟

إنك — والله — مالك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو أعجزك ، هذا كتاب الله بيني وبينك "[1] .. !

إن حكم الإسلام هو الذي يصنع الرجال ، ويصوغ العقول ، ويهذب النفوس، حتى يقف الشوامخ من أمثال عمر في ذروة الشفافية والإحساس والتقوى .

ترى من ذا الذي يمنع قريباً لحاكم أن يعمل بعرق جبينه ؟ وأي نظام في الكون يحول بين أقرباء الحاكم وبين الكسب الحلال .. إنه عمر .. تلميذ الرسول الأعظم حين يشم رائحة استغلال لنفوذ الإمارة ولو بصورة عفوية سطحية غير مباشرة .

عن عبدالله بن عمر قال : اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحمى ، فلما سمنت قدمت بها ، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً ، فقال : لمن هذه ؟ فقيل لعبدالله بن عمر ، فجعل عمر يقول : يا عبدالله .. بخٍ . بخٍ ابن أمير المؤمنين ! فجئته أسعى فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) ابن سعد : ١ / ١٩٨ ، ابن الجوزي : ٩١ .

فقال : ما هذه الإبل ؟

قلت : إبل أنضاء[1] اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون ، فقال ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ! يا عبدالله بن عمر ! هذا رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين [2].

لقد بلغ عمر المسلم من صفاء النفس وشفافية الوجدان مبلغاً يكاد يكون خيالاً لا تتصوره عقول الخلق ، مهما سما تفكيرهم وصفت نفوسهم ، إن لم يكونوا في مستوى الشوامخ من أمثال عمر.

يكلف عمر زوجه أن تبيع لنساء المؤمنين مسكاً ورد إلى بيت المال ليضع المال في خدمة الرعية .. ومع ما في هذا العمل من تواضع يربي عمر عليه زوجه ومع ما في هذا من تطوع إلا أن عمر يظل الحاكم اليقظ المؤمن الحريص على آخرته دون دنياه .

" كان عمر يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين فتبيعه امرأته ، فباعت مرة ، فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسره بأسنانها ، فيعلق بإصبعيها شيء منه فتمسح باصبعيها على خمارها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الريح ؟

فأخبرته بالذي كان .

قال : طيب المسلمين تأخذينه أنت فتطيَّبين به ؟

فانتزع الخمار من رأسها ، وأخذ جزءاً من ماء فجعل يصب الماء على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه . ففعل ذلك ما شاء الله حتى ذهب ريحه .

---

(١) أنضاء : هزيلة .

(٢) الرياض النضرة : ١ / ٤٧ .

فجعلت بعد ذلك إذا علق باصبعها شيء مسحت بها التراب "[1] .

" وقدم عليه مسك وعنبر من البحرين فقال : والله لوددت أني آخذ [2]امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين " .

فقالت له امرأته عاتكة : أنا جيدة الوزن فهلمَّ أزن لك .

قال : لا .

قالت : ولم ؟

قال : أخشى أن تأخذيه هكذا فتجعليه هكذا – وأدخل أصبعيه في صدغيه – وتمسحين به عنقك ، فأصيب فضلاً عن المسلمين [3].

وعمر العادل خليفة المسلمين وأمير المؤمنين يفسح صدره ويفتح قلبه حتى لغير السادة من قريش أو القادة من أصحاب النفوذ ، إنه يستمع إلى سلمان الفارسي الذي وفد على ديار العرب غريباً مشرداً فأعزه الله بالإسلام ، دون أن يجد حرجاً في مناقشته أو ضيقاً مما يوجهه إليه :

جاء عمر بُرود من اليمن ، ففرقها على الناس بُرداً بُرداً ، ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلة منها (ما يساوي بُردين) فقال : اسمعوا رحمكم الله .

فقام إليه سلمان فقال : والله لا نسمع ، والله لا نسمع .

فقال : ولم يا أبا عبدالله ؟

---

(١) الرياض النضرة : ٩١٢ ، وابن الجوزي : ١٣٨ .

(٢) آخذ : أجد .

(٣) ابن الجوزي ١٣٨ .

فقال : يا عمر تفضلت علينا بالدنيا ، فرقت علينا برداً برداً ، وخرجت تخطب في حلة منها .

فقال : أين عبدالله بن عمر ؟

فقال : ها أنذا يا أمير المؤمنين .

قال : لمن أحد هذين البردين اللذين عليّ ؟

قال : لي .

فقال : عجلت علي يا أبا عبدالله ، إني كنت قد غسلت ثوبي الخلق ، فاستعرت ثوب عبدالله .

قال : أما الآن فنسمع ونطيع [1].

وليس جديداً على عمر أن يفتقر إلى ثوب وهو القائم على ثروات الدولة وخزائن السلطان ، فلقد عوّد الناس من حوله أن يروه يغسل ثوبه بيده ويدعه حتى يجف فيرتديه ، ليعلم الناس كل الناس والحكام كل الحكام أكرم دروس في أصول الحكم وأشرف معاني تحمل المسؤولية :

" عن عبدالله بن عباس قال : خرجت أريد عمر بن الخطاب ، فلقيته راكباً حماراً وقد ارتسنه بحبل أسود ، في رجليه نعلان مخصوفتان ، وعليه أزار وقميص صغير ، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه ، فمشيت إلى جانبه وجعلت أجذب الازار وأسويه عليه ، كلما سترت جانباً انكشفت جانب ، فيضحك ويقول : إنه لا يطيعك ، حتى جئنا (العالية) فصلينا ، ثم قدَّم بعض القوم إلينا طعاماً من خبز

---

(١) الرياض النضرة : ٥٦/٢ وابن الجوزي ١٢٧ .

ولحم ، فإذا عمر صائم ، فجعل يقدّم إليّ طيب اللحم ويقول : كل لي ولك، ثم دخلنا حائطاً (بستاناً) فألقى إليّ رداءه وقال : اكفنيه ، وألقى القميص بين يديه وجعل يغسله وأنا أغسل رداءه ، ثم جففناه وصلينا العصر ومشينا "[1] .

أمثل هذا .. وبمثل هذا كان يحكم المسلمون حكماً " ثيوقراطياً " يا منهزمون؟!

ألا تستحون أن تسمعوا مثل هذا المستوى الرفيع من القيادة وتحمل المسؤولية وخدمة الأمة حكماً مستبداً .. مثلما كان يفعل الحكم " الكهنوتي " الرهيب ؟!

وعمر لا يرى في ولده الصغير ولو كان طفلاً ما يميزه عن غيره من الأطفال من أبناء المسلمين، لأن حكم الإسلام لا يخص ابن أمير المؤمنين بالرعاية والعناية ، بل يجعله في ظل حكم الله سواء .

" كان معيقيب على بيت مال عمر ، فكسح بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابن عمر .

قال معيقيب : ثم انصرفت إلى بيتي ، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني ، فجئت فإذا بالدرهم في يده :

فقال : ويحك يا معيقيب ، أوجدتَ عليَّ في نفسك شيئاً ؟ أو قال : ما لي ومالك ؟

فقلت : وما ذاك ؟

قال : أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة "[1] .

---

(١) شرح ابن أبي حديد : ٣ / ١٠٦ .

ومع كل ما عرفناه عن عمر من سمو التفكير وعمق التقوى ، وما وعته البشرية عنه من صفاء النفس وشفافية الوجدان ، ومع كل ما وضعه من أسس صالحة لأشرف حكم وأنزه سياسة رباه عليها الإسلام وأكرمته بها الشريعة نرى عمر ، يتلاشى رعباً ويذوب خوفاً وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على حِجْر ولده وبين يديه .. إنه يخشى بعد كل الذي صنع ألا يغفر الله له .

قال عثمان : أنا آخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبدالله.

فقال له : ضع رأسي على الأرض .

قال (عبدالله) : فهل فخذي والأرض إلا سواء ؟

قال : ضع خدي بالأرض لا أمَّ لك ، في الثانية والثالثة ، ثم شبك بين رجليه فسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي [٢].

لقد ترك عمر لمن بعده مقاييس في الحكم الصالح بلغت حداً لا يقدر على تحمله إلا من عمق الإيمان في قلوبهم ، وسمت نفوسهم الكبار لمثل حمله .. ويقول " المنهزمون " بلا إنصاف ولا خجل.. حكم ديني مستبد ولّى ومضى منذ قرون !

" قال علي بن أبي طالب : رأيت عمر على قتب يعدو فقلت : يا أمير المؤمنين .. أين تذهب؟

فقال : بعير ندّ[٣] من إبل الصدقة أطلبه ؟

---

(١) ابن الجوزي : ٩٢ .

(٢) أخبار عمر للطنطاوي .

(٣) بعير ندّ : هرب .

فقلت : لقد أتعبت من بعدك !

فقال : فو الذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة ؛ لو أن عَناقاً[1] ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة[2] .

ولعل مثل هذه الرفعة من السلوك من أخلاق الإسلام التي عاش في أفيائها ولها أمير المؤمنين عمر ، هي الجنة التي جعلته ينام قرير العين هادئ النفس رضي الخاطر في ظل شجرة عند ظاهر المدينة ، طارحاً خلفه كل مظاهر الحكم وأبهة السلطان ، ليقف عند رأسه رسول من الفرس يقول : عدلت فأمنت فنمت !

ويفسح التاريخ الأمين في صدره الرحب لرجل فذ من أصحاب الرسول ، ويعلن للملأ أن مدرسة القرآن تربي رجالاً يندر أن يجود بمثلهم الزمان .

هذا هو أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومن له من سمو المكانة في نفس الرسول العظيم بحيث يقول عنه ﷺ : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟!

أول فتى يتفتح ذهنه على الهدى وتستنير بصيرته بالإسلام ، فلا يسجد لصنم ولا يعبد وثناً ، ويزداد حظه من الشرف ، فيكون زوجاً لأحب الناس إلى رسول الله وأبا لريحانتي أهل الجنة ..

يقول علي عليه الرضوان وقد تولى إمارة المؤمنين وتسلم مقاليد الأمور :

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان ؟

---

(١) عَناقاً : عنزاً .

(٢) ابن الجوزي : ١٤٠ .

" والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل ، ولباب هذا البر ، ومناعم هذه الثياب ، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى ، فأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى " .

وإذن فالمسألة ليست جاهاً ينشد ولا ترفاً يطلب ولا ألقاباً ينادى بها الناس .. ولكنه تحمل للمسؤولية والإحساس بخطورة التبعة هو الذي يجعل الإمام علياً يحس بحرقة المعدة الجائعة ، ولهفة النفس المحرومة التي لا تجد قوت اليوم ولقمة الطعام ..

إنه الإمام الذي لا يخادع الله ولا يخادع نفسه ولا يخادع جماعة المؤمنين .. فلا يرضى أن يقال عنه أمير المؤمنين والمؤمنون في جوع وفاقة وحرمان .. فإما أن يحيا المؤمنون في أفياء هذا اللقب حياة هانئة أو أن يذوق أمير المؤمنين ما تذوق الرعية ..

بل أن تنال الرعية من أسباب العيش ما لا يبلغ الأمير مثله لتقواه !

ما أعظم ما ربى محمد عليه أصحابه .. عليه أفضل الصلوات وعليهم أطيب الرضوان ..

يهجر علي قصر الخلافة في الكوفة ويتخلى عن كل مظاهر الترف والبذخ ، ويأوي إلى كوخ من الطين يجد فيه السكن والطمأنينة والرضى ، ويقبل على الله في صلاة خاشعة واعية ينفذ عبرها إلى ملكوت الله ورحاب الملأ الأعلى في تواضع العظيم ورفق القوي وزهد صاحب النفوذ والسلطان .

هذا الثوب يصرف عني الزهو ، ويساعدني على الخشوع في صلاتي وهو قدوة صالحة للناس، كي لا يسرفوا ويتبذخوا ".

وتقف الدنيا وملوكها يلهثون على الطريق الطويل السامق ، فلا يبلغون مواضع أقدام علي وهو يمر بسوق الكوفة يعرض سيفاً من أسيافه التي طالما سلها في سبيل الخير وإعلاء كلمة الحق :

" من يشتري سيفي هذا ؟ فو الله لو كان معي ثمن إزار ما بعته " .

وإذن فأمير المؤمنين وإمام المسلمين وحاكم الأمة باسم الدين لا يستغل نفوذه ولا يفرض جبروته ، ولا يخاطب الناس من بروج عاجية أو صوامع بلورية .. بل إنه ليحيا دون ما يحيا الناس الذين يجدون لقمة العيش هانئة ميسورة .

ولا يمنّ علي كرَّم الله وجهه على الناس بالمساواة ، ولا يدعي ما يدعيه غيره من المصلحين ، بل يعلن للملأ أن المال لله وأن أمير المؤمنين ليس له في مال المؤمنين أكثر من غيره .. إنه الحارس الأمين على مال الله يضعه حيث يشاء الله :

" لو كان المال مالي ، لسويت بينهم ، فكيف والمال مال الله وهؤلاء عباده " .

وهذا طراز آخر من الرجال .. يعرضه لنا التاريخ في صورتين متناقضتين قبل الخلافة وبعدها ، كيف كان عمر بن عبد العزيز قبل أن يتربع على كرسي الحكم ، وكيف أصبح بعد أن وكلت إليه المسؤولية وتسلم مقاليد الأمور :

" وكان عمر بن عبد العزيز أعظم أموي ترفهاً وتملكاً . غذي بالملك ونشأ فيه، لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه ، فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيه ، ويمشي مشيته العمرية ، فكان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها .. وكان يسبل إزاره حتى ربما دخلت نعله فيه فيتحامل عليه فيشقه ولا يخلعها ، ويسقط

أحد شقي ردائه عن منكبه فلا يرفعه ، وتنقطع نعله فلا يعرج عليها ، وربما لحقه بها المملوك فيعنفه "[1] .

هكذا كان عمر بن عبد العزيز قبل أن يلي الحكم ويرعى الرعية بشرع الله .. فما الذي وقع له وكيف صار حين حكم الناس بالخلافة وساس أمورهم بالشرع ؟

ولما دفن سليمان وقام عمر بن عبد العزيز فقربت إليه المراكب ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا مراكب لم تركب قط ، يركبها الخليفة أول ما يلي ، فتركها وخرج يلتمس بغلته وقال : يا مزاحم ضم هذا إلى بيت مال المسلمين ، ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تضرب للخلفاء ، أول ما يلون ، فقال ما هذه؟ فقالوا : سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلي ، قال يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ، ثم ركب بغلته وانصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط ، يفرش للخلفاء أول ما يلون ، فجعل يرفع ذلك برجله حتى يفضي إلى الحصير . ثم قال : يا مزاحم ضم هذا لأموال المسلمين . وبات عيال سليمان يفرغون الأدهان والطيب من هذه القارورة إلى هذه القارورة ، ويلبسون ما لم يلبس من الثياب حتى تتكسر — وكان الخليفة إذا مات، فما لبس من الثياب ، أو مس من الطيب كان لولده ، وما لم يلبس من الثياب وما لم يلبس من الطيب فهو للخليفة بعده — فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك وهذا لنا ، قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده ، وما لم يلبس فهو للخليفة بعده وهو لك ، قال عمر : ما هذا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

لي ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يا مزاحم خذ كله إلى بيت مال المسلمين ففعل ، فتآمر الوزراء فيما بينهم فقالوا : أما المراكب والسرادقات والحجر والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجواري ، نعرضهن (عليه) فعسى أن يكون ما تريدون فيهن ، فان كان وإلا فلا طمع لكم عنده ، فأتي بالجواري فعرضن عليه كأمثال الدمى ، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة: من أنت ؟ ولمن أنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت ، فيأمر بردهن إلى أهليهن ويحملن إلى بلادهن حتى فرغ منهن ، فلما رأوا ذلك أيسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق.

واحتجب عن الناس ثلاثاً لا يدخل عليه أحد ووجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الجنود والعرب والقواد ببابه ينظرون ما يخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها ، فرد المظالم وأحيا الكتاب والسنة، وسار بالعدل ورفض الدنيا وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عزَّ وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عزَّ وجل فرحمه الله "[1].

أرأيتم كيف يتبدل الحال وتتغير الصورة . .حال الذي كان يتبختر ترفاً قبل تحمل المسؤولية ، وإذا به إنسان آخر حين يطبق شرع الله .

ألا ما أتعس الضائعين من " الأميين " الذين يحملون أرفع الشهادات ولا يدركون من تاريخ أمتهم إلا ما يلتقطونه على موائد الدخلاء مما لوث بالسم الزعاف!

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم : ٣٩/٤٠ .

إن مفهوم الحكومة الدينية " الثيوقراطية " كما فرضته الكنيسة على أوربا، وكما فهمه الغرب مفهوم استبدادي متغطرس ، فيه من السيطرة والنفوذ ما لا يقوى على رده إنسان أو يقدر على مناقشته مواطن .. وليس للناس جميعاً – من غير طبقة معينة من رجال الاكليروس – الحق في التعديل أو الطعن في أي قرار يتخذ أو حكم يصدر لأن الحكومة الدينية بالمفهوم " الثيوقراطي " سلطة سماوية معصومة ، وأصحاب النفوذ فيها هم ظل الله في الأرض بلا نقاش ولا حساب !..

فهل نجد مثل هذا المفهوم أو قريباً منه فكرة " الحكم الإسلامي " وأسلوب " الخلافة الإسلامية " ؟!

وهل كان الخلفاء يتدرجون في سلم كهنوتي معين أو نظام أكليروس خاص ، فيدعون العصمة لأنفسهم في القول والعمل أم كانوا يعلنون للملأ أنهم بشر يخطئون ويصيبون ، وأنهم معرضون للمناقشة والحساب على الملأ من الناس ... يقنعون الأمة بالحجة والدليل أو يرد لهم الحكم فلا يطاع ؟

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة الشورى .

إن مثل هذه الروح ومثل هذا الجو الحواري الهادئ ليسمو على كل مفهوم يفاخر به المنهزمون من مفاهيم الديمقراطية الحديثة ، وإنه لمفهوم يقوم متميّزاً شامخاً لا يقارن بنظام ولا يساوي به حكم على الأرض .. إنها الشورى التي تفسح صدر الحاكم مهما علت مكانته للمعارضة النظيفة ، ولو عنفت والمواجهة الشريفة ولو كان صاحبها جندياً من الجند . .أو راعياً من رعاة الغنم ! !

إنه الإسلام ولا حكم الكهنوت الثيوقراطي !

إنها الشورى .. التي تبدو في رحابها الديقراطية قزماً قميئاً ودمية من الدمى لا روح فيها ولا حياة ! !

ترى أي دافع ذاك الذي يحرك الحاكمين بالإسلام ، وأي سر يكمن خلف تحركاتهم ؟!

أكانوا يطعمون في رغد العيش ولم يذوقوا منه إلا دون ما كان يتمتع به عامة الناس ، بل كانوا أكثر أبناء الرعية حرماناً وحرصاً على الزهد في الطيب من المأكل والملبس والسكن ؟

أم كانوا ينشدون أبهة الحكم وجاه السلطان وقد عاشوا في صميم الشعب لم ينسلخوا من الأمة أو يتعالوا عن الجماهير ؟!

أم كانوا راغبين في جبروت واستبداد وقد كان أقل الناس شأناً وأبسطهم عيشاً ، يوجه النقد واللوم لهم حين يرى من تصرفاتهم وأفعالهم ما هو خطأ أو يظنه خطأ وغير حق ؟!

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الشورى .

أهذا هو الحكم الذي يقارنه المنهزمون بالحكم الكهنوتي الثيوقراطي الذي كان أساطينه يعيشون في عزلة عن الجماهير ، يستمتعون بأطايب العيش ومترف الحياة ، وحولهم من أبهة الملك وجبروت السلطان ما لا يمكّن إنساناً أن يخالطهم في الرأي أو يناقشهم الحساب ؟

وإذا كان الحاكم بالإسلام – عدلاً وتقوى – لا يتمتع برغد العيش ولا أبهة الحكم ولا يطغى أو يتجبر ؛ فما الذي من أجله يحكم وفي سبيل ماذا يتسلم السلطة؟!

إنه رضوان الله الذي يبحث عنه المؤمن خاتمة المطاف وغاية الغايات !

إن الواقع الملحوظ والحقيقة الملموسة أن القمم الشوامخ من رجال العدل المطبقين لأساليب الحكم العف ؛ إنما تقوم حين يحكم الإسلام وتوضع الشريعة موضع التنفيذ .

أما حين يغيب الإسلام عن الساحة ، وتهجر شريعة الله في الأرض ، ويعذب السلطان فقهاء الأمة وعلماء الشريعة ؛ فإن كل التناقضات تطفو على السطح ، وكل التفاهات تتحكم في مصير الأمة تدفعها دفعاً نحو هاوية من التمزق والضياع ليس لها قرار .

والإسلام ليس مسؤولاً عن انحرافات المنحرفين وظلم الظالمين حين يغيب أو يحال بينه وبين حكم عباد الله بشريعة الله .

* عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة "[1]

---

(١) من حديث رواه مسلم .

*عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" [1]

ومن حديث عروة بن الزبير عن هشام بن حكيم بن حزام قال :

*أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول :" إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا " [2]

إن من الحقائق التاريخية التي لا يملك مكابر أن ينكرها عدداً من علماء الشريعة والفقهاء كانوا ضحايا بطش الحاكم وجبروت السلطان ، وأنهم قد نالوا من العذاب والأذى ما لا يحتمله إلا المؤمنون الأبرار والصديقون الأخيار .

ومعرفتنا لما وقع لسعيد بن جبير على يد الحجاج ، أو لأبي حنيفة على يد ابن هبيرة وما ناله الإمامان مالك وابن حنبل ، تؤكد لنا أن العذاب في المجتمع الإسلامي كان وما زال يقع للفقهاء وعلماء الشريعة على يد أصحاب النفوذ والسلطان لمجرد مخالفة في الرأي أو اعتراض على ظلم أو توجيه لتجنب معصية وعدوان .

ذكر عن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له : اختر لنفسك قتلة إني قاتلك بها ؟

قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة !

---

(١) من حديث قدسي رواه مسلم .

(٢) من حديث رواه مسلم .

قال : تريد أن أعفو عنك ؟

قال : إن كان العفو فمن الله . وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

فقال : اذهبوا به فاقتلوه !

فلما أخرج من الباب ضحك فأخبر به الحجاج فقال :

ردوه فرد فقال :

ما أضحكك ؟

قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك !

فأمر بالنِطع فبسط فقال : اقتلوه !

فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين .

قال : كبوه على وجهه !

قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

قال : اذبحوه !

فقال سعيد : أما إني أشهد وأحاجّ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة ، ثم دعا سعيد وقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي ، فذبح على النطع . قيل : عاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ، ووقع الأكلة في بطنه، فدعا بالطبيب لينظر إليه ، فدعا باللحم المنتن فعلقه بالخيط ، وأرسله في حلقه وتركها ساعة ثم استخرجها وقد لزق من الدم

فعلم أنه ليس بناج ، وكان ينادي بقية حياته مالي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي ، ودفن سعيد بظاهر واسط العراق "[1] .

وعن أبي حنيفة يقول الإمام التبريزي صاحب مشكاة المصابيح :

" وكان أكرهه ابن هبيرة أيام مروان بن محمد الأموي على القضاء بالكوفة فأبى ، فضربه مائة سوط في عشرة أيام كل يوم عشرة ، فلما رأى ذلك خلّى سبيله ، ولما أشخصه المنصور إلى العراق أراده على القضاء فأبى ، فحلف عليه ليفعلن وحلف أبو حنيفة لا يفعل ، وتكررت الأيمان بينهما فحبسه المنصور ومات في الحبس .

قال الحكم بن هشام : حدثت بالشام عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة ، وأراده السلطان أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره ، فاختار عذابهم على عذاب الله تعالى .

وروي أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها "[2] .

أرأيتم كيف تقف التقوى في وجه الظلم ، ويقف فقه العلماء في وجه الذين يحاولون استغلال الشريعة أو اخضاع أحكامها لشهواتهم ، ترهيباً بالسوط والسيف أو ترغيباً بالدرهم والدينار ؟!

إن الحكم لم يكن يوماً غاية عند المسلم ، ولكنه كان وسيلة لطاعة الله وخدمة الخلق ، فمن حكم بالإسلام لم يستغله ومن لم يحكم وأبى ظل القبس الذي يهدي

---

(١) الاكمال في أسماء الرجال للإمام التبريزي .

(٢) الإكمال في أسماء الرجال للإمام التبريزي .

الحيارى ويقود التائهين ولو كان وقود القبس وزيت المصباح قطرات من دمه وومضات من نور عينيه ! ..

وبعد فإن هذا هو حكم الإسلام يا منهزمون . .

حكم الإسلام كما أراده الله ونفذه نبيه وسار على هديه الخلفاء الأبرار والأمراء الصالحون.. هذا هو " حكم الإسلام " الذي يطالب به من جديد " دعاة الإسلام " الذين كان لهم شرف الدعوة إليه والسعي إلى تطبيقه في العصر الحديث ، ولو نالهم في سبيل ذلك الأذى والتشريد والموت على حبال المشانق :

" والإسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق فكل مسلم في أطراف الأرض وفي فجاج البحر يستطيع بمفرده أن يتصل بربه ، والحاكم الإسلامي لا يستمد ولايته من الحق الإلهي ولا من الوساطة بين الله والناس ، وإنما يستمد سلطته من الجماعة الإسلامية كما يستمد سلطته من تنفيذ الشريعة التي يستوي الكل في فهمها وتطبيقها متى فقهوها ، ويحتكم إليها الكل على السواء.

فليس لرجل الدين من حق خاص في رقاب المسلمين وليس للحاكم في رقابهم إلا تنفيذ الشريعة التي لا يبتدعها هو ، بل بفرضها الله " سبحانه " على الجميع أما في الآخرة فالكل مصيرهم إلى الله وكلهم آتية يوم القيامة فردا "[1] .

هذا هو حكم الإسلام كما أراده الله لعباده لا تسلط فيه ولا استعلاء ، ولا ظلم في حماه ولا استغلال : الناس أمام الحق سواء ، والخلق في أفيائه آمنون يحسون بأعمق معاني الإنسانية وأكرم مفاهيم الآدمية : ولقد كرمنا بني آدم !

---

(١) من كلمات الشهيد سيد قطب .

ومع ذلك فحكم الإسلام مرفوض مضيع بين أعوان " الشرق " وأعوان "الغرب" يستوي في ذلك اليسار الملحد واليمين الكافر !

إننا نرى في العالم " الغربي " اليوم مظاهر من رجوع القوم إلى طقوس صليبية توحي بحنين إلى رحاب الكنيسة وأفياء الهيكل ...

لقد حملت أعلام كثير من الدول – كبريطانيا وسويسرا واليونان – شارة الصليب حيثما ارتفعت يحميها نفوذ تلك الدول وسلطانها ، وطاف الصليب آفاق الكون على " طوابع " عديد من الدول الأوربية والأمريكية كلما تحرك البريد يحمل أنباء الناس وتحياتهم بعضهم لبعض !

وشهادات كثير من الجامعات العلمية في الغرب يعلوها الصليب ليباركها رمزاً للصلوات والدعوات بالتوفيق والنجاح .

ومن الأحزاب السياسية في أوروبا ما يعلن الشعارات " المسيحية " في العناوين والشعارات والأهداف .

وإنه ليطالعنا فوق العملة الأمريكية عبارة تدعو إلى الإيمان بالله ، والحكومة الأميركية أكثر حكومات الأرض حرباً للإيمان ومخالفة لروح الدين الحق الآمر بالخير والمحبة ، الناهي عن الشر والكراهية والأذى !

وأخيراً يقوم في قبرص دولة على رأسها مطران يردد في صلواته " دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله " ويدعو أتباعه إلى التفريق بين الدين والسياسة وفقاً لما يعرف من أوامر الكهنوت وتعاليم الكنيسة !

وعلى الرغم من رفع هذه الشعارا ت والدعوة لمثل هذه الأفكار في خطبهم وندواتهم ؛ فإن المسلمين مطالبون من الغرب ومطاياه والشرق ومضبوعيه ألا يذكروا السياسة أو يدعو إلى حكم الله في الأرض لأن الدين في نظر " المنهزمين " شيء والسياسة شيء آخر ...

وما يمكن أن يرد هنا من أسئلة واستفسارات حول معاملة غير المسلمين في ظل حكم الإسلام أمور لا يسأل عنها إلا جاهل أو متجاهل ..

فإن كان جاهلاً فان في بطون الكتب وتفصيلات الوقائع على مر العصور ما يأخذ بيده ويزيل الغشاوة عن بصره إن كان ينشد الحق ويبحث عن معرفة الحقيقة :

إن الحرية المعطاة لغير المسلمين في ظل الإسلام في حياتهم الاجتماعية والعائلية والاقتصادية والعقائدية لا يمكن أن تناله فئة من الناس في ظل حكم تخالفه، وتحت لواء لا تؤمن بدعوته ومحتواه : لقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجلد ابن فاتح مصر لأنه استغل نفوذ أبيه فضرب بالسوط شاباً قبطياً في مصر تقدم على ابن الحاكم في سباق جرى ، وقال الخليفة كلمته المشهورة التي ذهبت عنواناً شامخاً على رفعة كرامة الإنسان وحقه في الحياة الحرة الكريمة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! ..

* وأرسل أبو حفص رضي الله عنه قوافل تحمل مع الغذاء والكساء والدواء أعمق معاني تقدير المسؤولية والإحساس بالتبعة لمجموعة من النصارى المجذَّمين في قرى نصيبين النائية عن دار الخلافة .

*وأسكن المسلمون الأسر النصرانية في الدور العلوية ، وحل الجند الفاتح للشام بيوت السكن الأرضية حرصاً على أعراض النصارى من أن تكون تحت بصر الرجال من الفاتحين .

*وحكم قاضي المسلمين ليهودي على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ لأن اليهودي قدم بينة مزورة ما كان لأمير المؤمنين أن يقدم مثلها !

وحين كان المسلمون يحيون الإسلام مفاهيم سليمة ويعيشونه أحكاماً صحيحة عاملوا غيرهم معاملة تفيض بالرفق والمرحمة مما دعا أهل حمص أن يقولوا للقائد المسلم : لحكمكم أحب إلينا من حكم الروم من بني ديننا !

هذا بعض ما يمكن أن يلقاه " الغافل " حين يحمل مصباح " الانصاف " ليبحث به عن الحقيقة الضائعة .. أما المتجاهلون من المغرضين والمضبوعين والمطايا ، فهيهات هيهات أن يفيقوا ، ذلك أنه " لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " !..

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

فصل الدين عن الدولة

ضلالة مستوردة

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[الآية ٤٩ من سورة المائدة]

وقال صلى الله عليه وسلم :

((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائرٍ فأمَرَهُ فنهاه ، فقتلهُ))

حديث شريف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

فصل الدين عن الدولة

ضلالة مستوردة

من أخطر وأبشع ما يدعو إليه " المنهزمون " أن يفصل بين الدين والدولة ، وأن يحال بين الإسلام والحكم .. ظانين في دعوتهم تقدمية زاعمين فيها تحرراً وانطلاقاً ، وما دروا أنهم بذلك يكتبون صك عبوديتهم ويوقعون وثيقة هزيمتهم واستسلامهم .

والذي لا بد من تأكيده هنا أن جل كوارثنا في العالم الإسلامي تكمن في المناداة بهذا الشعار، وتنطلق من تطبيقه ، لأنه يحقق للعدو أغراضاً وأهدافاً ظل يحلم بها قروناً طويلة ، ويفتح له قلوباً وعقولاً ولا أقول أبواباً فحسب ، ينفذ من خلالها إلى ديار الإسلام سيداً قوياً يقلده الضعفاء ويسير على خطاه المضبوعون بعد أن كانت ديار الإسلام حصوناً تعز على الطامعين !

وقبل الحديث عن الأهداف التي يحققها العدو من وضع هذا الشعار موضع التنفيذ على أيدي أعوانه في ديار المسلمين ؛ لا بد من الإشارة إلى مصدر الشعار وتاريخ ميلاده والمكان الذي نشأ فيه وترعرع ، والمربين الذين أشرفوا على حمله وتبنيه وما بذلوا في سبيله من جهد ووقت ومال ، حتى غرسوا في عقول المسلمين مفهوماً جديداً لإسلام جديد لا يهتم بالسياسة ، ولا يعنى بشؤون المسلمين إلا في ميدان

المسجد وأروقة المحاكم الشرعية ، مع كثير من الهيمنة لقوانين لا تمت إلى الإسلام بأوهى رباط .. ومن قال بغير ذلك كان موضع سخط الحاكم وعضب المتآمرين .

بدأ الصراع بين الدين والسياسة في أوروبا في دوامة عنيفة من تنازع السلطة بين البابوات والأباطرة أو رجال الاكليروس ورجال الحكم .. وكان الشعب ميدان الصراع هو الضحية ، تارة يجذبه رجال الحكم والسياسة وتارة يخضعه رجال الدين واللاهوت ، وهو في حيرة من أمره إلى أن وجد الحل كما يتصور بأن اقتسم المتنازعون السلعة ، فكان التناقض وكانت الازدواجية في ميادين العقل والفكر والقلب والوجدان والوجود والكيان والسلوك الحياتي كله .

وارتضت الكنيسة بالصلوات والنذور والطقوس والركوع في الهيكل ، وهيمنت السلطة الحاكمة على النظام المدني والقوانين الوضعية التي تحكم كل شؤون الحياة .

صار للكنيسة ساعة من نهار الأحد إن تحققت ، وصار للحياة والمادة والمصنع والملهى والسياسة وسوق المال العمر كله ، يدير ذلك ويهيمن عليه حكومة لا تعترف للكنيسة بغير الطقوس والرموز ، ولا تقر لها بنفوذ إلا عند تأدية التراتيل والصلوات.. وليتمتع البابا بعد ذلك في مملكته الروحية ودولته الإكليرية ما شاء له التمتع في أجواء من الترف والفخامة والجاه مما لا يقر المسيح بعضه أو يرضاه ، ما دامت الدولة تتعامل بالربا وتبيح البغاء وتتاجر بالجنس على نطاق واسع باسم الحضارة ، وتسفك دم الإنسان وتسحق وجوده بالأسلحة النووية الفتاكة ولا نفوذ للبابا عليها ولا سلطان !

وحمل المستشرقون المقنعون بقناع العلم والبحث حيناً والمستعمرون الذين عَرَّتهم أساليب حكمهم الغاشم واستبدادهم البغيض ، حمل أولئك وهؤلاء دعوة فصل الدين عن الدولة ونادوا بها والببغاوات في ديار الإسلام تردد ما يقولون . ولئن اختلف القوم من أعدائنا في الأسلوب الذي يتبع في حمل الناس على الرأي والأخذ به.. أيكون عنيفاً شرساً يتحدى بوقاحة مشاعر المسلمين وعقيدتهم ، أم يكون لين الملمس ناعم العرض لا يخدش أحاسيس المسلمين ولا يستفز عواطفهم ، فقد اتفقوا على محاربة الإسلام وإخراجه من حياتنا تحت شعارات شتى من الحضارة والمدنية والتقدمية والتجديد ، ليؤدي ذلك كله إلى نتيجة واحدة هلَّلوا لها وبلغوا بها هدفاً من أهدافهم وغاية ذات بال : أن تفتت الأمة المسلمة ، وأن تقسم إلى وطنيات واقليميات وشيع وأحزاب ، كل حزب بما لديهم فرحون ، والعدو رابض على صدورهم ، آخذ بنواصيهم ، يمرغ جباه القادة في الوحل ، ويعمق في القاعدة أخاديد الذل والهوان ...

والحقيقة التي لا سبيل إلى انكارها أن " العدو " كان ماهراً بارعاً في إرساء مفاهيمه ، فلم يحمل الناس على ترك الدين وهجر الإسلام حملاً ؛ لئلا يقوم بين الناس مزيد من التمسك بدينهم والحرص عليه ، أو تقع ردة فعل عنيفة تدعوهم لرفض الفكرة والتخلي عن الشعار ، ولكنهم أرسلوا أفكارهم الهدامة ودعواتهم المضللة وفي ركابها الذين أعدوا لتسلم القيادة ليبطشوا بحملة الإسلام والدعاة إلى الله باسم الوطنية والثورية والتحرر المزعوم ، أو باسم التقدم والعلم والسير في ركاب الحضارة ، ويستوي عند العدو بعد ذلك أن يكون حملة السوط وناصبو المشانق ومطلقو

الرصاص في الظلام أقزاماً يسجدون لتمثال لينين في الشرق أو يركعون لتمثال الحرية الزائفة في حمى الدولار !

لقد بات خبر " جلادستون " في مجلس العموم البريطاني حقيقة تاريخية لا سبيل إلى انكارها حين أعلن والقرآن في يده : ما دام هذا الكتاب في ديار المسلمين فلن يقر لنا فيها قرار ...

ويقول جب : " إنه قد يبدو للنظرة الأولى أن الجمهرة العظمى من المسلمين لم تتأثر بمؤثرات دينية أوروبية ، وأن التفكير الديني الإسلامي قط ظل وثيق الاتصال بأصوله الدينية التقليدية . ولكن ذلك ليس هو الحقيقة كلها . فالواقع أن التعاليم الدينية ومظاهرها عند أشد المسلمين محافظة على الدين وتمسكاً به ، قد أخذت في التحول ببطء خلال القرن الماضي . فإن دخول عناصر جديدة على الحياة الإسلامية كان يقتضي ابراز بعض تعليمات الدين ، وتوجيه عناية أكبر إليها ، ووضعها في المكان الأول ، ووضع تعليمات أخرى في مرتبة غير أساسية . وإذا حدث هذا فمعناه أن الموازين الدينية والتعاليم الأخلاقية في الإسلام آخذة في التحول ، وأن هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربية في الأخلاق ، التي هي في الوقت نفسه متمثلة في التعاليم الأخلاقية للكنيسة المسيحية "[1] .

ويتساءل كامفماير الأستاذ بجامعة برلين في كتاب **Whither Islam** :

"هل يستطيع الإسلام أن يستعيد وحدته الداخلية في ظل التجزئة السياسية القائمة ، وتحت تأثير الآراء العصرية والعلوم الغربية ؟ وهل سيكون الإسلام عند ذاك عدواً أم

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين عن : **Whither Islam** .

أنه سيكون صديقاً وحليفاً ؟ أم أن الإسلام في سبيله إلى التفتت إلى وحدات قومية تعكس كل منها التأثيرات الأوروبية على طريقتها الخاصة وبأسلوبها المستقل ؟" [1].

ويقول كرومر – موجه السياسة والفكر في مصر في فترة من فترات الاذلال والاحتلال :-

" إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي . فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ، ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الانساني ".

ويقول أيضاً : " إن الإسلام يحرم المرأة من كل حقوقها ويعتبرها أحط من الرجل ، وإنه يبيح الرق ، وإنه دين متعصب متطرف يبيح لأتباعه أخذ المخالفين لهم في العقيدة أسرى حرب ورقيقاً ، ويكفر كل من لا يعتقد برسالة محمد ، ويجعل أتباعه جماعة من أنصاف الهمج المحبين للحروب الذين لا تتسع صدورهم لأي تسامح " .

" ثم يقارن كرومر بين المسيحية والإسلام ، ويحاول أن يبين فيها صلاحية المسيحية للعصر وتفوقها "..." [2].

ومثل هذه النصوص أوضح وأصرح من أن تشرح أو تبين مقاصدها وأهدافها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ومع ذلك انطلق أدعياء الحرية الذين بهرهم الغرب بزيف بريقه وصرعهم العدو تحت ضرباته الفكرية المتوالية وترويضه النفسي

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نصوص أشار إليها الدكتور محمد حسين في الأدب المعاصر منقولة عن **Modern Egypt** لكرومر .

المدمر ، حتى باتوا يؤمنون أن ذلنا وتخلفنا وفرقتنا نابعة من الإسلام وحده دون سواه !

وقد كان لأعضاء " الاتحاد والترقي " من " أحفاد الفكر اليهودي " دور كبير في اصطناع بشاعة ألصقوها بالإسلام ، وعرض خليط من تصرفات الناس وأخطاء الحكام ليبرزوها على أنها " حكم الشريعة " الهمجي الجائر ، وإلا من قال أن أمثال ولي الدين يَكَن حريصون على الإسلام وعزة المسلمين ؛ وهم الذين اتخذوا من الانجليز سادة ومن حكمهم النموذج الذي يطلبون وبلادهم الكعبة التي إليها يحجون لقد كان أولئك الأحرار المزعومون بلاء على الأمة حين طالبوا بفصل دينها عن الحياة بنفس الألسنة والقلوب التي يمتدحون بها الانجليز ، ويعترفون لهم بالفضل والجميل من مثل قول ولي الدين يكن في رثاء ادوارد السابع الذي يسميه أبا الأحرار ويطلق عليه لقب " الليث " و " الحامي " لا للإنجليز وحدهم بل لكل شعوب الأرض:

أبا الأحرار لا ينساك حر ... شبابهم يجلك والكهول

رفعتَ بناءهم وجريتَ معهم ... كذاك الليث يتبعه الشبول

تناديك الشعوب بكل أرض ... فليتك سامع ماذا تقول

تناجي منك حاميها المرجى ... وصولتها إذا قامت تصول

وليس غريباً أن يظهر أنصار " تركيا الفتاة " أو حزب " الاتحاد والترقي " على حقيقتهم في التغني بأمجاد الانجليز ؛ وهم الذين حاربوا الإسلام وعملوا على فصله عن الدولة والحياة بعد أن طبق مثلهم الأعلى وقدوتهم الأكبر أتاتورك تعاليم

هرتزل وأفكار اليهودية العالمية حين هددت السلطان عبد الحميد بهدم الخلافة واسقاط حكمه إن لم يستجب لمطامع اليهودية ويوقع وثيقة – باعتباره خليفة للمسلمين – يبيع بموجبها فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود ومستقراً لدولتهم . وقد كان .. فصلابة السلطان عبد الحميد ورفضه التخلي عن فلسطين – رغم أخطاء عهده– كان ثمنها النكسة الكبرى بل الكارثة التي باعدت بين المسلمين وإيمانهم ، فأضاعت عرشه ، وقوضت دعائم الخلافة ، ومكنت لأتاتورك وأتباعه في الحكم ، وأتاحت للمنهزمين اليوم أن يطالبوا بفصل الدين عن الدولة والحيلولة بين الإسلام والحكم والحياة ...

ولا يعني ما أشرنا إليه وما ورد في وثائق رسمية نشرتها مؤخراً وزارة الخارجية البريطانية بعد مرور أكثر من خمسين عاماً عليها بأن الأمر يمكن أن يتبدل لو أقر السلطان واعترف بفلسطين وطناً قومياً لهم بأن يتركوا الخلافة وشأنها، ولكن اصراره وصلابته عجلت هذه النهاية المرة التي ما زلنا نعيش في أفيائها التيه والضياع ونتجرع بسبب هجرنا للحكم الإسلامي غصص الذل والهوان ...

وقد تبنى شعار " فصل الدين عن الدولة " ودعا إليه في ديار الإسلام صحف مأجورة للعدو ، تصدر بالحرف العربي ، وترتدي مسوح العلم حيناً والغيرة على الشرق المتخلف المسكين حيناً آخر، وإمعاناً في التضليل لم تحمل الصليب شعاراً لها بل اتخذت " الهلال " عنواناً تنفث في أفيائه السم وتزرع في ضيائه العلقم .

لقد كانت صحف دار الهلال وأصحابها من أبناء جورجي وأحفاد زيدان في طليعة ألسنة الشيطان النفاثة في العقول والنفوس . والمقتطف التي كانت تمثل الاتجاه

الإنجليزي في مصر تحمل مقالات لأقلام خبيثة يحركها مأجور أو مغرور أو هما معاً من أمثال سلامة موسى الذي كان واضحاً بصراحة عدواً بوقاحة يعلن عداوته للعربية والإسلام في وضح النهار حيث يقول :

" كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله . فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا . فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني .

وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها . هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهرة فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب "[1].

ويمضي في وقاحة عجيبة كانت وما زالت تلقى من ألسنة المنهزمين من يرددها ويطرب لسماعها ؛ ولو كانت سبباً من أسباب الكوارث المدمرة التي جعلت كرامتنا وديارنا سلعاً رخيصة يساوم عليها العدو في سوق السياسة الدولية :

" وإذا كانت الرابطة الشرقية سخافة لأنها تقوم على أصل كاذب ، فإن الرابطة الدينية وقاحة . فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا "[2] .

ومع هذا ، فنحن أصغر على الله من أن يهبنا نصراً أو يحفظ لنا كرامة ما دمنا نسخر بدينه ونهزأ بتراث خير أمة أخرجت للناس ، فاستسلمنا في حرب جاد

---

(١) اليوم والغد لسلامة موسى .

(٢) اليوم والغد لسلامة موسى .

علينا العدو بتسمية لها من عنده حين سماها " حرب الستة أيام " وكانت في حقيقتها حرب ساعات سريعة خاطفة !

أما طه حسين الذي كان يومذاك يبحث عن الشهرة فلا يجدها إلا عبر كتب تحمل طابع السخرية من تراث الأمة والهزء بدينها والدعوة إلى نبذ كل قديم ولو كان يمثل المجد والعمق والأصالة ، حيث يعلن دون أن يحترم عقله فيما يدعو إليه أو عقول الآخرين فيما يجثهم عليه :

أن الطريق إلى النهضة والرقي (واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي : أن نسير سيرة الاوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب)[1] .

لقد أدرك " العدو " أن تطبيق الشعار الدخيل ووضعه موضع التنفيذ في ديار الإسلام يحتاج إلى جهد كبير وعمل متواصل ، مسبوق بتخطيط واعٍ ودراسات شاملة تستوعب كل جوانب الحياة في ديار المسلمين . وكان من نتيجة ذلك أن قرر أعداء الإسلام منفردين ومجتمعين أن يعملوا على :

١- إقامة المدارس التبشيرية التي يربى فيها قادة الغد وتصنع فيها عقول الناشئة ؛ ممن يعدون لتسنم مراكز الحكم وتسلم زمام القيادات الفكرية والسياسية والاقتصادية .

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين . ومن الانصاف أن نعلن أن للرجل اليوم رأياً آخر في كتاب مرآة الإسلام.

٢- انشاء الأحزاب اللادينية أو النفعية الفارغة أو دعمها ؛ لأنها هي التي تنفذ برامج الحكم ومناهج السياسة ، وتضع القوانين والأنظمة موضع التنفيذ ، ولئن كانت المدارس مصنعاً للعقول ومحاضن للقادة فإن الأحزاب تمثل المرحلة التطبيقية للتنفيذ والسيطرة .

وإذا كان الصراع بين الأحزاب يؤدي إلى إبعاد بعضها عن الحكم أو تسلمه لسدته ؛ فإن العدو لا يضيره من الأمر شيء طالما يتفق الجميع على تحقيق غايته وبلوغ هدفه : أن يبعد الإسلام عن الحكم والحياة !

٣- إقامة دور النشر وتشجيع الصحف التي تتبنى رأي العدو وتحمله للناس في شكل تعليق أو مقال أو صورة أو زجل يتغنى به الشعب في لقاءاته العفوية الساذجة أو منتدياته الفكرية العمياء.

واليوم .. حين يصر الدعاة إلى الله على تطبيق الإسلام في واقع الحياة عقيدة ونظاماً ومنهاج حياة ، ويدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية في شتى جوانبها ومعطياتها الخيرة ، لا يصطنعون لأنفسهم دعوة ولا يبتدعون منهاجاً ، ولكنهم يذكرون بمنهاج أصيل ، وينطلقون من منطلق عقيدة وتراث لم تعرف البشرية أروع منه ولا أرفع .

وهم حين يعتبرون نظام الحكم والعمل السياسي جزءاً من الإسلام لا يسوقون كلاماً جديداً أو يرفعون شعاراً وليداً ، ولكنهم يستمدون ذلك من مصادر التشريع

الإسلامي ، ويسعون إلى استئناف واقع عاشه آباؤهم من قبل وحاول " المستشرقون " والمستعمرون طمسه مثلما حاول " المستغربون " المضبوعون بكل ما هو غربي التنكر له والنكوص عنه ؛ ليظلوا يقتاتون من فتات الأجنبي العفن ، ويلعقون سؤره الملوث ما دام يتيح لهم زمام القيادة الفكرية والتسلط السياسي ، ويضمن لهم بحرابه أرائك الحكم وسرر الرفاهية !! .

إن اتهام الدعاة إلى الله بالخلط بين الدين والسياسة مهزلة رسم خطوطها عدونا ونفذها تلامذة أغبياء متآمرون حيناً آخر ؛ وإلا كيف يعقل أن يفهم الإسلام بلا سياسة والقرآن بلا حكم إلا إذا طمسنا من القرآن آيات وحذفنا من الإسلام تشاريع عرفها المسلمون ووعوها وطبقوها عبر قرون زاهية من الزمان ، كانوا فيها أعزة بالإيمان والعلم والعمل ، وكان أعداؤهم أذلة بالوثنية والجهالة والتبطل !

وقبل البحث في الأدلة على ما نقول لا بد من فهم معنى السياسة في الإسلام، والتفريق بين مفهومها في شريعة الله ومفهومها لدى المحترفين من النفعيين والانتهازيين ؛ لنرى البون الشاسع في الهدف والأسلوب والفارق البعيد في النتائج والمعطيات .

فالسياسة في الإسلام مشتقة من ساس " الأمر " أي دبَّره وحكم فيه بعد أن يكون المرء قد خبره ووعاه ، وهي على هذا حين تضاف للأمة وترتبط بها تعني تدبير شؤونها في مختلف الميادين وعلى جميع المستويات . فإن كانت ذات علاقة بالمال فهي سياسة المال أو الاقتصاد ، وإن كانت مرتبطة بعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول فهي السياسة الخارجية ، وما كان له ارتباط بتدبير شؤون الناس

في داخل الدولة فسياسة داخلية : إن تناولت مناهج التعليم وشؤونه فسياسة التعليم، وإن تناولت شؤون الزراعة أو التعدين أو غير ذلك فسياسة هذا أو ذاك...وكل ما أشرنا إليه خاضع للدين مستمد من العقيدة قائم على حكم الشرع . ورحم الله الإمام ابن تيمية حين وضع كتاباً ربط فيه بحثاً وعنواناً بين السياسة والشريعة فسماه " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " وكأنه بالعنوان يرد على المضبوعين بدعاوى الغرب المفتونين بحضارته الدائرين في فلكه دون وعي ولا تدبر !

أما مفهوم السياسة الملوث ووجهها الشائه المعروف بين الناس وفي أندية الثرثارين فهو ألاعيب قوم اتخذوا السياسة حرفة بلا تقوى ، وارتقوها سلماً بلا خلق ، وجعلوها وسيلة وصول إلى منفعة أو بلوغ غرض دنيوي هزيل ، يحمل الواحد من أجله وجوهاً عدة يتخذها في المناسبات ، ويعتبر المجتمع مسرحاً يعد نفسه للتمثيل على خشبته ، وتكون النتائج المتوقعة المرتقبة أن تنكب الأمة بطراز من أشباه الرجال الذين يحسنون الخضوع للأجنبي ، ويمهدون للعدو أن يحتل الأرض والعرض بعد أن يحتل الرؤوس فكراً والقلوب إعجاباً .. وعلى المدى البعيد يدرك الأجنبي الغاصب أن الأمة لا بد أن تعي أبعاد المؤامرة وأن تدرك عمق المأساة فتتحرك للخلاص ، لذا يعد لها من تلامذته الذين مكنوا له وعملائه الذين مهدوا سبيله من يحلون محله ويتسنمون مكانه عند رحيل جسده وجلاء حذائه ؛ مطمئناً إلى أن الأوفياء لعهده المضبوعين بفكره وحضارته من أبناء الأمة المغلوبة سيفوقونه في الحفاظ على مخلّفاته الفكرية ودعوته الحياتية ومنهاجه في السلوك .. وويل لمن يدعو

لنبذ الدخيل من العادات المستوردة من الفكر ، يعذبون على يد زعماء الظل وقادة الدمى ممن يدورون في فلك العدو ويقولون بقوله شيوعية كانت هويته أم رأسمالية ، صليبية عمياء كان شعاره أم يهودية عالمية حاقدة !..

إن شعار " الحيلولة بين الإسلام والحكم " والدعوة إلى " فصل الدين عن الدولة " في ديار الإسلام خاصة هدف يلتقي عليه كل أعداء الإسلام على ما بينهم من تنافر ونزاع ؛ لا فرق في ذلك بين صليبي حاقد ويهودي خبيث ومستشرق مضلل ومستعمر غاشم . ومن الغريب أن يلتقي أهل اليسار واليمين من المنحرفين على تبني هذا الشعار والعمل على وضعه موضع التنفيذ لأنه يبلغ كل واحد من هؤلاء غايته ويحقق له أهدافه ، والضالّون الصغار من المضبوعين يلهثون وراء تحقيق الشعار وتطبيقه ، باسم التحرر حيناً واسم التقدم حيناً واسم التطور حيناً آخر ، حتى بلغوا ما يريدون وما دروا أنهم فيما ذهبوا إليه متخلفون ولا يدرون ، عبيد ولايشعرون ، ولا يرضى عنهم صانعو المؤامرة ومدبرو المكيدة إلا إذا انسلخ الأتباع من ذاتهم وتنكروا لتراثهم وباعوا كرامتهم وأمجادهم في أسواق النخاسة الدولية على رؤوس الأشهاد !..

ومن الغباء أن يزعم بعض المضلَّلين ممن يحسبون أنفسهم على درجة من الفطنة والذكاء أن فصل الدين عن الدولة لا يعني إبعاد الدين عن حياة الناس ، بل للناس أن يكونوا متدينين كما يشاؤون في حياتهم الخاصة وفي سلوكهم الشخصي مع الآخرين ، ولهم — كما يزعم المضلِّلون — أن يسيروا في الطريق الذي يرتضون خلقاً ومعاملة وطابع حياة ؛ لأن فصل الدين عن الدولة يعني صياغة القوانين وسن

التشريعات ووضع الأنظمة التي تتناول العلاقات الرسمية بين الناس والحكومة من جهة وبين الناس والناس !..

ولعمري تلك فرية مضحكة ، بائسون دعاتها ، تعسون أولئك الذين ينادون بها إذا ظنوا أنها مصدقة لدى العقلاء ، مطمأن إليها لدى ذوي الوعي والبصيرة ، ذلك أن النتيجة الطبيعة لفصل الدين عن الدولة والحيلولة بين الإسلام والحكم أن يفصل بين الدين والحياة ، فلا يستمد منه خلق ، ولا يقوم عليه سلوك ، ولا يستوحي منه قيم أو مثل أو عادات .

إن فصل الدين عن الدولة معناه فصل الدين عن الحياة في كل مرافقها ، إذ يقوم للمجتمع تشريع موضوع وللسلوك عرف مصنوع وللأخلاق مقاييس جديدة مهزوزة قلقة لا تستقر على حال . وهيهات أن يبقى بعد فصل الدين عن الحياة في المجتمع الإنساني السليم معنى من معاني الفضيلة أو حقيقة من حقائق الخلق أو قيمة من قيم الخير للإنسان ؛ لأن التشاريع التي توضع إذ ذاك والقوانين التي تطبق والحكم الذي يسيطر لا يسأل الدين رأيه في عقيدة أو معاملات أو سلوك أو عادات !

لقد صار للناس في أوروبا والغرب كله مقاييس جديدة من الأخلاق يختلفون على أسسها : على الموعد والعمر الذي يحق للفتاة أن تمارس فيه الجنس حرة دون قيد ولا وازع .. أيبدأ في الخامسة عشرة أم في السادسة عشرة ؟.. والكنيسة تسهم مع القوم دون حرج في هذا الحوار الهابط لعلها تفوز بعام يزيد أو بعض عام !

وصار للناس في أوروبا والغرب كله مقاييس جديدة في السلوك يسمحون معها أن يمارس الجنس على قارعة الطريق وفي الحدائق العامة ، على أن يكون ذلك بين

فتى وفتاة أو بين رجل وامرأة .. أما أن يشاهد شاب يمسك بيد صديق له أو رفيق على مرأى من الناس فتلك كبيرة لا تغتفرها المقاييس الخلقية في الغرب ، بل تجعل من صاحبها مثاراً للاستنكار وهدفاً للعيون تلتهمه في سخرية واشمئزاز ...

وصار من ثمرات فصل الدين عن الحياة أن يقوم في المجتمع أعراف جديدة تفرضها طبيعة الحياة المادية الصاخبة المتكالبة على الكسب بكل وسيلة ، حتى تنكّر الوالد لولده والولد لوالديه والزوج لزوجه والأخ لأخته ، لأن الجميع باتوا في تمزق لا يجمعهم آصرة من رحمة ولا خفقة من وجدان ، وباتت الأسرة إن وجدت مجرد مجموعة من الأفراد يلتقون في نهاية الأسبوع ساعة من نهار ليفر كل إلى صاحب أو خليلة في دوامة من التطاحن والنهم الذي يدوس العرض ويهدد الكرامة ويسحق إنسانية الإنسان !

ولم يكن ذلك الذي نشير إليه ثمرة بطيئة الجنى من ثمار فصل الدين عن الحياة ، بل كان ذلك كله أولى الخطوات على الطريق وأولى المرتكزات والدعائم التي تستند إليها الحياة الجديدة .

ألم يكن من أولى خطوات الطريق الوعر الشائك الهابط الذي قادنا إلى الذل والمهانة حين حيل بين الأمة وإسلامها على يد " أتاتورك " أن تحارب لغة القرآن باسم التطوير والتحديث بإلغاء الحروف العربية واستبدال الحروف اللاتينية بها لتكون الخطوة العملية الأولى على أرض الخلافة يومذاك ، ومن بعدها خطوات ودعوات للمؤامرة ما زال صداها يتردد بين الحين والآخر على ألسنة الحاقدين ومن سار في ركابهم من الفارغين والفارغات ؟

ألم يكن من أولى خطوات الطريق المحفوف بالعار ، وأولى بذور الحقل المغروس بالمذلة أن تتبرج المرأة وأن تهبط جسداً ونفساً وكرامة ، تعرض سوءتها على شواطئ البحر وفي منتديات الليل في حفلات الرقص وسهرات العري ومسابقات الجمال .. آخر ما ابتكره عقل الإنسان الشيطان من أسواق للنخاسة ؟

وكانت هذه إحدى المعالم التي بذر بذرتها في تركيا مصطفى كمال ليقدم البرهان على إخلاصه لأعداء الإسلام يوم ألغى الخلافة وحال بين الإسلام والحكم ؟!

ألم يكن من معالم المؤامرة في أولى خطوات منفذيها من المضبوعين والمهووسين أن يعتمر المسلمون القبعات فكرة لا زياً ، ورسالة لا مظهراً من مظاهر الحياة فحسب حتى إن سلاّمة موسى الكاتب الحاقد على الإسلام يعتبر ذلك دليل صحة وعافية وتفتح عقلي وتطلعات حضارية وهو يرى أن (اصطناع القبعة أكبر ما يقرب بيننا وبين الأجانب ويجعلنا أمة واحدة)[1] بل يرى أن القبعة (رمز الحضارة يلبسها كل رجل متحضر سواء أكان يابانياً أم صينياً أم انجليزياً أم أمريكياً)[2].

أليس هذا برهاناً على بداية جديدة لتربية الرأس المسلم كما يقول الرافعي رحمه الله تربية جديدة ليس فها ركعة ولا سجدة ؟!

ولم يكتف مصطفى كمال بإسقاط الخلافة حكماً وإعلان فصل الدين عن الدولة تشريعاً وإنما راح يسوق للصليبية الحاقدة واليهودية الماكرة الدليل تلو الدليل على أنه لا يقف عند حد فصل الدين عن الحياة — على بشاعة العمل — بل إن من أهدافه

---

(١) من كتاب اليوم والغد لسلامة موسى .

(٢) من كتاب اليوم والغد لسلامة موسى .

بعد تسلم الحكم أن يحارب الإسلام ديناً وعقيدة.. وكان " البرهان " على ما يقول والدليل على ما يدّعي خطوات متلاحقة ، وصور تمثل الصرع اللاوعي والهستريا العمياء التي طمأنت عنه بال المتآمرين وحققت له رضاهم .

فكانت محاربة لغة القرآن .. وكان إلغاء الأذان بالعربية .. وكان التقليد الغبي في الأزياء والاندفاع في تيار حياتي مغاير لكل ما يربط تركيا بالشرق أخطأ ذلك التيار أم أصاب ، حتى (إن وزارة التجارة التركية نظمت في عام ١٩٢٦ معرضاً على نفقة الحكومة في باخرة متنقلة تطوف بالموانئ الأوروبية الشهيرة وعليها خمس وعشرون فتاة من فتيات تركيا الجديدة ، وكلهن كما تقول صحيفة السياسة الأسبوعية[١] جميلات مقصوصات الشعور ، لا يكاد يميزهن الرائي عن فتيات (لندن وباريس) ويقول مراسل الصحيفة نفسها إن أكثر الفتيات يتكلمن الإنجليزية بإتقان يدعو إلى الدهشة ، وأن بعضهن قد تلقى العلم في الكلية الأمريكية بالقسطنطينية .. ويروي المارسل بعض ما صرحت به الفتيات من مثل قول إحداهن في بعض الموانئ الإنجليزية : إن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير في الطرقات في ظلام .. وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا)[٢] .

ونحن لا نسوق هذه الصورة لغرابتها عن مجتمعنا اليوم ففيه أبشع منها وأسوأ بعد أن تعرت المرأة والرجل على شواطئ البحر بل على أرصفة الشوارع في كثير

---

(١) أشار إلى ذلك الدكتور محمد محمد حسين في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ج٢ ص٢٥٥ .

(٢) أشار إلى ذلك الدكتور محمد محمد حسين في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ج٢ ص٢٥٥ .

من البلدان وبعد أن اختلط الأمر على الرائي أرجلاً يرى أم امرأة ؟ ولكنا نسوقه لنبين أن من مستلزمات الفكر المنهزم الذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة فصل الدين عن الحياة ، ثم يتدرج الأمر حتى يعيش الفرد وتحيا الأسرة وتنهار دعائم المجتمع على غير دين ولا خلق ولا نظام ، والأمة المسلمة المهزومة تتجرع على دفعات كؤوس السم في الدسم مسلوبة الإرادة مخدرة الإحساس ذاهبة العقل !

وسؤال لا بد من طرحه وسوقه في دوامة الضياع التي تحياها أمتنا مخدرة مهزومة . .أي إنسان ذلك الذي دعا أو نفذ فصل الدين عن الدولة ولم يفصل الدين عن الحياة ؟ بل لم يحارب تراث أمته أو ينسلخ عن ماضيها باسم التحرر والتقدم والفكر المعاصر .. حتى الذين يَلِغون في سؤر الغرب الصليبي ويقتاتون من فضلاته ويطوقهم العدو بما يطوق به الكلاب والقردة من أطواق وأوشحة ؛ لا يتورعون بين الحين والآخر عن تقديم الدليل للسادة على تقدميتهم بغمز الإسلام والطعن فيه إن لم يبطشوا بدعاته ولم يذيقوهم ألواناً من العذاب وصنوفاً من النكال ! !

إننا فيما نسوق من رأي وما نعتمد من فكر إنما نستند إلى أدلة من القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد بل من واقع التاريخ الأمين ومن طبيعة الإسلام نفسه علّ الغافلين ينتبهون والمنهزمين يعودون .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من القرآن الكريم

إن الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ليحال بين الإسلام والحكم خطيئة دينية كبرى يخالف صاحبها أمر الله جل وعلا ، ويتنكر لتعاليم الرسالة الإسلامية التي حملها محمد ﷺ.

أما مخالفة القرآن الكريم فقد أنزل الله في كتابه :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١)

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢)

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣)

وهي دعوة بل أمر صريح للحكم بما أنزل الله لا مجال لإنكاره أو تأويله ..

فما الذي أنزله الله ؟ وعلى من نزل ؟ ومن المعني بهذا القول وتلك الآيات ؟

والقرآن كما نعلم يفسر بعضه بعضاً حيث يأمر الله نبيه في موضع آخر من الكتاب :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ (٤) .

---

(١) الآية ٤٤ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(٣) الآية ٤٧ من سورة المائدة .

(٤) الآية ٤٨ من سورة المائدة .

وحتى لا تمزق كلية الدعوة ولا ينتقص تكاملها حذر رب العزة نبيه من الاصغاء لأصحاب الهوى أن يفتنوه عن الحكم ولو ببعض الكتاب فقال :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١)

فلا يكون للضالين حجة حين يزعمون الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ثم يطالبون بتطبيق أنظمة من هنا وأخرى من هناك تحت عناوين من الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية ، زاعمين أن مثل هذا لا يخالف الإسلام ولا يتنافى مع أحكامه ، متناسين أن النهي كان عن ترك بعض ما أنزل الله فكيف بالكل :

﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢) .

لأن مثل تلك المناداة ببعض الإسلام وترك بعضه الآخر تضع المسلمين أمام تساؤل رهيب يدمغ القلوب بالزيغ والجباه بالهوان :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الآية ٤٩ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٤٩ من سورة المائدة .

(٣) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

ولسنا هنا بصدد تحديد الحكم الشرعي القاطع في حق من لم يحكم بما أنزل الله ممن يتسمَّون بأسماء مسلمة ويعلنون من النداءات ما لا يخرجهم عن الإيمان أو يدمغهم بالكفر البواح .. ولكنا نسوق قولاً لابن عباس يرضى به القلب وتطمئن له النفس :

(يروي ابن جرير عن علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

قال : من جحد بما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به ولم يعمل به فهو ظالم فاسق . وروى مثل ذلك عن عكرمة)

" وأخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم ﴾ قال : فقلت : إنما نزلت على بني اسرائيل ولم تنزل علينا ، قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها فقال بعد ذلك : " لا بل نزلت علينا " ولعل مراده بنزولها على بني اسرائيل أنها نزلت في شأنهم وقصتهم ، أما حكمها فهو عام شامل " .

من السنة المطهرة

ليس من حقيقة الإسلام ولا تمام الإيمان أن يعتزل المسلمون أفراداً وجماعات مجتمعهم ثم يسلموه للطغاة والمارقين والمستبدين ، أو الفجرة والمنافقين بدعوى أن المسلم يكفيه من دنياه علاقته بربه من صلاة وصيام كما يزعمون .. أما أمور المسلمين الأخرى

وتدبير شؤونهم السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها فتترك لحفنة من الناس يوسعون الأمة ظلماً ومهانة ، وينشرون عليها ألوية الاستبداد ورايات الضلال!

ومن أوضح وأروع ما قاله الرسول ﷺ في هذا الباب ما نراه اليوم مطبقاً في واقعنا التعس وحياتنا المتخاذلة :

* " لتنقضنَّ عُرى الإسلام عروة عروة ، فأولها نقضاً الحكم وآخرها الصلاة "

ولا يقف الرسول ﷺ عند حد تطبيق الحكم بكتاب الله في عهده ؛ وإنما يبين الخطة لمن بعده من الخلفاء ويوضح معالم الطريق للأمة المسلمة جمعاء :

* " قيل يا رسول الله ، ما للخليفة من بعدك ؟ قال : مثل الذي لي .. وما عدل في الحكم ، وأقسط في القسم ، ورحم ذا الرحم ، فمن فعل غير ذلك فليس مني ولست منه " .

ثم ما مفهوم المنهزمين المطالبين بفصل السياسة عن الإسلام لقول سيد الخلق ﷺ إن كانوا قد سمعوا به واطلعوا عليه :

* " إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم ؛ فقد تُودِّع منها – وفي رواية – فبطن الأرض خير من ظهرها " .

وما رأي المنهزمين الذين يحسنون الركوع للأجنبي سوطاً وذهناً وكتاباً في الدرجة الرفيعة التي يبشر بها الرسول الأعظم من يأمر الإمام الجائر وينهاه :

* " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام لإمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .

أي تدخُّل في السياسة أبعد مدى من هذا التدخل ؟ وأي وعي سياسي أعمق من هذا الوعي المؤمن الذي يحثُّ عليه الرسول الكريم كل فرد من أبناء أمته ؟

" لما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن .. فكيف كان الحوار بينهما وعلى أي أساس دار ؟

- بم تحكم ؟

قال : بكتاب الله

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسوله

قال : فإن لم تجد ؟

قال : اجتهد رأيي ...

فقال رسول الله ﷺ :

" الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله "

أي تصريح .. أوضح من هذا الذي نراه متمثلاً في هذه الحادثة وهذه المخاطبة الواعية التي تعني أولاً وأخيراً : الحكم بما أنزل الله وما أمر به رسوله ؟!

إن المتتبع لتفاصيل السيرة النبوية الشريفة ووقائعها الطاهرة ؛ يرى أن رسول الله ﷺ كان ينبع من معنى نبوته معان لا سبيل إلى إنكارها جعلته :

إماماً في المحراب .

وقاضياً يحكم بين الناس .

وقائداً عسكرياً يخوض المعارك ببطولة وبسالة ضد الشرك والضلال ، حتى إن علياً رضي الله عنه — وهو علم من أعلام الجهاد — يقول :" كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق لجأنا إلى رسول الله ﷺ " يستمدون منه أسمى معاني البطولة والثبات والحزم .

وكان ﷺ سياسياً يدير شؤون الأمة الداخلية والخارجية على أحسن وجه وأروع صورة .

وها هي سيرته تشهد على أنه كان يبرم العهود والمواثيق بين المسلمين والمشركين حيناً كما حدث قبيل واقعة الخندق وتجمع " الأحزاب " .

ومع اجتماع هذه الأمور جميعاً لرسول الله ﷺ قبل اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتوزع الاختصاص لم نسمع أن مسلماً واحداً في عهده الكريم منذ بعثه الله نبياً رسولاً إلى أن التحق بالرفيق الأعلى قد احتج على سلوك مثل هذا المنهاج وعمل الرسول الكريم الهادف الجاد في ميادين العبادة والقيادة والحكم . ذلك أن المسلمين الأوائل فهموا الإسلام حق الفهم وأدركوا أن السياسة والقيادة جزء من الإسلام ، لأن الإسلام في نظرهم ليس مجرد ركعات أو أدعية إنما هو نظام شامل يعالج شؤون الحياة جميعاً .

من أقوال الخلفاء الراشدين

* قال خليفة رسول الله ﷺ ، أبو بكر الصديق رضوان الله عليه حين تولى الحكم بعد حمد الله والثناء عليه :

" أما بعد أيها الناس ، فإني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم عندي قوي حتى (أرد) عليه حقه إن شاء الله تعالى ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"

أرأيت أروع من هذا الربط وأوثق بين الحكم وطاعة الله وإقامة الصلاة ؟..

إن أبا بكر صاحب رسول الله وخليفته في حكم المسلمين وتطبيق شريعة الله كان يرى أن عمله في المحراب خشوع لله وطاعة ، وأن عمله في مجلس الحكم حين يطبق أحكام الإسلام طاعة لربه كذلك وما من تنافر بين الأمرين إلا في ذهن كل موتور ونفس كل جاهل ...

* ويروي أنس رضي الله عنه فيقول : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر يتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

" أيها الناس قد كنت قلتُ لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي وما وجدتها في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله ﷺ ، ولكني كنت أرى رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا ، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم لما هداه له ، وإنَّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وأولى الناس بأموركم فقوموا فبايعوا .. فبايع الناس بيعة عامة بعد بيعة السقيفة " .

وفيما ذكرناه من كلام عمر رضوان الله عليه نرى حرصه على الحكم بكتاب الله والرجوع إليه في أمر سياسي بحت هو البيعة للخليفة والطاعة للحاكم المسلم في إدارة شؤون الأمة المسلمة وتدبير أمورها في الداخل والخارج .. فهل من مدَّكر ؟!

* ومما أثر عن عثمان رضي الله عنه قوله : " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " حيث يبين لنا أن التوجيه بغير مُنَفِّذ له لا يجدي ولا ينفع ، وأن التشريع بغير حاكم يطبقه يظل في سطور الكتب أو صدور الرجال ...

* يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : " إنا لم نحكِّم الرجال وإنما حكمنا القرآن . وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بدَّ له من ترجمان ، وإنما ينطق عنه الرجال ، ولما دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي على كتاب الله تعالى . وقد قال سبحانه : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول .. فردُّه إلى الله أن نحكم بكتابه ، ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته " ثم يقول رضوان الله عليه : " اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا

منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، وتظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك ".

ويتضح من كلام أمير المؤمنين علي أن مطالبته بالخلافة لم تكن إرضاء لشهوة الحكم في النفس البشرية ، أو حباً بمنصب دنيوي زائل ، بل كان الأمر لتحكيم كتاب الله وسنة رسوله حتى تقام حدوده وتسعد الرعية في أمن وسلام .

* ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : " سنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام والخلفاء من بعده سنناً ، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً " ويقول رضوان الله عليه : " إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً ، فمن عمل بها استكمل الإيمان ، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص ".

ومن هذا نرى كما يرى هذا الخليفة الراشدي الذي كان في زهده وعدله حقيقة فاقت الأساطير أن المؤمن الذي لا يرى الحكم بكتاب الله إنما هو مشوه الإيمان مجتث العقيدة ، إذ يسير على غير هدى الله ، وأن من يرى تبديل أحكام الله أو إلغاءها — كما يرى المنهزمون اليوم — أصلاه الله جهنم وساءت مصيراً ...

من واقع التاريخ الأمين

كان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ يقومون بمهام أمور متعددة ، من قيادة جيش، وحكم أمة ، وتصريف أمور المال ، وتدبير شؤون الناس جميعاً ، إلى أن اتسعت رقعة الأرض المفتوحة ، وامتدت أطراف الدولة ، وكثرت تبعاتها ، فكثر المختصون والمصرفون للأمور في القضاء والحكم والجندية والمال كل فيما يحسن ويجيد وكل ميسر لما خلق له .

ولم نسمع أن مسلماً اعترض على خليفة من الخلفاء أو حاكم من الحكام لأنه جمع بين الإمامة في الصلاة والإمامة في الحكم ، وإنما سمعنا وقرأنا عن كثير من الناس كانوا يطالبون الحاكم أن يعود إلى أمر الله حين يحيد عنه ، وسمعنا وقرأنا عن كثير من العلماء والفقهاء الذين وقفوا في وجوه بعض الحكام لأنهم حاولوا أن يستغلوا الإسلام أو أن يبعدوا روحه عن سلطة الحكم ، وقد وقع ذلك قبل أن يلوث المسلمون بسموم الغرب وحضارته المادية المتآكلة ، وكانوا يومئذ في حمى الإسلام يجمعون على أن الدين لا بد أن يتغلغل في كل مرافق الدولة وكل جنبات الحياة من بيت ومدرسة وحقل ومصنع ومحكمة ومسجد ومعسكر وبيت مال ومجلس حكم لأن في الإسلام وحده صلاح الدارين .

إن إصرار أبي بكر رضي الله عنه على مقاتلة مانعي الزكاة يؤكد أهمية الترابط الوثيق بين مفاهيم الإسلام وأوامره ونواهيه وتشريعاته .. وإلا فما معنى اصراره رضوان الله عليه وهو صاحب رسول الله وتلميذه الواعي على مقاتلة قوم رضوا

بإعلان الشهادة وامتنعوا عن تأدية جزء يقوم عليه الجانب الاقتصادي في قواعد الإسلام وأصوله ؟

ذلك لأن الإسلام دعا للتكامل بين أجزائه واعتبر في وضوح وإصرار على أن هذا التشريع المالي إنما هو ركن عبادي من أركانه الأساسية .

ومن البديهي المسلَّم به أن المؤرخين حتى المغرضون منهم يجمعون على أن البيعة كانت تتم للخليفة على أساس أن يحكم بالكتاب والسنة ، وأن الطاعة والولاء له باعتباره يطبق أحكام الشريعة ، وإلا فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن هنا يتبين أن شرط صحة البيعة ودوامها للإمام هو الحكم بما أنزل الله وما استنه رسوله الكريم . ولم نسمع في أية فترة من فترات التاريخ الإسلامي كله — باستثناء الدعوة المعاصرة التي يتبناها أحفاد الفكر اليهودي — من يطالب فرداً أو جماعة بإبعاد الإسلام عن مجال الحكم أو الجندية أو الاقتصاد أو التربية والتعليم أو غيرها من شؤون الحياة ، بل كل الذي وصل إلينا وحفظه التاريخ أن الوقوف في وجه الحاكم كان على أساس بعده عن الأخذ بأحكام الشريعة أو مجانبته لبعضها ، إذا استثنينا الحركات التي كانت تدعو بين الحين والآخر إلى العودة لعبادة النار ودين المجوسية قرمطية كانت أو مزدكية !!

وحتى في العهد العثماني الذي تتقزز منه نفوس " المنهزمين " على موائد الخمر ، كان قضاته رجالاً لا يبلغ المنهزمون لهم مدى ، ولا يرتفعون إلى مواطئ نعالهم وهم شامخون بعزة الله أذلاء بين يديه :

حضر السلطان بايزيد إلى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد حمزة الفناري قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رفعت إليه . فما كان من قاضي القسطنطينية إلا أن يرد شهادة السلطان ولم يقبلها . ولما سأل السلطان عن وجه ردها. جاءه الجواب الحاسم من القاضي المؤمن الذي لا يرهبه سلطان : إنك تارك للصلاة مع الجماعة ...

أرأيتم ما طعن في صحة شهادة السلطان وجرأة القاضي الذي يستمد سلطته من شريعة الله لا من قوانين المضبوعين والمنهزمين .. وكان جواب السلطان أن بنى جامعاً في الحال أمام قصره وعيَّن لنفسه موضعاً فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

ومثل هذه الحادثة يؤكد لنا ويبين الترابط المتين والصلة الوثقى بين أنظمة الإسلام جميعاً باعتبارها كلاً لا يتجزأ ، ولم يقل أحد في مثل هذا الموقف :

هذا سلطان .. وتلك صلاة .. وذلك قضاء .. فما العلاقة بينها ؟

لقد ذخرت المكتبة الإسلامية بعدة مصنفات وتآليف قيمة في سياسة الحكم وسياسة المال على السواء على أسس إسلامية خالصة نذكر منها :

كتاب " الأموال " لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، وكتابا " الخراج " : أحدهما لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٢هـ والآخر ليحيى بن آدم القرشي المتوفى سنة ٢٠٢هـ ، وهما كتابان يبحثان في السياسة المالية . أما السياسة العامة ففي مقدمة مؤلفاتها : " الأحكام السلطانية " لأبي الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ و " الأحكام السلطانية " لمعاصره القاضي أبي يعلى ثم "السياسة الشرعية في

إصلاح الراعي والرعية " للإمام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ وكتاب " الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية " لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ .

أبعد هذا الذي نسوق من تراث وما نعرض من أقباس حضارية مشعة بالعدل غامرة بالفضل ينبري أحفاد الفكر اليهودي من المنهزمين يسألون :

أين هو نظام الحكم في الإسلام وأين هي الأنظمة التي يريدون أن يحكموا بها المجتمع ؟ إنها كارثة تحياها أمتنا وستظل تحياها بمرارة وحرمان وضياع وهو أن ما بقي للمنهزمين في صفوفها : الصدارة في السياسة والقيادة في التوجيه .

من طبيعة الإسلام نفسه وتعاليمه الواضحة

من فرائض الإسلام التي كلف المسلم بأدائها : الجهاد في سبيل الله لحمل الدعوة الإسلامية وحماية ديار الإسلام ، وإننا لنرى في القرآن الكريم آيتين تختلفان في الموضوع والحكم لتعلق كل منهما بحكم معين ولكنهما متفقتان في صيغة الطلب .

" كتب عليكم الصيام " و " كتب عليكم القتال " .

مع ما نعرفه من تخصيص بعض سور القرآن للدعوة إلى الجهاد كالأنفال والتوبة التي حوت من الأنظمة الحربية وشؤون القتال ، بالإضافة لما ورد في سور الحجرات والحج والنساء وآل عمران والأحزاب والبقرة ؛ مما يؤكد أهمية الموضوع ويعتبر الجهاد كما يصفه ﷺ : ذروة سنام الإسلام .

ولم يفصل الإسلام بذلك موضوع الحرب وتنظيم شؤون الجيش وبث الروح المعنوية بين الجند وتنسيق تحركاتهم عن الدين نفسه لأن مثل ذلك الفصل يتنافى مع طبيعة الدين نفسه وتعاليمه الشاملة المتكاملة .

ويختلف الإسلام عن غيره من الأديان المتعددة — وهذا ما يريد المنهزمون أن يتعاملوا عنه — بأحكام جدت فيه ولم يسبقه إليها دين آخر أو نظام سواه ، إذ يرى المطلعون على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسنة المطهرة ولو بصورة سريعة عابرة أنها تشتمل على أحكام كثيرة غير أحكام التوحيد والعبادات :

ففي العلاقات الدولية :

تعرض للمعاهدات والمواثيق وإعلان الحرب والاتفاقات بين الدول ومعاملة الأسرى ودار الحرب ودار الإسلام وغير ذلك .

وفي القضاء :

دعا لاستقلال القضاء عن هوى الحكام وجعل القاضي يستمد سلطته من الشريعة لا من الحاكم ، وذكر صفات القاضي والشهادة والوكالة والكفالة والحوالة والإقرار والدعوى وما إلى ذلك من شؤون القضاء .

وفي العقوبات :

فصل في الحدود .. حد الزاني والسارق وشارب الخمر وقاذف المحصنات وغيرها من العقوبات الأخرى كالحبس والتعزير والدية وغير ذلك مما يراه الحاكم مناسباً للجريمة القائمة أو المخالفة المرتكبة .

وفي السياسة والحكم :

دعا إلى الأخذ بالشورى وأكد على محاسبة الحاكم وبيَّن تحديد المسؤولية في كل أمر واستمداد الحاكم سلطته من التشريع ، وأوجب وحدة الأمة وأمر بالعدل والإحسان .

وفي الاقتصاد وسياسة المال :

دعا لإحياء المَوات ، وفصَّل في شروط الملكية ، وحرّم الربا والاحتكار والغش والاستغلال ، وبيَّن أحكام البيع والرهن والشركة والإجارة والمساقاة والمزارعة والخراج والعشر والزكاة والحجر والإكراه والغصب والإتلاف وغير ذلك مما يضيق عن ذكره هذا المقام .

وفي الأحوال الشخصية ونظام الأسرة :

تسامى بآصره الأبوة والأمومة والبنوة وحق كلّ وواجباته وشرح أمور الزواج والطلاق واللِّعان والظهار والعدة والنفقة ، وعمل على بناء البيت الإسلامي على أسس وطيدة من التفاهم والتكافل والمرحمة .

وفي التربية والتعليم :

عرض لأهداف التربية والتعليم وأغراضها ووسائلها وبيَّن العلاقة بين الطالب والمعلم ، وأهمية التربية في حياة الأمة وأثر العلم في كيانها ، كما وضح فضل العالم على العابد حتى قامت الجامعات والمدارس في أفياء المساجد والمحاريب .

وفي الجهاد والجندية :

بيَّن أساليب الهجوم والدفاع والانسحاب ورسم الخطط وصلاة الميدان وإعداد الجيش وأثر القوة المادية والمعنوية وما يتعلق بأرض العدو وصفات الجندي الصالح والقيادة الصالحة والعلاقة بين القائد والجندي .

وإن المجال ليضيق عن السرد فما بالك بشرح ما تناوله الإسلام من أحكام تتناول شؤون الحياة في مختلف ميادينها الرحبة ومجالاتها الفسيحة . وقد تكفل بذلك علماء فضلاء عبر العصور، وإن نظرة خاطفة لما تخرجه المطابع اليوم من كتب قديمة محققة مشروحة أو كتب حديثة تقدمها أقلام مؤمنة لرجال قطعوا العهد : أن يكونوا جنداً لهذا الدين وحماة لهذه الرسالة . كل ذلك يقطع الطريق على " المنهزمين

" الذين لا يعرفون من أمور دينهم ودنياهم معاً إلا ما يمليه عيهم العدو ، وما يخططه لهم " أحفاد الفكر اليهودي " باسم التجديد والتقدمية والقوانين الحديثة والفكر المعاصر !..

من أقوال الأئمة والعُلماء

يقول الإمام ابن كثير في تفسير قول الله تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

" ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون من الضلالات والجهالات مما يصبغونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما كان يحكم بها التتر من السياسات المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم " الباسق " وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام من مجرد نظره وهواه ، فصارت في قومه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله"[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير .

ألا يصور هذا العالم الجليل واقع ديار الإسلام اليوم ، فكم " باسق " فيها وكم " جنكيز خان " ! حيث وضع كل قائد شرعة واتخذ كل بلد " ميثاقاً " يحتكم إليه بدل القرآن .. أليس هذا هو الضلال بعينه الذي أشار إليه ابن كثير يرحمه الله؟!

ويؤكد الإمام الغزالي أهمية الحكم في الإسلام أمتن توكيد حيث يقول :" ثم اعلم أن الشريعة أصل ، والملك – يعني الحكم – حارس ، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع " وواضح ما يعنيه أن الحكم بغير شريعة الله فاسد لا تقوم له قائمة ، وأن الشريعة إنما يضيعها أهلها وحملتها يوم يهملونها ولا يكون لها دولة تحملها للناس كافة وتنشر نورها في ربوع العالمين .. وأي ضياع أكبر من ضياع نحياه اليوم ، وأي تهدم وشتات تعيش في أفيائه أنظمة الحكم في ديارنا المستباحة المغتصبة؟!

ويقول كبير علماء المسلمين في الدولة الإسلامية في العهد العثماني الشيخ مصطفى صبري : " فصل الدين عن الدولة ارتداد عن الإسلام من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً ، إن لم يكن ارتداد الداخلين في حوزة تلك الحكومة باعتبارهم أفراداً فباعتبارهم جماعة ، وهو أقصر طريق إلى الكفر من ارتداد الأفراد ، بل إنه يتضمن ارتداد الأفراد أيضاً لقبولهم الطاعة لتلك الحكومة المرتدة " .

ويقول العلامة الكوثري : " وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن دين الإسلام جامع لمصلحتي الدنيا والآخرة ولأحكامهما دلالة واضحة لا ارتياب فيها : فتكون محاولة فصل الدين عن الدولة كفراً صراحاً منابذاً لإعلاء كلمة الله وعداء

موجهاً إلى الدين الإسلامي في صميمه ، ويكون هذا الطلب من هذا الطالب إقراراً منه بالانتباذ والانفصال ، فيلزمه بإقراره ، فنعده عضواً مفصولاً عن جماعة المسلمين ، وشخصاً منفصلاً عن عقيدة أهل الإسلام ، فلا تصح مناكحته ولا تحل ذبيحته لأنه ليس من المسلمين ولا من أهل الكتاب " .

أرأيتم كِبْر ما يدعو بعض الناس إليه من فصل الدين عن الدولة والحيلولة بين الإسلام والحكم مما يخرجهم من ربقة الإسلام وهم لا يشعرون ؟!

وهل من فتوى بعد هذه يسأل عنها المتعاملون الذين أغراهم ترف الحياة وبريق المنصب ، فباتوا لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، ليشاركوا أصحاب النفوذ وزرهم فيما يحكمون ؟!

ويقول الاستاذ العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر " سابقاً " وهو عالم عدل لم يرضخ لطغيان أو يسر في ركاب فاجر :

" إما أن تفعل البلاد الإسلامية ما فعلته الدول الغربية من تجريد السياسة من الدين ، فهو رأي لا يصدر إلا ممن يكن في صدره أن ليس للدين من سلطان على السياسة ، وهذا ما يبيته فئة يريدون أن ينقصوا حقيقة الإسلام من أطرافها ، حتى تكون بمقدار غيرها من الديانات الروحية التي فصلها أهلها عن السياسة ، ثم يصبغوا هذا المقدار بأي صبغة أرادوا ، فيذهب الإسلام : فلا القرآن نزل ، ولا محمد ﷺ بعث ، ولا الخلفاء الراشدون جاهدوا في الله حق جهاده ، ولا الراسخون في العلم سهروا في تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها " إلى أن يقول "

فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين "[1] .

ويقول العلامة الاستاذ أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان :

" فإذا آمنت بدين من الأديان واطمأنت نفسك بأنه " الدين " المنزل من السماء ؛ فلم يبق لك بد من أن يكون ذلك " الدين " ديناً لحياتك بأسرها ، محيطاً بجميع فروعها وشعبها . وإن كان ذلك " الدين " ديناً لحياتك الشخصية فليت شعري فما الذي يمنعه من أن يكون ديناً لبيتك ولتربية أطفالك ومدرستك ومناهجها التعليمية ، ولا ندري ماذا يعوقه من أن يكون ديناً لتجارتك ومكاسب رزقك وحياتك الاجتماعية ، وديناً لخطتك في الحياة وحضارتك وسياستك وأدبك وكل ما يتصل بالحياة البشرية من علم وأدب وفن .

ومما يأباه الذوق وينكره العقل السليم أن نتبع ديناً في حياتنا الشخصية ثم إذا قمنا بتنظيم شؤون حياتنا المختلفة ، يبقى بعض فروع تلك الحياة المنظمة مستثنياً من دائرة نفوذ ذلك " الدين " خارجاً عن حدوده وعلى قوانينه "[2] .

---

(١) مجلة نور الإسلام / القاهرة .

(٢) الدين القيم للمودودي .

من أقوال المنصفين من غير المسلمين

وبالإضافة لما بيناه من أدلة تؤكد ضلال المطالبين بفصل الدين عن الدولة من القرآن والسنة وإجماع الأئمة والخلفاء واجتهاد العلماء نسوق فيما يلي طائفة من أقوال بعض المنصفين من مفكري الغرب الذين اطلعوا ودرسوا كثيراً من حقائق الفكر الإسلامي والتشريع القرآني ، ولم يمنعهم اختلاف الدين من ذكر الحقيقة الصادقة عن طبيعة الإسلام ورسالته الخالدة :

* يقول القانوني الإيطالي " بيولا كازيلي " وكان يعمل مستشاراً لوزارة العدل ورئيساً للجنة قضاء الحكومة الإيطالية زمناً طويلاً لوزارة العدل ورئيساً للجنة قضاء الحكومة الإيطالية زمناً طويلاً وهو يوجه خطابه إلى المسؤولين في مصر في عهد مضى وما أحراه اليوم أن يكون خطاباً لكل المسؤولين في ديار الإسلام كافة : " يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية ، فهي أكثر من غيرها اتفاقاً مع روح البلد القانونية " .

* ويقول الفيلسوف جيبون : " القرآن مسلَّم به من حدود الأقيانوس إلى نهر الفانك بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فحسب – يعني بذلك التعبد في مفهوم الغرب – بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام المجتمع الإنساني وترتيب شؤونه " .

* ويقول الفيلسوف الفرنسي المعروف جان جاك روسو في كتابه " العقد الاجتماعي " : "إن محمداً قد أقام نظاماً سياسياً بارعاً لحكم دولته ، وقد كان ذلك سر قوة خلفائه الذين اتبعوه في حكم المسلمين ما داموا ملتزمين لنظامه ".

هذا ومن أروع ما يدمغ " المنهزمين " في هذا الباب بالتخلف والجهالة قراران صادران عن المؤتمر الدولي المنعقد في لاهاي للقانون المقارن :

أحدهما في سنة ١٩٣٢ يقول : " إن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن ، وبهذا صارت مصادر القانون المقارن في نظرهم أربعة : الفرنسي والألماني والانجليزي والشريعة الإسلامية " .

والثاني في سنة ١٩٣٨ يقول : " إن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة بذاتها ، ليس لها صلة بالقانون الروماني ولا بأي تشريع آخر " .

وفي الختام نرى

إن فصل الدين عن الدولة وبالتالي حرمان الحياة من حكم الإسلام خطيئة إنسانية شاملة ، تحرم الإنسان من أعظم معطيات العدل الذي عرفته مزدهراً سامقاً على يد الذين حكَّموا شرع الله وكانوا أقباساً في طريق الحياة المظلم عبر القرون الطويلة.

لقد ارتكب دعاة " فصل الدين عن الدولة " أبشع جريمة خلقية باعدت بين الإنسان وبين أسمى القيم وأرفع المثل التي تحفظ كرامته وتحرص على إنسانيته .

وإلا فمن ذا الذي يصنع للأمة عقيدة تربي في النفوس الإيثار ليضع القائد الكبير بعد عزله كل حنكته وشجاعته ويقاتل – جندياً – تحت إمرة القائد الجديد وهو يقول : أنا لا أقاتل من أجل عمر وإنما من أجل رب عمر ؟!

ومن أين للإنسانية تشريع يستوي فيه الأبيض والأسود والغني والفقير والعربي والأعجمي والرجل والمرأة أمام الحق ؛ لأن المقياس الرفيع الذي يعامل على أساسه إنسانية ذلك الإنسان إيمانه وتقواه ؟!

وما الذي حققته الإنسانية من خير وهي تقتل روح الجهاد في الإنسان وتلغي من نفسه أهدافه العليا لاستنقاذ المستضعفين والضرب على أيدي الطغاة ، لتقوم في دنيا الناس روح جديدة من العدوان هدفها تجبر واستعلاء واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان في مختلف ميادين الكون ومجالات الحياة !

ومن ذا الذي يزعم أن الدنيا عرفت عمق إيمان وشفافية وجدان واستقامة سلوك وسمو هدف وترفع عن الصغائر – وكل ثروات الكون وجاه الحياة صغائر في النفوس الكبيرة .. كما عرفت ذلك في ورع أبي بكر وعدل عمر وفروسية علي وحياء عثمان وزهد عمر بن عبد العزيز وحكمة الرشيد وعلم المأمون وتسامح صلاح الدين ؟

بل أية بطولات وشّحتها يد الحق وراحة الخير كتلك التي كان المسلمون يحملون فيها سيوف الجهاد وأقباس الهدى في بدر واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت ؟

بل من أين للإنسانية النظام وجنده الذين يقيمون في أفياء المسجد : المدرسة والمكتبة ، والمستشفى والحمام ، والسوق والمعسكر ، والدارة والحديقة ، ويجمعون في

تقوى ووعي بين علم العالم وفقه الفقيه وجهاد الجندي ، فقيههم طبيب ، وطبيبهم فقيه ، ولا يفرقون في عبادة الله بين تجارب قائمة في مختبر وصلاة خاشعة في محراب !؟

تعست هذه الإنسانية التي قادت نفسها ليسفك دمها وتسفح كرامتها على مذبح الشهوات، وسددت لصدرها طعنات الخناجر المسمومة تحقق بذلك أهداف اليهود وأطماع المغرورين الذين يعلنون عن أقلامهم وألسنتهم وأيديهم ووجودهم سلعاً رخيصة في سوق النخاسة ما داموا يحققون ترف عيش زائل وكراسي حكم هزيل ...

وبعد ...

فإذا كان العرب — دون إسلام — قد اعتادوا ألا يسمعوا إلا من عدوهم ، وألاَّ يتأثروا إلا بمن يحتل أرضهم ويخضع هاماتهم ويهدر كرامتهم ؛ فليستمعوا للقصة التالية تقرع أسماع الدنيا من أرضنا المحتلة :

لقي وزير الدفاع الإسرائيلي في إحدى جولاته شاباً مؤمناً في مجموعة من الشباب في حي من أحياء قرية عربية باسلة ، فصافحهم بخبث يهودي غادر . غير أن الشاب المؤمن أبى أن يصافحه وقال له :

أنتم أعداء أمتنا تحتلون أرضنا وتسلبون حريتنا ، ولكن يوم الخلاص منكم لا بد آتٍ بإذن الله لتتحقق نبوءة الرسول ﷺ : لتقاتلنَّ اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه ...

فابتسم دايان الماكر وقال : حقاً سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض .. وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلاً ..ولكن متى ؟

واستطرد اليهودي الخبيث يقول :

إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه ويحترم دينه ويقدر قيمه الحضارية ، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه ويتنكر لتاريخه .. عندها تقوم لكم قائمة وينتهي حكم إسرائيل .

نعم إن الذين سيدحرون جموع اليهود المحشودة في " دولة إسرائيل " .. أمة واحدة لا أحزاب متعددة ، تتخذ الإيمان قاعدة والقرآن منهاج حياة ، وتجعل الجهاد والاستشهاد سبيلاً يؤدي لها إلى الفوز بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ! !

تلكم هي الأمة التي خاطب سلفها من قبل أبو بكر رضي الله عنه: احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .. فهل يصنع هذه الأمة فكر مستورد ومبادئ دخيلة يضعها الأعداء ويطبقها في دنيانا العملاء أو الجهلاء ؟!

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1].

---

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

الرَجعيّة والتقدّميّة

بين الإسلام وخصومه

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[٩-١٣ من سورة البقرة "]

قال صلّى الله عليْه وسلّم :

((عن أبي عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن :

ما ظهرت الفاحشة في قوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .

وما منع قوم الزكاة إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان .

ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم .

وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم))

– رواه البيهقي والحاكم –

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

الرّجعيّة والتقدميّة

بين الإسلام وخصومه

ظلت أبواق الإعلام العربي " المنهزم " تردد هاتين الكلمتين في غير وعي ولا تبصر ، وازدحمت في الأذن العربية تعابير غير محددة المعنى وألفاظ غير مفهومة الدلالة تكال لهذا مدحاً وتشريفاً ولذاك قدحاً ومهانة ...

ومن الإنصاف للعقل العربي المتخبط في خضم الاتهامات بل من الإنصاف للكلمتين التائهتين على غير هدى في دنيا " الإعلام العربي " صوراً وألسنة وأقلاماً ، أن نحدد مفهوم كل منهما وأن نناقش هذا المفهوم لغوياً وعلمياً وواقع حال بأسلوب مدروس وروح موضوعية واعية :

* الرجعية .. مهما اختلف في كيفية اشتقاقها – مشتقة من الرجوع إلى وراء!

* والتقدمية .. مهما اختلف في كيفية اشتقاقها – مشتقة من التقدم إلى الأمام.

والرجوع إلى الوراء زماناً أو مكاناً لا عيب فيه ولا منقصة إن كان في الأمر رجوع إلى خير ، وتحيز إلى حق ، وتلاحم مع مجد حضاري سامق وفكر هادف مستنير .

ورجوع المسلمين إلى عهد كانوا فيه قادة فكر ورواد حضارة لا يجيز لمنصف في حكمه أن يتهمهم بالرجعية بمفهوم بغيض ومعنى غير كريم .

وتراجع رجل خطوة أو أكثر عن هاوية في طريقه يتقي السقوط فيها يعتبر تعقلاً واعياً وحسن تدبر حميد ، ومن هنا حدَّد القرآن الكريم مفهومين للتراجع ومعنيين للتقهقر : أحدهما يسلك بصاحبه طريق الجنة ، والآخر يسلك بصاحبه طريق النار :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١)

وإنها لصورة بشعة من صور التراجع تلك التي يبدو فيها صاحبها فاراً منهزماً موليا دبره والعدو خلفه يطارده من موقع إلى موقع ومن ميدان إلى ميدان !!

غير أن القرآن الكريم يستثني من ذلك صورة التراجع حين يكون لخطة حربية أو ضرورة قتالية أو تدبير عسكري ، يقصد به الانضمام إلى فئة من المؤمنين أو التجمع في موقف استراتيجي معين ، ليكون منطلقاً للنصر لاستئناف قتال هادف ومعركة شريفة غايتها النصر أو الشهادة في رحاب رضوان الله .

ومن مواقف " الرجعية " الكريهة التي يرفضها الإسلام ولا يرضاها لبني الإنسان ذلك الموقف العنيد الساذج الذي يصر عليه الجامدون المقلدون من أهل الباطل، دون أن يعملوا فكرهم أو يتدبروا أمرهم أو يحترموا عقولهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢)

---

(١) الآيتان ١٥-١٦ من سورة الأنفال .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة الزخرف .

إن نظرة فاحصة إلى العهد الذي كان فيه الرسول الأعظم عليه السلام بإنسانيته الفذّة وخلقه الأكمل وتواضعه الجمّ وقيادته الحكيمة ، أو نقلة سريعة إلى عصر كان فيه عمر قمة في نصاعة الحكم ونزاهة القصد وشرف الرعاية للأمة ، أو إطلالة عبر التاريخ على عصر عمر بن عبد العزيز وقضائه على الفقر في أول مجتمع إنساني لم يكن فيه فقير واحد ، أو إمعاناً للنظر في العصر الذهبي الزاهر علماً وأدباً في عهد المأمون ، أو فيما بلغه الفن المعماري والذوق الهندسي في المغاني والحدائق والنشاط التأليفي المكتبي في الأندلس ، أو تصفحاً للسطور الخالدة التي تشكل ملحمة البطولة العسكرية في عصر صلاح الدين ، وغير ذلك مما لا تأتي عليه صفحات أو تستوعبه كتب في شتى مجالات الفكر والأدب والعلم ومختلف مظاهر النشاط الحضاري السامق ...

إن تدبير مثل ذلك كله والإيمان به ليشد الجماهير المسلمة والشعوب المؤمنة والأمة الموحدة التي وجدت نفسها محاطة بالعدو — على تباين صوره واختلاف أشكاله — ويحرك في النفوس الشوق إلى الرجوع والتطلع إلى " الوراء " المشرق لا ركوناً ودَعَة ، بل للإسهام في صنع فجر مستقبل جديد يلتقي فيه الورع بالعلم ، والأدب بالتضحية ، وأساليب الحكم العفّ بأنظمة الجندية الواعية في إطار حضاري متكامل يرفض كل فتات التسول والاستجداء على موائد الباحثين عن العقل العربي لاستغلاله والقلب المسلم لإذلاله .

وقد يقف من يقول : هذه مغالطة لغوية لم نكن لنعنيها ونحن نطلق كلمة " الرجعية " .. وكل الذي نعنيه :

* الرجعية إنسانياً تلك التي تمتهن كرامة الإنسان .

* والرجعية اقتصادياً .. تلك التي تستغل جهد الإنسان .

* والرجعية اجتماعياً .. تلك التي تدفع بالإنسان إلى حياة الغاب من جديد .

* والرجعية علمياً وثقافياً ... تلك التي تحارب العلم وتدعو إلى الجهالة !

ومع رفضنا للجانب الأول من الرد إذ أن " المنهزمين " يعنون بالرجعية حين يقصدون الإسلام : الرجوع إلى الوراء أربعة عشر قرناً ، ويزعمون أن المطالبة بحكم الإسلام مطالبة بتحكيم أنظمة متخلفة مضى عهدها وانقضى ، وهو قول يؤدي بنا إلى القول أن ماركس سيصير في عرف أدعياء التقدمية أنفسهم رجعياً بالي التفكير عتيق الرأي لا يساير التطور الحضاري المتبدل بين حين وآخر ، مع الفارق الكبير بين فكر بشري عاجز لا يبلغ درجة الكمال وعقيدة ليست من صنع البشر إنما كانت تنزيلاً وفضلاً من الله على عباده ، وقد جاءت أصولاً ثابتة من التشريع المتشعب الفروع المتروك لأهل كل زمان ومكان أن يتخذوا منها أنظمة بما يتفق وأحوالهم ومصالحهم دون مخالفة نص شرعي يحل الحلال أو يحرم الحرام .

ومثلما ضرب (خالد محمد خالد) في أولى اطلالاته على دنيا التأليف والمعرفة مثلاً سيئاً للبحث العلمي فاعتبر " اليمن السعيد " في عهد " آل حميد الدين"، نموذجاً للحكم الإسلامي المنشود وانطلق من هذا المنطلق يؤكد عدم صلاحية الإسلام للحكم ، يمضي فريق من " المنهزمين " ليضربوا أمثلة قد تكون أشد سوءاً

لأوضاع منحرفة ومواقف شاذة وتصرفات بشعة لا يربطها بالإسلام إلا رباط من الاسم أوهى من خيوط العنكبوت ، فيزعمون أن الإسلام لا يصلح للحكم والتنظيم لأن نماذجه القائمة في القرن العشرين توحي بذلك وتدل عليه .

إن الخلط بين الإسلام عقيدة ونظاماً وعملاً وواقعاً طبق في عهود عديدة وبدرجات متفاوتة وبين واقع المسلمين اليوم حكومات وشعوباً لدليل على أن المنهزمين جهلة لا يعرفون أو مغرضون لا ينصفون .. وفي كلا الحالين لا يرتقون إلى شرف البحث العلمي ودقة الدراسة الموضوعية والأحكام العادلة ...

وعلى الرغم من المدلولات الكثيرة المتباينة التي يطلق " المنهزمون " عليها كلمة الرجعية .. فهي حيناً تعني الدين وحيناً يخص بها الإسلام وحده ، وحيناً يقصدون بها الاقطاع أو نظاماً من أنظمة الحكم ، وتارة يصمون بها خصومهم في الفكر كيفما كان نوع تلك الخصومة في صورة من "المطاطية " التي لا تضبطها ضوابط علمية ، ولا تحدها حدود موضوعية ، ولا يحيط بها تعريف له دلالة واضحة غير عاتمة ولا عائمة..

أقول رغم ذلك كله فإننا نحب أن نناقش معنى " الرجعية " بكل مفاهيمها لنرى أنها لا تنطبق على غير " المنهزمين " أنفسهم في أكثر من معنى وأكثر من ميدان.

الرّجعيّة إنسانياً

مرفوض أن يوصم بها دعاة المساواة الحقة بين عليّ وبلال الحبشي ، وأبي بكر وصهيب الرومي ، وعمر وسلمان الفارسي .. مرفوض عقلاً ونقلاً ومنطقاً وخلقاً

أن ينبري دعاة الإبادة الجماعية والتمييز العنصري الذين يمتهنون كرامة الإنسان ويسحقون وجوده للونه أو جنسه فيصموا دعاة الأخوة الصادقة بالتخلف ، ويحاولوا النيل من الإسلام الذي يدعو إلى أسمى مستويات التفكير الإنساني السوي الشامخ .

إن من أروع مفاهيم تكريم الإنسان أن تقوم المساواة في المنشأ والمصير بين الرجل والمرأة ، والأبيض والأسود ، والعربي والأعجمي ، والغني والفقير في حدود اطار واحد ومقياس لا يتبدل بتدبل الحكام وأصحاب النفوذ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]

ومن خلال " أتقاكم " تلك يستطيع المسلم أن يبلغ قمة القمم في السياسة والقيادة والعلم والمعرفة والقضاء والحكم مهما كان جنسه ولونه ودمه ومكانته الاجتماعية !

أية قمة من قمم الحكم السوي تؤكد أن " اللون " لا قيمة له في ميزان القيم الإنسانية ، ولا وزن له عند الحكم على إنسانية الإنسان مثل دين الإسلام الذي يقول نبيه :

* " ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" [2].

---

(١) ١٣ الحجرات .

(٢) رواه أحمد في مسنده .

والتقوى — بعد الإيمان بالله — عمل الصالحات وخدمة الناس والبر بالخلق ، فالمسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، والخَلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

إن البشرية ما زالت تعاني آلاماً مبرحة ومآسي مدمرة تعيشها في جنوب أفريقيا على يد أقلية لا ميزة لها ولا فضل إلا لون البشرة وبياض الجسد ... وفي أمريكا حيث أبيد شعب بكامله ، صُفِّيَ جسداً وطُمِسَ تاريخاً حتى كاد الهنود الحمر يصبحون أسطورة خيال من أساطير التاريخ الأمريكي لدى الإنسان الأمريكي المعاصر .

ومعاملة السود والكلاب على حد سواء في كثير من دور العبادة والعلم وقاعات الطعام واللهو تثير اشمئزاز الإنسان السوي الذي يرفض التفكير المنحرف في أمريكا وبريطانيا وكل بلد يرضى لنفسه أن يكون بنوه فريقين :

السادة البيض الذين يتمتعون بكل شيء ...

والعبيد الملونون الذين يحرمون من كل شيء ...

وتصنيف البشر في الهند بين نبلاء من سلالة الآلهة ومنبوذين محرومين من كل حقوق الخلق عيشاً ومعاملة ووجوداً .. وبين الطبقتين فئات من الناس ذوات درجات لا حصر لها وتفاوت في المكانة مثلما بين السحاب والتراب ...

أي نظام في الكون سبق الإسلام أو ماثلة حين لا ينسى في زحمة القتال وضرام المعركة ضعف الشيخوخة وبراءة الطفولة ورقة الأنوثة وتقوى النساك ، فينهى عن قتل الشيخ والطفل والمرأة ومن أقبل على الله يعبده ويرجو رضاه .

إن معاملة الإنسان في دين الله تنطلق من منطلق انسانيته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1].. ثم من مدى قدرته على احترام عقله وأعمال فكره . والإنسانية السوية والعقل السليم يؤديان إلى رحاب الإيمان !

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]

وإن القرآن الكريم ليركز في أكثر من موضع وأكثر من آية على بشرية النبي ﷺ وانسانيته ، ويربط هذه البشرية وتلك الإنسانية بأسمى القيم الخيرة وأكرم المثل الصالحة التي ترتفع بالإنسان إلى مستوى رفيع المكانة والشأن .

لقد منح الإسلام الإنسانية أسمى مكانة وأرفع درجة حين شرّف بلالاً الحبشي أن يكون مُعلي كلمة التوحيد ورافع نداء الدعوة فوق ظهر الكعبة وهو يزيل بساعده الأسود المؤمن آثار بربرية الشرك وطغيان الوثنية .

كما شرف الإسلام المرأة " الإنسان " بأن تكون أول شهيد في الإسلام حين نالت سمية أم عمار الشهادة في سبيل الله على يد رأس الشرك أبي جهل في بطحاء مكة .

---

(١) من الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

وإن القرآن ليأخذ على المشركين الذين يرفضون الأنثى فيما يرزقون من الذرية ، ويصورهم أبشع تصوير وهم يفرقون بين إنسانية الذكر وإنسانية الأنثى اللذين لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١)

بل إن نظرة الإسلام للإنسانية تتعدى الذكورة والأنوثة والدم واللون إلى الدين نفسه ، حيث نرى رسول الله عليه السلام يقف لجنازة تمر به ولا يغير الموقف حين يعلم أن الجنازة ليهودي من أهل الكتاب !

وما زالت البشرية تبحث عن مستوى ترقى إليه في إنسانيتها فلا تبلغ ما بلغته على يد حكام مسلمين وقادة مؤمنين أتاحوا لشاب قبطي نصراني أن يضرب بالسوط ابن فاتح مصر المسلم لأنه تجنى على الشاب القبطي وضربه بالسوط إذ تقدمه يوماً بفرسه .. وما زالت كلمة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه تدوي في مسمع الكون بعزم المؤمن وعدالة المسلم الذي لا يفرق في الحق بين لون ولون وجنس وجنس ودين ودين :

– اضرب ابن الأكرمين !.. متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!

---

(١) الآيتان ٥٨ – ٥٩ من سورة النحل .

وإنها لرحمة واسعة تفيض من روح الإسلام وتنبع من تعاليمه تلك التي أملت على الفاروق عمر رضوان الله عليه أن يحمل القوافل بالكساء والدواء والغذاء لقوم من النصارى المجذومين حين بلغته أنباء مأساتهم في مدينة نصيبين ...

وما من تقدير وتكريم يمكن أن يحيا في أفيائه قوم يخالفون عقيدة الأمة كذلك التقدير الذي غمر به المسلمون الأسر النصرانية في الشام حين فتحوها ، إذ أنزلوا الأسر والنسوة في الطوابق العليا من المنازل وأنزلوا الجند في السفلى منها حتى لا تقع أعين الجند على النسوة الآمنات في خدورهن.. إنها عفة الإسلام الذي يصون كرامة الإنسان ويقدر فيه عمق التفكير وسلامة الطبع وصالح العمل .

وحرصاً من الإسلام على تكريم الإنسان حتى بعد موته أو قتله في معركة يحرم التمثيل بالجثة حقداً وانتقاماً وتشفياً .

وحتى في مواقف العنف والتصدي للعدو يحرص الإسلام على إبراز الجانب الإنساني في خصومته مع أعدائه حيث يدعو إلى الحسنى في كل شيء :

* " فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة "[1] .

بل أي فكر أسمى من فكر يرفق بالحيوان رفقاً ما زالت البشرية تسعى لتبلغ جانباً منه فلا ترقى مرتقاه :

* " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت "[2] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

* " ومر رسول الله ﷺ وهو يقود جيش المسلمين إلى مكة بكلبة ترضع صغارها ، فأمر رجلاً من أصحابه أن يقف بجانبها يمنع الناس من التعرض إليها ، فظل الرجل واقفاً حتى مر الجيش كله دون أن يصيبها أحد بأذى [1] " .

" وكان النبي عليه السلام وأصحابه في سفر ، فأخذ أحد المسلمين عصفورين صغيرين من عشهما ، فصارت أمهما تحوَم وترفرف بجناحيها حول النبي وأصحابه، فقال عليه السلام : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها " .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر على حمار قد وُسم وجهه ، فقال : لعن الله من فعل هذا، أوليس قد نهيت عن هذا ؟ وفي رواية لعن الله الذي وسمه . وفي رواية : نهى عن الضرب في الوجه والوسم فيه [2].

ولم يحرم الشجر من نعمة الرفق والحماية من الأذى حيث نرى كثيراً من الوصايا والتعليمات الإسلامية تصدر في كثير من المواقف الحاسمة لتنهى عن قطع شجرة مفيدة أو اتلاف نبت نافع .

ويبلغ الذوق والرفق مستوى يضع الأمة المسلمة بقيمها الحضارية في موضع لا تعلوه أمة ، حيث يوصي الرسول الكريم أصحابه البررة بكل ما يعود على الأمة بالخير ، وما يضيف إلى جمال الإنسانية الحق وسعادة البشرية الخالصة لبنة صالحة أو لمسة فنية رائعة في لوحة الكون الكبير :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

* عن جرير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" من يُحرم الرفق يحرم الخير "[1]

ولا يقف الرفق عند حد معين أو يقتصر على أمر دون سواه ؛ بل نرى الإسلام يرفع من مكانة الرفق حتى يعده أساساً من أسس التعامل في الحياة اليومية ليكون المجتمع الإسلامي أرفع مثل للمجتمع المتين الذي يفيض بالخير والجمال وصالح العمل .

* عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال :" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه "[2]

* وعن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه "[3]

إن من أرفع مفاهيم الإنسان الحضارية حين يكون سوياً غير حاقد ، بصيراً غير أعمى ، واعياً غير مضلل ، أن يبذل للناس النفع وأن يحقق لهم الخير ولو في أبسط صورة :

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحينَّ هذا عن سبيل المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة "[4]

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

*ولكي يكون مفهوم الخير عاماً شاملاً لا يقتصر على جنس أو لون أو عرق أو فئة أو دين يقول عليه السلام : " المسلم من سلم الناس من يده ولسانه "[1] .

الرّجعية اقتصادياً

الوجه الإقطاعي البشع واليد الآثمة المستغلة لجهد الإنسان المتاجرة بكرامته المستعبدة لرقيق الأرض ، من الإنصاف أن يوصفا بالتخلف الاقتصادي والرجعية المسلكية .. وقد التقت كل الأحاسيس البشرية الخيِّرة والمشاعر الإنسانية السوية على رفض الجشع الأسود والاستغلال البغيض .. ولكن ما بال فريق من " المنهزمين " المضبوعين بدخيل الفكر مستورد الرأي يصمون بالرجعية الإسلام العادل الذي لا يُبارى ولا يُرقى إليه .. إلا أن تكون الخصومة الفاجرة هي التي تدفع إلى التجني والعمى في إصدار الأحكام ...

لقد جنت الأغراض السياسية الحاقدة على كثير من القيم الخلقية والمفاهيم الفكرية بحيث جر ذلك الحقد كثيراً من خصوم الإسلام إلى اضطراب في إصدار الأحكام .. ومن هنا انطلقت أوصاف الرجعية في دوامة من اللغو الرخيص والاتهام الفاجر .. وليس من العدل ولا من سلامة التفكير أن يوصم الإسلام بالرجعية في مجال الثروة وميدان الاقتصاد ، وهو الذي يدعو إلى توزيع الثروة توزيعاً عادلاً ، وينصف العامل الفلاح ويحث على اشراكهما في الربح ، ويعتبر أن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه ، يتصرف به تصرف الحارس الأمين في حدود شرع الله وتقوى المؤمن الذي لا يبطر ولا يبذر ولا يستهين بكرامة أخيه الإنسان .

---

(١) رواه مسلم .

يحارب الإسلام الترف والفقر معاً ، ويدعو إلى حياة سوية تحترم جهد الإنسان وإبداعه ، ويعتبر تسلم المترفين لزمام الأمور ومقاليد الحكم في مجتمع ما دلالة على تفسخ ذلك المجتمع واستعداداً أصيلاً لانهياره وخرابه :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١)

وتبدو بشاعة الفقر المرفوض في المجتمع الإسلامي حين يجعله الرسول صنواً للكفر فيستعيذ بالله من الكفر والفقر معاً

* " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر " (٢).

ونرى روعة الإسلام تتجلى في عدالته الاقتصادية ونظرته الحضارية لتوزيع الثروة وجمعها وتنميتها وانفاقها ، فهو يحرم الحصول على المال بطريق محرم يقوم على الغصب والاستغلال والرشوة والميسر ، ويحرم تنمية المال بالربا والربح الفاحش " الغبن " ، ويحرم انفاق المال على ألوان من المعصية تتنافى مع عقيدة الإسلام وكرامة الإنسان السوي الذي يحترم إنسانيته ويقدر كرامته حق قدرها .

والإسلام يسمو بتشريعاته الاقتصادية في آفاق رفيعة من التطبيق حين يأمر بدفع أجر العامل قبل أن يجف عرقه .

---

(١) الآية ١٦ من سورة الإسراء .

(٢) رواه أبو داود .

وينادي التشريع الإسلامي العادل باعتبار المزارع الذي يزرع الأرض ويستثمرها أحق الناس بامتلاكها في باب عرفته كل كتب الفقه ، وأغلقت دونه عقول وعيون وآذان كل " المنهزمين " المنسلخين عن ذاتهم وتراثهم ، ذلك هو الحكم الإسلامي المعروف بأن الأرض لمن أحياها وزرعها تحت باب " إحياء الموات " .

ولو مضينا نعدد قواعد الاقتصاد الإسلامي في سياسة المال لملأنا بذلك الصفحات التي تضيق دونها هذه العجلة في هذا البحث القصير ! ..

ولكنا نعرض مجرد عرض لكل ذي لب سليم وعين مبصرة للحقائق تنشد النور القرآني ولا تتعامى عن الضياء الحضاري الأصيل :

- المال مال الله والناس مستخلفون فيه .
- من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته وانتاجه .
- اعطاء العامل أجره قبل أن يجف عرقه .
- إحياء الموات من الأرض .
- إشراك العمال في الأرباح .
- جمع الثروة في حلال .
- تنمية الثروة في حلال .
- انفاق المال في حلال .
- الزكاة ركن من أركان الإسلام .
- في المال شيء غير الزكاة .
- الخراج .

- الأعشار .

- محاربة الفقر والترف لأنهما مباءة الفساد والإفساد .

- المزارعة والمساقاة في الزراعة .

- المضاربة في التجارة .

- الإجارة .

- البيع والشراء .

- تحريم الربا " وأحل الله البيع وحرم الربا " .

- تحريم الاحتكار " لا يحتكر إلا خاطئ " .

- تأميم المرافق العامة .

- المصالح المرسلة وسد الذرائع .

إن جميع ما أصاب " الإسلاميين " والدعاة إلى الله من الأذى ، وألحق بهم من تهم لم يكن من بينها — حتى من قبل خصومهم الذين قدموهم إلى محاكم شكلية زائفة — أن فيهم أصحاب إقطاعيات ضخمة أو مزارع كبرى كتلك التي كانت للوزراء وأصحاب النفوذ من حكام مصر واقطاعييها في عهد البشوات ، ولأعضاء الاتحاد الاشتراكي الأكارم وزوجاتهم الفضليات في العهد الاشتراكي العتيد الذي أراد الله له أن يتعرى حين سقط القناع ....

إن نظرة عميقة فاحصة ومسحاً لقطاعات " الإسلاميين " المتعددة تؤكد أنهم حركة انبثقت من صميم الشعب ، وأنهم كانوا في وادٍ وأصحاب النفوذ المالي والجاه الاقطاعي كانوا في وادٍ آخر .

لقد كان " الإسلاميون " يمثلون الفئة الكادحة العاملة في الحقول والمصانع أصدق تمثيل ، بالإضافة إلى قطاع صغار الموظفين والجيل المثقف في المدارس والجامعات والمؤسسات الفكرية المختلفة ، حيث استنارت عقول أولئك جميعاً بالإسلام فأسهموا بفعالية وجدوى في توعية الأمة والسير بها أولى الخطوات نحو مجدها وعزتها .. لولا المؤامرة الكبرى والتخطيط الرهيب الذي فرغ الجيل من عقيدته والأمة من اعتزازها بتراثها وسلخها عن إحساسها بكيانها وذاتها ، لتكون ظلاً لغيرها وتبعاً ذليلاً لا يحترم نفسه !

لقد وقفت يهودية " تقدمية " يوماً في الجامعة الأمريكية في القاهرة تتهجم أمام ملأ من حشد كبير على الإسلاميين بوحي من " تقدميي " الجامعة الأمريكية على أثر مقال نشرته صحيفة إسلامية تصف الجامعة الأمريكية هناك بأنها ثعبان أمريكي يتمطى في قلب القاهرة .. وكانت تهمة اليهودية التقدمية لا تحمل في طياتها الاتهام بالإقطاع والرأسمالية ولكنها صاحت بصوت حاقد مرتعش : من هؤلاء الذين يهاجمون قلعة الثقافة التقدمية في مصر . إنهم مجموعة كبيرة من البوابين والفلاحين والعمال الفقراء ..

ولقيت اليهودية يومئذ من يرد عليها ويفهما دور أولئك الفلاحين المعدمين والعمال البسطاء والمثقفين الفقراء في بعث التراث وإحياء روح الكرامة المهدورة في الشعب المصري المعذب المنكوب !

ومهما زيفت الحقائق وشوه التاريخ فالأيام وحدها كفيلة أن تكشف المخطط الرهيب الذي نفذ بضرب أولئك الفلاحين والعمال والمثقفين الفقراء الواعين لما يحيط بهم وما يدبر لأمتهم ، حتى يتمتع قوم تلك اليهودية بخيرات بلادنا في فلسطين !

الرّجعية اجتماعياً

تتمثل الدعوة إلى حياة الغاب من جديد في مظاهر العري الصارخ والرقيق الأبيض الذي يلقى أسواقاً رائجة في مختلف ميادين الحياة الغربية ..

ويبدو ذلك بصورة أوضح وعلى المستويات الرسمية والشعبية والدستورية حين نعلم أن مجلس العموم البريطاني قد أقر بقانون ممارسة " اللواط " بين الذكور ، واعتبر الأمر موقفاً سليماً كريماً في حياة الإنسان ما دام يتم بالرضا والتفاهم !

وفي الدانمارك أقر مجلس النواب الدنماركي عام ١٩٦٩ مشروع القانون الذي وضعته وزارة العدل والذي يقتضي بالسماح ببيع صور العلاقات الجنسية جامدة ومتحركة، ملونة وعادية ، وكان القانون من قبل يسمح ببيع صور النساء العاريات في أية أوضاع كانت لكنه كان يمنع بيع صور العلاقات الجنسية في مختلف الأوضاع والمستويات ..

والتبرير الذي يعتمده مجلس النواب الدانماركي في إقرار هذا النوع من التجارة العاهرة لا يقوم بطبيعة الحال على أسس علمية أو قواعد نفسية تربوية كما اعتاد كثير من دعاة الانحراف أن يبرروا انحرافهم بموضوعية موهومة وفكر مزعوم، بل كانوا صرحاء مع أنفسهم ومع الناس إذ أعلنوا أن صادرات البورنو — وهي تجارة الصور والأفلام الجنسية المختلفة — يمكن أن تفوق الصادرات الزراعية والثروة الحيوانية في بلد المنتوجات الزراعية وصناعة الألبان واللحوم المعلبة ، وبالتالي فهي تشكل جزءاً كبيراً بل الجزء الأكبر من الثروة القومية !...

وصدق حدس المشرعين الدانماركيين إذ صدرت الدانمارك بعد تصديق القانون وإقراره ما قيمته ثلاثمائة مليون دولار إلى أسواق العالم المتحضر الذي يغرق في وحل الجنس ومستنقعات التقدمية !..

ومن مظاهر التخلف الاجتماعي والرجعية الأخلاقية التي يعيشها العالم التقدمي التعس ما يعلن عنه بين الحين والآخر في المنتديات الليلية لانتخاب ملكات الجمال اللاتي يعرضن تفاصيل أجسادهن على جمهور من المشاهدين ، بينهم لجنة من المحكمين تصدر قرارها باختيار أجمل ساقين أو فخذين أو نهدين .. وما إلى ذلك وفق أبشع أساليب أسواق النخاسة في عالم الرقيق التعس الذليل !

إن ما نلمسه من تفكك رهيب في الأسرة في العالم الغربي يؤكد لنا تردي العقلية الاجتماعية المسيطرة على الشعوب الضالة التي تحيا القلق المتصل والضياع الكبير ، فقد تبين من الاحصاءات التي أجريت في السنوات الأخيرة أن عدد حوادث الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية يتراوح بين تسعمائة وألف (٩٠٠ و ١٠٠٠) حادثة طلاق في اليوم الواحد ومعظم المطلقات لا يتجاوزن الثلاثين من العمر !

إن الشعور المطالة المتلبدة بوحشية للرجال والنساء على حد سواء ، والأوراك التي تعرت في السيارة والنادي والشارع العام بعد أن تعرت على الشواطئ وفي حمامات السباحة، وتجارة المخدرات الرائجة وتعاطيها بجنون في أوساط الشباب الغربي المريض ، ليوحي بمصير رهيب ستلقاه تلك الشعوب إن عاجلاً أو آجلاً تساق إليه البشرية في صَغار وهوان يغرق الإنسان في وحل التحرر والتقدمية المزعومة !

ومن الآراء التي لا يستحي أصحابها أن تعلن : أن ينبري الضائعون التائهون الممزقون ليتهموا دعاة الإسلام بالتخلف الاجتماعي والدعوة من جديد إلى حياة القرون الأولى دون أن يكلف أحد المتعالين نفسه أن يبحث بموضوعية هادئة وأسلوب علمي هادف.. إلام يدعو الإسلام ودعاته الصادقون ؟!

إن دعوة الإسلام التي يحملها دعاته اليوم ويجاهدون في سبيل تطبيقها لتقوم على أسس قويمة من نظم الأسرة والمجتمع وإقامة العلاقات الكريمة وتوثيقها بين الوالدين والأبناء والزوج والزوجة والأقرباء وذوي الأرحام ، بل بين الجار والجار والإنسان والإنسان في صورة من الدقة والسمو والرفعة بحيث بلغت حد الكمال الأخلاقي والجمال النفسي الرائع الذي تفتقده أوروبا وتحرم منه أجيالها الضائعة...

ومع ما يدعو إليه الإسلام من تطهر ونظافة وحسن مظهر وحث على الاغتسال وأمر بالوضوء لتطهير معظم أعضاء الجسد خمس عشرة مرة في اليوم على الأقل ، لا فرق في ذلك بين الرجل والمراة والشيخ والشاب .. تبلغ السخرية حداً سقيماً لا يطاق حين ينبري دعاة المجون والفحش والرقيق الأبيض وأشباح عالم المخدرات ودنيا الجنس العاهر فيتهمون المسلمين بالتخلف ، ودينهم يأمرهم أن يحفظوا فروجهم ويغضوا أبصارهم وينظروا إلى المرأة نظرة سليمة تجمع الزوجة بها بين اللذة المنظمة والحلال والتقدير البالغ المتسامي .. ويجعلها بصورة أعم أولى الناس بالبر والمرحمة أماً رؤوماً وزوجة رفيقة وأختاً حانية وابنة بارة .

وتنطلي الفرية على السذج والبلهاء من الهتافين بلا وعي ، المصفقين بلا حساب ، السائرين وراء كل ناعق ، فيحققون بطعن دينهم وضرب كيانهم في الصميم

أهداف العدو ، ويلتقون بالدعوة إلى محاربة الإسلام في ميدان واحد مع الثالوث الاستعماري الرهيب : الصهيونية والصليبية والشيوعية .. شعر أولئك المضللون أم لم يشعروا !!

وحين نحيا لحظات من الدرس الموضوعي الهادئ والاطلاع الواقعي الدقيق نخرج بصورة رهيبة تحياها أمريكا وتعيشها بريطانيا بل معظم الدول الأوروبية ؛ إذ تساق – أمم تلك البلاد – بسياط لاهبة تحملها أكف مراهقة جعلت الجنس والعهر والمخدر لها غاية الغايات !

" لقد قام الدكتور ايان هندمارش – وهو محاضر في علم النفس في جامعة ليدز[1]– ببحث علمي عن تعاطي المخدرات في إحدى جامعات بريطانيا الإقليمية ، وقضى ثلاثة أشهر في الاتصال بـ (١٥٣) طالباً من المدمنين ، ولكنه احتاج إلى ١٨ شهراً ليجد عدداً مماثلاً من الطلاب لم يتلوثوا اطلاقاً بالمخدرات ، وسبب ذلك كان صعوبة العثور على الذين لم يعرفوا المخدر اطلاقاً ، لكي تجري مقارنة بينهم وبين المتورطين تماماً في تعاطي المخدرات المختلفة " .. وكانت النتيجة التي وصل إليها العالم البريطاني رهيبة : " إذ أن ستين في المائة من طلبة الجامعات البريطانية قد تورطوا في نواع من المخدرات بشكل أو بآخر .. والمتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى ثمانين في المئة .. ولا يقف الأمر عند طلبة الجامعات ولكن المراهقين خارج حدود العلم أسوأ حالاً ، كما أن المخدر يجد طريقه الآن في الصفوف الثانوية بل وفي الاعدادية ونزولاً إلى سن الحادية عشرة في بعض الحالات .

---

(١) العدد الثاني من جريدة الأبزرفر البريطانية شهر أيار ١٩٧١ .

" وتـدل الإحـصاءات علـى مـا يعـزز النظـرة الأولى العاجلـة وهـي أن البلداءوضعاف العقول عامة وهم أسرع المتهافتين على المخدرات ولا سيما الثقيلة منها ، إمعاناً منهم في الفرار من كل مسؤولية كائنة ما كانت ، ومعظم هؤلاء يمتازون باضطراب الشخصية والعزوف عن المعاني السامية في الحياة، مما لا يطيقون الخوض فيه " .

والواقع أن الجامعات لا تثير قلقاً كالذي تثيره المدارس . لقد أصبحت مشكلة المخدرات في الجامعات كمشكلة الحمل غير الشرعي بين المراهقات وفي هذا المجال تسارع بريطانيا في التدهور إلى المستوى الأمريكي .

" وعلى العموم فإن الفتيات لا يباشرن المخدرات قبل السنة الأولى الجامعية حيث يقود الفتى المحب فتاته رأساً إلى غرز المخدر . ويقول أحد أعضاء التدريس في جامعة سسكس : إن تعاطي المخدر أصبح نوعاً من الطقوس الذي يمارسه الطلبة في هيكل الوثنية الجديدة وأوضاع النفوس المنحلة الهاربة من سائر المثل العليا .. ويعتبر العزوف عن المخدر – في نظر العقول المخدرة – نوعاً من فقدان الرجولة والهمة في أوساط الشباب ، بل هو على الأرجح شذوذ ناتج عن عدم التكيف اللازم للمجتمع الضائع " !..

ويطرح سؤال كبير نفسه هنا .. ما موقف الهيئات التدريسية ورجال الفكر في الجامعات؟! وما موقف رجال الدين في بريطانيا مما يرون ويسمعون ؟!

وتأتي الإجابة عن شق من السؤال في نفس الدراسة التي أشرنا إليها :

" في الواقع هناك تراخٍ ظاهر عن ملاحقة الموضوع كله .. ويقول أحد الأساتذة المتحمسين ضد هذا السكوت : إن هناك مؤامرة صمت متعمد ، فأعضاء الهيئة التدريسية من الشباب لا يحبون أن يبدوا كأنهم أعداء لما يحسبه الشباب من تلاميذهم روح العصر ، وأما الكبار فلا يحبون أن يبدوا وكأنهم أصبحوا شيوخاً متزمتين "

أما رجال الدين فموقفهم يتضح بصورة متخاذلة وهم يحتجون بشدة على اقتراح ورد في إحدى الصحف البريطانية بالسماح للمراهقين الصغار – ممن هم دون السادسة عشرة – بممارسة العمليات الجنسية في جو محموم .. ذلك أن رجال الكنيسة لا يمانعون أو يسكتون ولا يحتجون على الأقل على القانون البريطاني المعمول به حالياً بالسماح للفتاة التي بلغت السادسة عشرة من العمر أن تمارس الجنس كما يحلو لها وكما تريد !..

إن ضعف النفوس وهزيمة المسؤولية في حياة هؤلاء الموجهين فوق منابر الجامعات والكنائس هي التي تركت للجيل الضائع الاندفاع نحو المصير الرهيب الذي يجرون معهم إليه البشرية كلها في مأساة مدمرة قاتلة . وهو نفس السبب الذي جعل عدد المصابين بمرض الزهري بمعدل عشرة آلاف مصاب في العام الواحد في الولايات المتحدة .. وعدد المصابين بمرض السيلان بمعدل ٢١٧ ألف في العام الواحد في نفس البلاد ...

ومن الخير لنا ونحن نقدم هذه الصورة الرهيبة من تقدمية القرن العشرين أن نثبت فيما يلي جدولاً يتضمن احصائيات وأرقاماً أوردتها نشرة رسمية صادرة عن منظمة الصحة العالمية عام ١٩٦٥م :

حالات إصابات الأمراض الجنسية (للزهري والسيلان) في الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للتشخيص والسن من ١٩٥٦ — ١٩٦٢

السنة	٠ — ٩ سنة		١٠-١٤ سنة		١٥ — ١٩ سنة		٢٠ — ٢٤ سنة	
	الزهري	السيلان	الزهري	السيلان	الزهري	السيلان	الزهري	السيلان
١٩٥٦	١١	١,٢٢٢	٧٥	٢,٤٢٥	١,٠٩٣	٤٤,٢٦٤	١,٧٧٨	٧٤,٧٥٥
١٩٥٧	٣٣	١,٦٢٨	٨٠	٢,٣٦٣	١,١٩٢	٤٣,٧٠٥	١,٨٥٧	٧٠,٧٧٧
١٩٥٨	٢٣	١,١٦٤	٩٠	٢,٧٠٦	١,٢٨٨	٤٨,٧٢٣	٢,٠٠٥	٧٦,٩٦٤
١٩٥٩	٣٩	١,٣٢٨	١٠٩	٢,٦٠٠	١,٦٦٨	٥٠,٣٢٤	٢,٧٧٩	٨١,٠٧٦
١٩٦٠	٢٠	١,٦١٩	١٣٩	٣,٢٦١	٢,٥٧٧	٥٣,٦٤٩	٤,٦٩٢	٨٧,٨٢٣
١٩٦١	٣٥	١,٦١٥	٢١٠	٢,٥٦٧	٣,٢١٥	٥٢,١٣٠	٥,٥٧٥	٩٠,٦٨٦
١٩٦٢	٤٠	١,٤٥٩	٢٢٥	٢,٤٢٢	٣,٥٨٧	٥١,٦٧٩	٦,٠٦٣	٩١,٥٨٨

حالات اصابات السيلان بين الأحداث من سنة ١٥ — ٢٤ سنة في انكلترا وويلز من سنة ١٩٥٧ — ١٩٦١

١٩٥٧		١٩٦١		الزيادة المئوية	
ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى
السكان الذين تبلغ أعمارهم ١٥ — ٢٤ بالآلاف					
٢,٧٥٧	٢,٧٧٥	٣,٠٧٢	٣,٠١٥	١١,٤	٨,٦
حالات مرضى السيلان					
٤,٩٩٩	٢,٣١٦	٨,١٤٢	٤,١٢٣	٦٢,٩	٧٨,٠
المعدل بالنسبة لمائة ألف من السكان					
٧١,٥	٨,٣	٢٦,٠	١٣,٧	٤٨,٦	٦٥,١

وتضيف النشرة العالمية المذكورة ملاحظة تقول فيها : " على العموم أن العدد الحقيقي لحالات الزهري والسيلان أكثر جداً من عدد الحالات المبلغ عنها . وكثير من الحالات عولجت بمعرفة أطباء خصوصيين ، ولا تظهر في الإحصاءات التي تم إعدادها من البيانات المسجلة في العيادات العامة " .

ونحن نضيف بأن الجيل الضائع المزق في الغرب والذي لا يؤمن بشيء من القيم أو المعقول لا يمكن أن يخضع لإحصائيات دقيقة وأرقام تعد مستوى رفيعاً من الدراسات العلمية الواعية .. وبالتالي فإن ما أشرنا إليه من أرقام وإحصائيات لا يدخل فيها ملايين الضائعين الساخرين بكل العلوم والمثل والقيم الإنسانية !

ولو تتبعنا إحصائيات " الانتحار " الذي يمارسه الغرب رياضة عاديةً يومية نابعة من يأس الجيل فيه وقنوطه أدركنا خطورة المصير وهول الكارثة التي تتردى فيها حضارة القرن العشرين يوماً بعد يوم ... ومن الصور المروعة والحالات المرعبة التي لا نحبها للإنسانية التي ننتمي إليها ؛ ولكنها واقعة لا نملك إخفاءها أو التغاضي عنها أن معدل عدد المواليد غير الشرعيين بانكلترا وويلز قد بلغ سبعة وثلاثين ألفاً بين عام ١٩٥٥ و ١٩٦١ ، وأن عدد الولادات غير الشرعية في نفس البلدين بين الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن من (١١– ١٦) سنة قد بلغ (٢٤٣٤)[1]...

وبعد : فإننا نسأل أنفسنا ونحن مقبلون على نفس الكارثة في خطوات أولى ولكنها متسارعة مجنونة ونسأل معنا العقلاء من بني قومنا : ماذا أعدوا ليحولوا دون البلاء الأعظم والطامة الكبرى؟!

---

(١) نشرة منظمة الصحة العالمية ١ نيسان ١٩٦٥ إعداد الدكتور اميوز كنج رئيس الاتحاد العالمي لمكافحة الأمراض الجنسية .

أي مجتمع هذا الذي يقوده المراهقون والبلهاء من رواد غرز الحشيش وأرصفة الشوارع من حفاة الحضارة وعراة التقدمية قذارة وضياعاً ولا مبالاة ؟

وأي أمة تلك التي يسكت فيها موجهوها من رجال فكر ورجال دين حماية لوجاهتهم ومكاسبهم المالية وحرصاً على الاّ يتهمهم البلهاء والمنحرفون بالوقوف في وجه روح العصر والتقدمية ؟!

وإذا كانت أوروبا والغرب كله يحيا الضياع فما لنا لا نمد له اليد الإنسانية الحانية والفكر الصافي المخلص الذي ينقذ في الناس إنسانيتهم ويصون فيهم كرامتهم؟!

لماذا لا نقول لهم : نحن لم نعرف الانتحار في كل مراحل حياتنا التاريخية؛ حتى في تخلف سياسي وانحطاط اجتماعي ، لأن بقية من دين لنا تحرم ذلك وتغرس في نفس المؤمن بشاعة السلوك الانتحاري الجبان ...

لمَ لا نقول لهم : نحن لم نعرف الزهري حتى في العصور التي امتد فيها نفوذ الإسلام إلى بلاد شاسعة مترامية الأطراف متعددة الشعوب متفاوتة في درجة الإيمان .. ذلك أننا نستجيب إلى دعوة الله التي تقول :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [1] وأن الزهري دخل بلادنا أول ما دخل في ركاب جند الحروب الصليبية ولذلك عرف في تاريخ الطب بالإفرنجي .. نسبة إلى الفرنجة المصدرين!

ولئن تفشى الزنا اليوم بين المسلمين فذلك بعض معطيات الحضارة الغربية وفضل من التقدمية المستوردة المزعومة !! .

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الإسراء .

إننا لا نرى أن يكتفى بنقل مثل هذه الأفكار وهذه الآراء الإسلامية الصالحة الصافية عبر نشرة توزع أو كتاب يطبع أو كلمة يلقيها شاب صالح يتلقى دراسته في الغرب مثلاً ، ولكنا نطالب الجامعات والمؤسسات الثقافية والفكرية والصحية والمالية في البلاد العربية والإسلامية إن وجد فيها الإنصاف العلمي المتباكى عليه أن تحمل الإسلام للدنيا على أنه الملاذ الوحيد للعالم الممزق من القلق النفسي والأوبئة الجنسية والكوارث الاجتماعية .

إن الكنيسة اليوم في أوروبا تعلن للدنيا إفلاسها ، وتكتفي من الحياة والأحياء أن يعترفوا لها بنفوذ مزركش لا يعدو طقوساً في الهياكل وصلوات في المناسبات حتى لم يعد الناس يفرقون في كثير من أقطار العالم بين دور العبادة ودور الأزياء ؟!

فلم لا ينبري المسلمون رجال فكر وثقافة ومال فيحملوا للكون راية الخلاص ويعلنوا للبشرية نداء الإنقاذ من كل بلاء وعناء ؟

أم أن الفكر والثقافة خاضعان للمال .. والمال مرتبط بالترف الذي أكد رب العزة أنه سبب بلائنا وسر دمارنا ، وها هو يدب دبيباً عبر السيارات الزاهية والمغاني الفارهة والفرش الناعمة الدافئة الوثيرة التي لا يعمرها ذكر الله ولا تعرف التقوى إليها سبيلاً ؟

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١)

---

(١) الآية ١٦ من سورة الإسراء .

إن من أبشع مواقف أمتنا الإسلامية التي تقفها اليوم أن تتألب فئاتها المتعددة وجماهيرها المضلّلة وأموالها المهدورة لتقف في وجه الفئة الصالحة من دعاة الإسلام ، الذين يدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية عقيدة ونظاماً وفكراً وعملاً وتراثاً وأمجاداً ، حتى التقى على حربهم سيفان حاقدان : سيف الصليبية في الغرب وسيف الإلحاد في الشرق !

ولم يكتف السادة الحاقدون بما يصنعونه هم من مؤامرات وما يعدونه من قوى مادية لحربنا ، بل أطلق هؤلاء وأولئك أتباعهم من " المنهزمين " والمضبوعين ممن يلتقطون فتات موائد الفكر مع فتات موائد الطعام ويشربون من سؤر السيدين الغالبين كأس التبعية والمهانة حتى يحولوا دون قيام أي جهد إسلامي مبارك من شأنه إزالة الغشاوة عن الأعين والعمى عن البصائر ...

إن الذين يزعمون أن الفضيلة والأخلاق يمكن أن تقوم في المجتمع الإنساني بلا دين ، مستمدة من فلسفة إنسانية محضة وآراء بشرية خالصة ، ويستشهدون على ذلك بالخلق الأوروبي في المعاملة : دقة في الموعد وإتقاناً في العمل .. إن أولئك قوم واهمون واهمون ! ونحن مع ما عرفناه عن الدوافع المادية الكامنة وراء الخلق الأوروبي والسلوك الغربي ؛ فإننا نعلم كذلك الكثير عن الإنحرافات الأوروبية والضلالات الغربية في السلوك مما يصدر إلى البلاد المحتلة ، حتى بات العالم يدرك صنفين من الأخلاق الأوروبية :

- خلق محليّ يتميز بالدقة والحرص على النظام .

- وآخر للتصدير نلمسه في قسوة المستعمرين وبطشهم ووحشيتهم مما يصب على رؤوس الشعوب المحتلة والديار المغصوبة .

ومع كل ما أشرنا إليه من ازدواجية في الخلق الغربي الذي لا يقوم على دين ولم نسمع يوماً موقفاً واحداً وصوتاً مرتفعاً في أفياء الكنيسة يحتج على الظلم أو القهر أو القتل الذي مارسته – يوماً – قوات الاحتلال في المغرب العربي الكبير أو في أية بقعة أخرى من المشرق والديار المستعمرة والأرض المسلوبة الخيرات في أية بقعة من بقاع العالم !

وحتى ذلك الوجه الذي ينطوي على إشعاع باهت من الإنسانية الخيِّرة شاه وجهه ومسخت مفاهيمه وصار معه مفهوم الأخلاق متبدلاً متغيراً يبدأ بالاختلاط فالتبرج فالجنس فالعهر .. ثم ينتهي بجيل الضياع واللامسؤولية !

ومن الغريب أن لقاءً يتم بين الرضى السوفييتي عن الانحرافات الأخلاقية في أوروبا – غرباً وشمالاً – والرضى الأمريكي عن التفسخ المريع الذي يهدد تلك الشعوب بالتمزق والدمار ..

والتبرير المنطقي لرضى السوفييت يقوم على وجود بيئة صالحة لسحق المقدسات والقيم وقيام جيل يرفض وجوده ويتمرد على تاريخه وعقيدته لتحل محل ذلك كله الماركسية في تنظيم حركي ينتظم البلاد الأوربية بلداً بلداً ويبتلعها قطراً قطراً ..

أما التبرير " الأمريكي " والرضا " الدولاري " فقائم على أن تكون تلك البلاد الأوروبية معسكرات تدريب ومنتزهات ترفيه وقواعد انطلاق وقلاع تكون معها أمريكا سيداً .. وشعوب تلك البلاد أقزاماً تسجد لها وتسير في فلكها !

ويسير فرسان الحلبة في الميدان الأوروبي ليسجل أحدهما الغلبة على الآخر.. أو تستيقظ أوروبا على صوت النذير ودويّ الصراع المؤذن بانهيارها وهزيمتها أبشع هزيمة ودمارها أسوأ دمار!

إن المنهزمين من تلاميذ الفكر الماركسي والثقافة الوجودية والعقلية الاستعمارية لا يفتأون يشككون في الإسلام ، ويحاربون قيمه ومثله حتى يظلوا مطايا للسيد المنتصر وولي النعمة الغالب .. ومن الغريب أن تشهد المنتديات الفكرية والأحزاب السياسية والتنظيمات الشعبية حواراً بين الحين والآخر بين أتباع الشرق والغرب ، يختلفون فيه في كثير من الآراء والمواقف ولا يلتقون إلا عندما ينبري متحدث يذكر الإسلام بخير أو يدعو إلى الأخذ بفكره والعودة إلى تراثه .. عندها فقط تذوب الخلافات بين الشرق والغرب وتتناسى الخصومات ويقف الإسلام وحده في الميدان ! !

إن المغالطة الكبرى التي يعيش عليها كثير من المخادعين لا نعني أن ننساق مع ما في الغرب من تقاليع أو أن نقلده تقليداً أعمى .. ولكنا نحب أن نسير نحو التقدم بتطور معقول نحافظ معه على شخصيتنا وذاتنا حتى لا نذوب ونضمحل أمام عدونا في معركة الحياة ...

ومثل هذا الكلام المنمق والعبارات الفضفاضة مردود مرفوض من وجهين :

الأول : فكرياً ...

لقد سمعنا من كان ينادي بالعروبة والقومية دون تبني أي شعار فكري محدد ، وكان الشعار المعلن المزعوم يومئذ هو التحرر من ربقة الاستعمار والانعتاق من نير الأجنبي وحكمه ليحكم الوطن العربي بالشعب العربي المستقل المتحرر ...

ثم مرت الأيام .. وإذا بالفئات التي تنادي بذلك الشعار تتخبط فكرياً " عقائدياً " ولا تحسن الرد على سؤال يطرح نفسه : ما الفكر الذي تقيمون على أساسه المجتمع العربي حين يتحرر والنظام الذي تحكمون به الوطن العربي بعد أن يستقل؟!

ويأتي الجواب عنيفاً حاقداً ينسف كل دعوى الأدعياء الأولى التي تنادي بالعروبة والقومية، فيقع التسابق الذليل نحو الماركسية كل يعلن ولاءه لها وتفهمه لمبادئها وتبنيه لأفكارها، حتى باتت الاتهامات بين الفئات المتحاربة المتنازعة تقوم على أساس البعد عن حرفية النص الماركسي والأفكار اللينينية !

وانتهت رحلة التأرجح والتردد والتزييف ، واستقر المقام ، وانتهى المطاف بالعروبة والقومية درجتين من درجات السلم الماركسي الطويل .. وخطوتين على الطريق اللينيني المعبد ! !

والثاني : اجتماعياً في المظهر والسلوك ...

إن المرأة العربية التي دعا أنصارها إلى تحررها ألقت بالحجاب عن الوجه ، ثم شمرت عن ذراعيها ، وكشفت عن الساقين ، وبدأت تبدي من مفاتنها ما لا حدود له .. حتى وصل الأمر بالحفيدة خولة والخنساء أن ترتدي الفاضح من الثياب مما لم يبق معه تحت الستر بعيداً عن الأعين إلا السوأة المستبشعة والعورة المغلظة ... فأين ضوابط هؤلاء الأدعياء ؟!

وأين الشخصية العربية التي حافظوا عليها في ميدان السياسة أو دنيا الأسرة والمرأة كما كانوا يزعمون ؟!

لقد بدأت الفتاة العربية في ظل الدعوة إلى التقدمية والتحرر تعود إلى عهد الحفاء والعري وتسير خطوات على طريق الضياع الذي يحياه الجيل الغربي المعاصر.. كما بدأ الشباب العربي خطوات من الصرع المتمثل في تقليد الهبيين بلا وعي ولا تدبر عبر شارع الحمراء في بيروت وعلى شواطئ البحار العربية ومواخير الليل .. فمن

لهذا الجيل الضائع غير الإسلام يرده إلى صوابه ، ومن للشباب الحائر غير الدعاة إلى الله يعيدونهم إلى إيمانهم بربهم واعتزازهم بتراثهم وأمجادهم.. حتى يكونوا في مقبل الأيام شيئاً مذكوراً !..

الرّجعيّة ثقافياً

أول كلمة نزلت في كتابنا المنزل ودستورنا الرباني الخالد :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

وهي دلالة ذات أعماق جذرية وأبعاد أصيلة موحية أن يرد في خمس آيات بدأ بها نزول القرآن سبع كلمات تشير إلى العلم والتعلم في زمن كانت الأمية فيه متفشية وكانت الجهالة فيه مطبقة .

وانطلاقاً من هذا المفهوم السليم للعلم المؤمن والمعرفة الواعية راح المسلمون في كل العصور يعملون على إضاءة المشاعل في طريق الإنسانية : كاتباً وأديباً .. وجامعة وعالماً .. ومحراباً ومختبراً.

إن إلمامة بسيطة بما قدمه رجال الفكر الإسلامي وعلماؤه من دقة بحث وروعة تمحيص في دراسة الحديث الشريف ، واطلاعاً خاطفاً على ما قدمه فقهاء الأمة من حوار ورأي ودراسات فقهية متعددة ، ومروراً عابراً بما قدمه الرازي وابن سينا في الطب والصيدلة وأبو بكر الخوارزمي في الرياضيات وجابر بن حيان في

---

(١) الآيات ١ — ٥ من سورة العلق .

الكيمياء والحسن بن الهيثم في الفيزياء ، وابن خلدون في علم الاجتماع ، وغير أولئك من مئات العلماء الذين وضعوا بذرة العلوم الحديثة نقلاً أو تهذيباً أو إبداعاً يوم كان الناس في جهالة عمياء ووحشية بشعة في أصقاع الجليد أو ظلمات الغابات في أوروبا وأمريكا.. إن كل ذلك ليدل دلالة موضوعية هادئة على أن الدعوة إلى الجمع بين المختبر والمحراب أمر طبيعي فطري سوي في دعوة الإسلام ، لا يفرق بينهما عداوة مصطنعة ولا خصومة مفروضة موهومة تأتي من خارج إطار التفكير الإسلامي الرفيع.

إن بلاءنا من الذين يستوردون الفكر والثقافة والرأي والعقيدة كما يستورد الثياب ، وهو داء يفتك بالأمة المسلمة كما يفتك الداء العضال بالجسد ويبدد منه كل مظاهر الصحة والعافية .

إن ديناً يحث على العلم ويدعو إلى الحكمة ويأمر أتباعه بفقه الحياة وتعلم كل ما من شأنه أن يرفع من مستوى الأمة في عيشها وعلاقاتها بالناس فردياً وأسرياً واجتماعياً ودولياً ، لا يمكن أن يوصم برجعية الفكر وتخلف الثقافة إلا إذا كان البحث يدور والاتهام ينطلق من مجموعة الببغاوات التي تردد ما ينادي به السادة المدبرون للمكيدة المتآمرون على تراث الإسلام من أساطين المادية المظلمة والصليبية الحاقدة واليهودية العالمية المسعورة !.

لقد عرفت مكتبات بغداد وقرطبة والقاهرة ونيسابور مئات الآلاف من الكتب الباحثة في مختلف الموضوعات الفكرية والقضايا العلمية في وقت لم تكن فيه الطاقة الكهربائية مكتشفة والآلة الطابعة موجودة — وإنما كانت مخطوطة بأيدٍ دأبت تسطر أسفار الحضارة وصفحات المجد على ضوء شموع تذوب وعيون تذوي في

محاريب التقوى والعلم والمعرفة .. في الوقت الذي كانت فيه أوروبا لا تعرف من يحسن " القراءة والكتابة " في أبسط مظاهرها إلا في صورة راهب في دير أو قسيس في كنيسة !

إن الباحث الذي ينشد الحق دون ضلالة ، ويطلب المعرفة من مظانها بتجرد، ليلقى حشداً من أسماء الأطباء بينهم عدد كبير من النساء كن يهبن بإذن الله تعالى البرء والشفاء للناس في بغداد والأندلس وغيرهما من بقاع الديار الإسلامية يوم كان أدعياء الحضارة اليوم لا يعرفون غير السحر والشعوذة حلاّلاً لمشكلاتهم .. معالجاً لمعضلاتهم كما يتوهمون !

أين رجعية الثقافة والفكر والمعرفة يا مفترون ؟!

إن عقيدة تخضع أجنحة الملائكة لطالب العلم رضى بما يصنع لا يمكن أن ترقى إلى مستواها عقيدة على وجه الأرض في أي عصر من العصور المتعاقبة بين مقبلة وذاهبة !

والعلم والمعرفة في الإسلام ليسا مجرد وسيلة عيش ولا سبيلاً للرزق ، ولكنهما أسلوب وطريق يؤدي بالمسلم إلى رضوان الله عبر خدمة الناس ونفع البشرية " اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع " ، يقول ابن حزم الأندلسي عن إنتاجه العلمي والأدبي : " لم نقصد به مباهاة فنذكرها ، ولا أردنا السمعة فنسميها . والمراد بها ربنا جل وجهه " .

والمسلم حيثما حل أو ارتحل لا بد أن يكون له بالعلم صلة وبالمعرفة آصرة حيثما كان ؛ وإلا كان من الخاسرين في دنياهم الهالكين في آخرتهم " اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك " .

لقد عرفت الأندلس " بكثرة علمائها ووفور أدبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم للعلم وأهله ، يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه "[1] وفي الوقت الذي كانت أوروبا لا تعرف غير الجلود تسطر عيها الكتب الرسمية المقتضبة أو التراتيل الكنسية الموضوعة كانت الأندلس تصنع الورق وتتخذه أداة ووسيلة لحفظ التراث وصيانة المعرفة للعالم بأسره .

ولا يكاد العقل البشري يصدق ضمن محدوديته أن تآليف ابن حزم التي ضاع أكثرها قد بلغت أربعمائة مجلد في ثمانين ألف ورقة ، وأن تآليف عبد الملك بن حبيب السلمي في الأندلس المتوفى سنة ٢٣٨ هجرية وله من العمر ٥٣ سنة قد بلغت ألفاً .. وكأن الواحد من أمثال هؤلاء العلماء يمضي كل عمره يحيا المعرفة ويمارسها ويسجل تجاربه في حقولها المختلفة عبر القرطاس والقلم .

لقد كان الشعب الأندلسي المسلم كله رجالاً ونساء يقرأون ويهتمون بالعلم والثقافة في شتى ميادينها الأدبية والفكرية والعلمية حتى عرف مع الشعراء والشاعرات الأطباء والطبيبات .

ويقول المقري في نفح الطيب عن قرطبة : " وبها أنشئت التآليف الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة . وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب ، حتى صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة .. وأصبح جمع الكتب والحصول عليها سبباً للتفاخر — دراية وهواية[2] . وينقل لنا المقري في نفح الطيب عن ابن سعيد " أن الرئيس منهم الذي لا تكون مكتبة تداني ما عنده ، والمقدَّم هو من

---

(١) نفح الطيب للمقري ج٣ ص١٥٧ .

(٢) نفح الطيب للمقري ج١ / ٤٦١ .

في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ، ليس إلا أن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره . والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به " .

وفي القصة التالية التي ينقلها المقري عن الحضرمي ما يشير إلى المستوى الرفيع في مجال التباهي بالعلم والمعرفة وأدواتهما ووسائلهما بحيث يدل ذلك دلالة عميقة على أصالة الارتباط بنور المعرفة وميادين الحضارة ..

" أقمت مرة بقرطبة ، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إليَّ المنادي بالزيادة عليّ ، إلى أن بلغ فوق حده فقلت له : يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي ، قال فأراني شخصاً عليه لباس رئاسة فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده . فقال لي : لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد وبقي فيها موضع بسعة هذ الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير " .

ولقد كانت المكتبات الخاصة في معظم البيوت في قرطبة ، أما العامة في المدن والقرى فقد بلغ عددها في الأندلس أيام الخلافة سبعين مكتبة بالإضافة إلى الحوانيت العديدة وأسواق بيع الكتب المختلفة ...

ويذكر ابن حزم أن عدد الفهارس التي كانت في مكتبة قصر الحكم الناصر قد بلغ أربعاً وأربعين فهرسة كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .. وأن عدد الكتب فيها قد بلغ أربعمائة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها إلى الموضع الجديد في صرح خاص بها في القصر أقاموا ستة أشهر في نقلها .

وبالإضافة إلى ما كان في بعض المساجد من مكتبات يستخدمها الطلاب فقد وجد في كثير من البيوت مكتبات للرجال والنساء علماء ومتعلمين ، حتى إن بعضهم كانت له جماعة من الوراقين وغيرهم ومهمتهم استنساخ تلك الكتب وحفظها وترتيبها .

هذا في الوقت الذي حاول فيه شارل الخامس ملك فرنسا الملقب بالحكيم في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أن يجمع أكبر عدد من الكتب في بلاده وفي عهده ، فلم يستطع أن يجمع أكثر من تسعمائة مجلد كثير منها خاص بعلم اللاهوت [1].

كان هذا في الوقت الذي لا تعرف فيه أوروبا من العلوم والمعرفة إلا مبادئ بسيطة مقصور معظمها على رجال الدين .

ولكي تمتد المعرفة وتصل إلى كل الناس في استمرارية مشرفة وديمومة مثمرة كان عدد من أصحاب المكتبات يوقف مكتبته بعد وفاته على الطلبة كما فعل القاسم بن سعدان المتوفى سنة ٣٤٧ هجرية .

---

(١) جوستاف لوبون حضارة العرب : ٤٣٤ .

ولكي يصحو الذين لا يؤمنون بعقيدتهم ولا يعرفون تراثهم لا بد من مقارنة بين واقع المرأة في أوروبا المسيحية والمرأة المسلمة في الأندلس ، وذلك بأن يَّطلعوا على رأي جامع الكتب الانجليزي المعروف ريكارد دي بيريه في المرأة حيث يعدها حيواناً بغيضاً يكره العلم ، في حين كانت المرأة المسلمة في الأندلس قبل هذا التاريخ بعدة قرون متعلمة وعالمة ومعلمة .

ويقول ابن بشكوال في كتابه " الصلة " عن عائشة القرطبية بنت أحمد بن محمد بن قادم المتوفاة سنة ٤٠٠ هجرية أنها كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر ، وتجمع الكتب ، وتعنى بالعلم ، ولها خزانة علم كبيرة حسنة .

ونتيجة لاهتمام الناس بالكتب ظهرت فنون الخط والتجليد حتى بلغ عدد النساء اللاتي يجدن كتابة القرآن بالخط الكوفي في قرطبة مئة وسبعين امرأة .

ومع كل ما أداه ويؤديه هذا التراث الحضاري العظيم من خدمات وفوائد للإنسانية كلها ، فقد أصدر رأس الكنيسة الاسبانية المطران خمينس دي تسنيروس عام ٩٠٥ هجرية و ١٤٩٩ ميلادية حكماً بجمع كل ما يمكن من الكتب في رحبة باب الرملة —أكبر ميدان في غرناطة — واحتفل باحراقها في حفل اعتبر —كنيساً —من أعمال الإيمان والتقرب إلى الربّ ، وقد أقيمت حرائق مماثلة في مواطن أخرى من الأندلس على أيدي الحاقدين .

إن مثل هذا العرض السريع الخاطف للثروة العلمية والتراث المكتبي التي عرفته الأندلس انطلاقاً من اقرأ باسم ربك الذي خلق — ومروراً بأمر الأسرى المشركين في بدر أن يعلم كل أسير عشرة من أبناء المسلمين لتكون المعرفة ثمناً لحريته، وعبوراً بعصر المأمون الزاهر .. ليؤكد لنا ضحالة الفرية المستوردة والعار الوافد الذي يسميه المنهزمون حضارة وتقدماً حين يتنكرون لأقباس العلم والمعرفة الإسلامية على طريق الإنسانية الطويل ...

وحتى لا تقف معرفة المسلم عند حدود ضيقة من دنياه الجغرافية وعالمه القومي (نسبة إلى قوم) ، وحتى لا يكون المسلم جاهلاً بما حوله معزولاً عما يحيط به من عوالم أمر الرسول الكريم ﷺ من صحابته من يتعلم لغة غير لغته ويتكلم بلسان غير لسانه .

" عن زيد بن ثابت قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود ، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتاب . قال : فما مر بي نصف شهر حتى تعلمتُ ، فكان إذا كتب إلى يهود كتبت ، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم "[1].

وإذا كان لنا أن نقف مع الدعاة إلى الله وقفات واعية فاحصة في عصرنا الحديث ؛ فإننا نلمس إقبال أولئك الدعاة إلى الإسلام على الجامعات وطلب العلم في شتى مجالاته حتى بلغت نسبة الإسلاميين في معظم اتحادات طلبة الجامعات المصرية يوماً فوق ٩٠٪ في أغلب الأحيان ، مما أقض مضاجع اليمين واليسار معاً ووحد حملات الانتخاب بين أحزاب الوفد والسعديين والشيوعيين في وجه الزحف الإسلامي المشرِّف ووعيه .

أين الرجعية إذن أيها المغالطون .. المفترون ؟!

هل من مظاهر التخلف العلمي لدى فئة مؤمنة أن يؤدي اعتقال بعض أبنائها يوماً على يد اليسار الزعوم والتقدمية الزائفة إلى اغلاق المجلس القومي للبحوث العلمية في " قلب العروبة النابض " حيث كانوا يشكلون أغلبية من المتفرغين في أبحاث الذرة ، ليحل محلهم غرباء عن الديار يعيدون الحيوية والنشاط إلى المجلس بعد أن كان معظم من فيه من ذوي القلوب الطاهرة والأيدي المتوضئة ؟!

---

(١) انظر مشكاة المصابيح ٤٦٥٩ قال المحدث الألباني : اسناده صحيح .

لقد وقع بصري يوماً في صحيفة موالية لحكم عربي متحرر على صورة لشاب اتهم بالرجعية والتآمر ، وكان الشاب من المهتمين بأبحاث الذرة وعضواً في المجلس القومي للبحوث العلمية فماذا رأيت ؟!

شاب يدعو إلى الله على بصيرة ، ويعتبر الولاء لأحد المعسكرين المتطاحنين ردة جديدة ، لأن الولاء في عقيدته لا يجوز لغير الله ، ولمحت في بريق عينيه تطلعاً إلى مستقبل مشرِّف لإسلام صحيح لا تشوبه شائبة ، فهو يدعو إلى العلم والمعرفة والخير ، وهو من المؤمنين الذين يجمعون بين إقامة الصلاة في المحراب وإجراء التجارب العلمية في المختبر ...

وكانت ملامح من " تقدمية " المجتمع الظالم والحكم المستبد تلوح على وجه الشاب المؤمن ، متمثلة في آثار التعذيب بالنار تكويه وبقع من الدم تلطخ جبهته ، وعروق عنقه ومحاجر عينيه تنطق بأقسى آثار التعذيب وصور الوحشية الدالة على التخلف والرجعية تنصب في حقد غاشم من أكف أدعياء التحرر والتقدمية !

ومع ذلك لم تخجل صحافة " السلطان " في " عواصم التقدمية " العربية أن تهبط لتتهم الدعاة إلى الله بالرجعية ، وتزور ضدهم مؤامرة مزعومة تعمل على قتل المطربين والمطربات ، ونسف المراقص والكباريهات ، في صورة سقيمة من استجداء عواطف المراهقين والمراهقات والقطيع الضائع الحائر في دوامة الصخب الذي حجب صوت الحق ونداء الخير عن الآذان ..

هذا في الوقت الذي تخرج علينا صحف الغرب تعلن أن طبيباً عالمياً كبرنارد زارع القلوب في جنوب أفريقيا لا يقوم بعملية جراحية إلا بعد أن يخشع في صلوات يستلهم بها القدرة على العمل والعطاء في هيكل المسيح المخلِّص .. وتعلن للدنيا جميعاً أن أول عمل قام به رواد الفضاء حين حطوا على سطح القمر ترتيل آيات من الإنجيل الذي به يؤمنون !

ترى .. ما رأي الصحافة العربية التقدمية في أقصى يمينها وأقصى يسارها لو هبط على سطح القمر عالم مسلم وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ؟!

وخلاصة القول مما ذهبنا إليه أن " المنهزمون " هم أساطين الرجعية المظلمة، ودعاتها الأوفياء ، وأعلامها المبرزين في العالم العربي والمجتمع العالمي ، سواء أكانت الرجعية استمتاعاً حراماً بالمرأة في أسواق العري والنخاسة الحديثة على الشواطئ وفي حفلات مسابقات الجمال أم في الدعوة الصريحة الوقحة إلى ممارسة الجنس في الحدائق العامة في ضوء القمر وتحت أشعة الشمس ، أم كانت دعوة إلى التمييز العنصري البغيض الذي يقسم الناس إلى سادة بيض وعبيد سود البشرة ...

بل أن للرجعية صوراً رهيبة أخرى تتمثل في تصفية الخصوم في الظلام أو سحلهم أحياء ولو كانوا من أبناء الوطن الواحد ، وجرهم خلف سيارات الرفاق في شوارع بعض عواصم الوطن العربي المتحرر لمجرد خلاف في الرأي ومعارضته في الخصومة الفكرية !..

أية صورة من صور الرجعية أبشع من إبادة الملايين من المؤمنين أو المخالفين في الرأي في صحاري سيبيريا باسم حماية الثورة البلشفية التي يفترض أن تكون منبعثة من صميم الشعب وأن يكون إيمان الجماهير بها هو الدرع الذي يصونها ويحميها ؟

وأية صورة من صور الرجعية أتعس من تشريد مليوني إنسان آمن مطمئن في وطنه فلسطين ليبيت معذباً تحت كل سماء مطارداً فوق كل أرض ، وحشد قوم مكانهم كان لهم وطن هجروه ، وأرض تركوها ؛ حباً في العدوان ورغبة في تحقيق أسطورة أرض الميعاد المزعومة ؟!

---

(١) الآية ٥ من سورة العلق .

إنها الرجعية مهما تبدلت صورها واختلفت أشكالها .. إنها رجعية الاستعلاء التي تستوي فيها معاملة السود والكلاب في أمريكا بلد الديموقراطية الزائفة والتقدمية الموهومة .. بل أن للكلاب حظاً أوفر ونصيباً أكرم من المعاملة والرفق والاشفاق !..

إن من مظاهر التقدمية الأمريكية أن يباد شعب بكامله في بلاده الأصلية وأن يمحى من الوجود ، إنه شعب الهنود الحمر الذي لا يعلم أحد مأساته في أمريكا الحضارة والتقدمية — حيث يذوب داخل مخيمات ومناطق محجور عليه فيما هو أشبه بمعسكرات الاعتقال ؟

والقنبلة الذرية المدمرة التي ألقيت على " هيروشيما " لتحيل حياة الإنسان المتفتح بالمنى والآمال كتلاً من اللحم وأنهاراً من الدم وأكواماً من الرماد .. أهذه هي التقدمية ؟!

والغاز القاتل الذي يتسلل إلى أجواء الإنسان الآمن ليترنح وينهار ويودع الحياة خنقاً في غير اشفاق ولا مرحمة .. أهذه هي التقدمية الأصيلة يا أدعياء التقدمية ؟

والأسلحة الميكروبية[1] التي يعدها الإنسان متربصاً بأخيه الإنسان .. أهناك أبشع من هذه الرجعية ؟.. رجعية الإرهاب الفكري والجريمة العلمية والعقول التي ما زالت على درب الضلال لا تعرف غير الدم يروي الأحقاد .. ويشفي الصدور ؟!

لقد عرف " العالم الغربي " المكارثية[2] في أبشع صور الإرهاب والمطاردة ، وعرف " العالم الشرقي " الستالينية صورة أخرى من صور الكبت والتشريد السياسي المرعب .. وانتقل الإرهاب التقدمي ووسائل التعذيب التحررية إلى العالم العربي ليكون " دعاة الإسلام " ضحية تحالف الشرق والغرب ضد الإسلام ويصبح أبناء الوطن

---

(١) راجع كتاب الأسلحة الكيماوية والجرثومية للدكتور نبيل صبحي .

(٢) اشارة إلى حملة مكارثي في أمريكا ضد الشيوعية .

الأوفياء من ذوي الفكر الأصيل الذين يرفضون الفكر الدخيل في ديارنا حقولاً تجرى فيها التجارب على أحدث مستوى ارهابي مما ينتجه العقل المستبد الحاقد على كل قيم التقى والرحمة وخير الإنسان !

" ودعاة الإسلام " اليوم .. لم يتسلموا نفوذاً ولم يبلغوا مقاعد المسؤولية والحكم حتى يحكم على تصرفاتهم في مختلف الجوانب .. وكل الذي يقع — لو قدر للإسلام أن يحكم من جديد وهو قدر حتمي لازم يهيئ الله له ويعمل المؤمنون — أن ينفذوا رأي الإسلام الخالص ، وأن يطبقوا أحكامه وهي واضحة لا غموض فيها ولا تعمية :

لقد وقف " بلال الحبشي " يوماً موقفاً عنيفاً فيه رأيٌ لأمير المؤمنين عمر حول مصير أرض سواد العراق المفتوحة ... بلال يرى أن تقسم الأرض على الجيش الفاتح صاحب الحق في اقتسام الغنائم ، وعمر لا يرى ذلك خشية انصراف المجاهدين إلى زراعة الأرض والتمتع بخيراتها والتخلي عن حمل الدعوة إلى الناس ، ثم يتوارثها الأبناء بعد الآباء فلا يبقى للجيش ولا للخزينة مورد من مال .. ولم يوقع عمر الأذى ببلال .. وعمر معه القوة والنفوذ والسلطان ، ولكنه ظل يقول في أعقاب كل صلاة : اللهم اكفني بلالاً .. إلى أن لقي آية في الكتاب ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[1] فدعم بها رأيه وقوّى بها حجته .. وانتصر عمر على بلال بالآية لا بالنفوذ، وقدّرت له الغلبة بحكم الشرع لا بحد السيف وكثرة الجند وبطش القوة .. وحُكم الشرع مثلما هو لعمر هو لبلال .. ومثلما هو للخليفة هو للرعية كذلك .

---

(١) من الآية ٧ من سورة الحشر .

وبديهي أن نسمع في حياتنا ونقرأ بين الحين والآخر سطوراً مشرقة من حياة عمر يقولها لبدوي يخالفه في رأي ويعارضه في حكم ... وتنتهي المناقشة الحادة بعبارة هادئة وحوار شامخ يدمغ خصوم الإسلام المنهزمين بأبشع صور التخلف وأسوأ معاني الرجعية :

– والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بحد سيوفنا .

– الحمد لله الذي أوجد في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر !

إن الخوف الموهوم والاشفاق المزعوم من العودة إلى عصر الجمل والخيمة وقربة الماء تفكير هابط مرفوض " للمنهزمين " الذين يخلطون جهالة أو عمالة – بين مفاهيم " العلم " و " المدنية " و " الحضارة " ! .

ذلك أن الإسلام يطالب أتباعه بالتعلم ما بقيت الحياة تنبض في عروقهم ، ويحثهم على الاستزادة من المعرفة ما طلعت عليهم شمس كل نهار .. فمن ذا الذي يقول برفض العلم ومنجزاته والمدنية ومعطياتها في أفياء المصانع والمختبرات ؟!

والإنسان – أي إنسان – لا يرفض أن يستبدل بالجمل سيارة وبالسيارة طائرة وبالطائرة صاروخاً .. وأن يحل البراد محل القربة ، والمصعد مكان السلم الخشبي المتآكل .. ولكن هذا القبول بما ينتج المصنع وهذا الرضى بما تقدمه المدنية شيء ، وقبول " التلاشي " في أفياء فكر منحرف والذوبان في بوتقة عقائد مستوردة حاقدة شيء آخر .

إن الحضارة لا تعني مظاهر التقدم العمراني وتطور وسائل الحياة وآلات المعيشة فحسب ولكنها تعني تصور الإنسان لما حوله وتفكيره فيما يدور ، وما ينبثق عن هذا التصور وذاك التفكير من أساليب العيش ومعالم الحياة ومظاهر السلوك ...

ولذا فإننا نعد الرجل الأمريكي مثلاً متمدناً لأنه يركب الطائرة ويستعمل المصعد ويشاهد برامج التلفزيون ويستخدم الهاتف ويحيا في بيت تشيع في جنباته كل مظاهر الحياة المترفة .. ومع ذلك فإننا لا نعده متحضراً لأنه ما زال يعامل الملونين معاملة يرفضها الإسلام لكل ذي روح ، فما بالك بالإنسان الذي كرمه الله على الخلق أجمعين : ولقد كرمنا بني آدم !..

إن العقلية التي ما زالت تكتب على أبواب المطاعم والجامعات : " ليست للكلاب والسود " وتسهم في إبادة الهنود الحمر في معسكرات خاصة تعزلهم عن العالم، وتشرد الملايين الأبرياء من بلادهم فلسطين بغير حق ، وتحيل ملايين الأنفس والأجساد رماداً في هيروشيما ، ومثلها تلك التي أبادت ملايين المؤمنين في صاحرى سيبيريا وقطفت ثمار النصر في الحرب العالمية الثانية بسلاح الموت الرهيب – القنبلة الهيدروجينية – جنباً إلى جنب مع الإمبريالية الأمريكية .. مثل هذه العقلية لا يمكن أن نسميها عقلية متحضرة ، ومثل هذا الفكر لا يمكن أن يعرف بالفكر التقدمي ؛ لأنه فكر لا يؤمن بغير الإبادة والسحق والسحل في أجواء حاقدة مظلمة ، لا يغير من ذلك أناقة الملبس أو رشاقة الخطو أو لباقة الحديث !

ومع ذلك فلا يغربن عن بال الغرباء عن ذاتهم المنسلخين من تأريخهم المتنكرين لتراث أمتهم ، الذين يعيِّرون دعاة الإسلام بعصر الجمل وعهود الخيمة أنه كان لنا في عصر الجمل كرامة وكان لنا في أفياء الخيمة وجود وكان لنا مع قربة الماء عزة لا يجد مثلها اليوم الذين استبدلوا بالجمل " الكاديلاك " وبالخيمة " القصور " وبالقربة " زجاجات الخمر " من كل طعم ولون مما يمزق الوجدان ويفتك بالأبدان !..

أرأيتم كيف يتعاون " اليمين " الأسود و " اليسار " الحاقد على رفع راية الرجعية والتخلف والهبوط في دنيا القيم وعالم الأخلاق وميدان الروح .. ولو بلغوا القمر وأنفقوا على غزو المريخ كل أموال الأرض وكل ثروات الوجود !

إن الإنسان السوي والبشرية المعذبة تطالب غُزاة القمر والمريخ أن يغزوا أعماق أنفسهم ليطردوا منها كل معاني العدوان ومظاهر الحقد وبذور الرجعية ؛ ليكونوا جديرين بكل ما تحمله من معنى كلمة " إنسان " ! !

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

انتصار العلمانيّة

على الخرافة لا على الدين

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

صدق الله العظيم

[الآيتان " ٢٧ — ٢٨ " من سورة فاطر]

قال رسول الله ﷺ :

((مَنْ سلَك طريقاً يلتمسُ فيهِ علماً سهّلَ اللهُ لهُ طريقاً إلى الجنّة ، وإنَّ الملائكةَ لتضَعُ أَجْنحَتَها رضاً لطالبِ العلمِ ، وإنَّ طالبِ العلمِ يستغفرُ له من في السماءِ والأرضِ حتى الحيتانِ في الماءِ ، وإنَّ فضلَ العالم على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكب . إنَّ العُلماء ورثةُ الأَنبياءِ . إنّ الأَنبياءَ لم يُورِّثوا درهماً إنَّما ورَّثوا العلمَ ؛ فَمن أَخذَهُ أَخذ بحظ وافرٍ)) .

" رواه ابن ماجه "

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

انتصار العلمانية

على الخرافة لا على الدين

من الموهومات الكبيرة الشائعة التي يروج لها " المنهزمون " بلسان عربي وولاء أجنبي أن الدين قد ولّى عصره ، وأن الإيمان في تقهقر مريع أمام زحف العلمانية الظافر وجحافلها المنتصرة في كل الميادين !

وهم يزعمون فيما يشيعون بأن قلاع الدين راحت في العالم كله تسقط قلعة قلعة وأن حصون مقاومته بدأت تنهار لتحل محلها صروح العلم بلا إيمان ، والتجارب بلا عبادة ، والتحرر المنطلق من كل قيود القيم والفضائل ، ويسميها المنهزمون عندنا التقاليد البالية ! !

وللوهلة الأولى وعبر وسائل الإعلام بكل ولاءاتها وميولها يبدو مثل هذا القول واقعاً لا سبيل إلى إنكاره ؛ غير أن نظرة هادئة عميقة تُلقى على كل ساحة فاز فيها " العلم " على " الدين " بالغلبة والظفر تضعنا أمام حقيقة لا يعلنونها وصورة دقيقة تخفيها المغالطة ويطمسها الزيف حين نرى ظفراً زائفاً لا تكافؤ فيه ولا نزال، ونلمس طرازاً من الخرافات والأساطير حشدت في ساحات الصراع المزعوم حشداً غير واعٍ ولا منظم لتنهزم أمام الأبحاث العلمية والعقول المبدعة في المصانع والمختبرات .. وكان الغائب الوحيد عن ساحة المعركة وميدان الصراع : الدين الحق والعقيدة الخالصة !

لقد ظفر العلم في اليابان مثلاً على عقيدة تقول إن الميكادو من نسل الآلهة وتنادي بالسجود له والخضوع بين يديه .. وإن شوارع طوكيو وغيرها من المدن اليابانية ما زالت تذكر موكب الامبراطور المؤلّه يجوبها وجباه المواطنين على الأرض ساجدة أو عيونهم على الأقل لا ترتفع ولا تتطلع إليه ...

وطبيعي أن يتفتح وعي الشعب الياباني بعد الحرب واختلاطه بشعوب الأرض ؛ ليرى أن حكام الدنيا وملوكها ليسو سوى بشر كغيرهم من البشر ، أتاحت لهم المقادير أن يحكموا بعدلٍ فيلقَوا من شعوبهم الحب والتقدير ، أو أن يسوسوا شعوبهم بظلم فيبادلهم الناس كراهية وحقداً وسوء منقلب !..

وسقط الدين (في اليابان) .. أمام مظاهر الحياة الحديثة في المنتديات السياسية والمسارح الفنية والجامعات العلمية ، وزالت من أذهان الكثير من أبناء الشعب الياباني أسطورة الامبراطور الإله .. المنحدر من سلالة الشمس في بلاد الشمس المشرقة !

وكانت الغلبة في الهند للعلم على عقيدة تؤله البقر وتبارك خطواته وتتمسح بإفرازاته قدسية وعطاءً .. وطحن العلم حشداً من الديانات العجيبة الكثيرة التي لا تحصى ابتداء من عبادة البقرة بعبادة الثعبان والجدي والفرج والشجر والماء والقمر والنجوم وكل وثنيّات القرون المتعاقبة . ولم ينتصر العلم في الهند على عقلية مؤمنة تحاور نفسها الحوار الواعي وتتحدث إلى ذاتها الحديث السوي المفتوح :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

وانتصر العلم في مناطق كثيرة من آسيا على قوم يخرون سُجَّداً عند أقدام صنم كبير يرمز إلى بوذا الذي تنحني بين يديه الهامات وتطأطئ الرؤوس ..

وفي أفريقية التي كانت غارقة في وثنية ساذجة تزخرفها الرقى وتزينها التعاويذ ويحلّ مشكلاتها كما يزعمون شعوذة وسحر لا يرقى بأصحابه إلى درجة الإنسان العاقل والبشرية السوية كان الانتصار للعلم على الخرافات والأساطير في دنيا المستنقعات والأدغال والفيلة والتماسيح ! ...

أما بين " شعوب الكنيسة "المنتسبة للإيمان في هوية " الرسميات " وسجلات " المواليد " فقد ظفر العلم على كثير مما كان يعتقده الناس من مُعمَّيات وألغاز لا يجوز الخوض فيها أو البحث في أسرارها وأسبابها وأصولها إلا لمن كان من رجال الكهنوت وهيئة الإكليروس التي تحصر في أفرادها حق التفهم والتفسير لما يرى الناس أو يسمعون بين يدي الصور المزركشة أو عند أقدام التماثيل !..

---

(١) الآيات ٧٤ – ٧٩ من سورة الأنعام .

وبديهي أن يقف الشاب الأوروبي مقارناً بين ما يسمع في الهيكل والتراتيل وما يرى ويستوعب في واقع الحياة ومعركة الوجود ، فوَّلد الانفصام الكبير والازدواجية الساحقة في النفسية الأوروبية المعذبة والروح المسيحية القلقة في الغرب المدبر عن الإيمان المقبل على المادة .. والعلمانية ! !

وفي الصين .. هزم كونفوشيوس ومريدوه وذابت تعاليمه ومبادئه أمام مبدأ يتحدث عن الرغيف والجوع والعامل في بلد قل فيه الرغيف وكثر فيه الجوع وهضم فيه حق العامل .. وقامت الثورة .. وولدت الصين الشعبية تتبنى عواطف الجماهير وتحقق من مطالبهم ما كانوا منه محرومين في ظل الحلف القائم يومئذ بين الكهان والسلطان !

وواضح مما أشرنا إليه إشارة سريعة أن مؤلهات البشر والبقر والحجر لم تقف أمام زحف العلم بحقائقه وأرقامه ونتاجه ومبتكراته ، فانقسمت شعوب الأرض في أقطارها العديدة إلى فئات وتمزقت جماعات لا يجمع بينها غير البحث عن إشباع جوعة الجسد وجوعة المعدة لتظل أبداً في ضياع تنشد الطمأنينة والهدأة والسكينة !

وظن قوم أو آمنت شعوب ببريق " الشيوعية " لأن فيها خلاصهم كما يتوهمون، وحسب آخرون أن سعادتهم " بالديمقراطية " الأمريكية أو الحضارة الغربية المادية فارتشفوا من كؤوسها ما أصابهم بديمومة من الصرع والدوار لا تنتهي ! ..

وظل فريق مقيماً على عقيدته المنهارة أمام زحف العلمانية وهو في شك وهزيمة داخل نفسه وبين جنبيه .. وقد أعلن مثل هذا الفريق هزيمته وعزلته ولكنه ارتبط بالعمل " والإنتاج " والرغيف ، يقضي من العمر أياماً ويختلس من حياته الصاخبة اللاغبة ساعات تفيض بالمتعة الآنية والمسرة الفانية حيثما كان مصدرها وكيفما يكون !

وكـان أن أتخـذت الماركـسية مـن " العلمانيـة " و " العقلانيـة " و " العلـم التجريبي " سلاحاً نظرياً في معاركها الأولى في بقاع مختلفة من العـالم ، فاسـتطاعت أن تهزم جحافل الخرافة والأساطير وأن تطارد " المؤلهـات " الحجريـة والحيوانيـة والبشرية حتى أوقعت بها هزائم تكررت في أكثر من ميدان ..

والسؤال الذي يثبت نفسه هنا بتحدٍ وإصرار .. هو :

ماذا يمكن لتلك الشعوب المهزومة أن تفعل لو كان الإسلام هـو البـديل الـذي يعيش فيها مكان الخرافات والأساطير ؟

وهل يمكن للماركسية والعلمانية أن تنجحا في دحر الإسلام في آسيا وأفريقيا مثلاً كما هزمت " الوثنية " و " الصنمية " في تلـك الـبلاد المتعـددة الـصور والأشـكال والاتجاهات ؟

إن الإجابة على مثل هذا السؤال تحتاج من المنـصف وقفـة ولـو قـصيرة علـى عتبات التاريخ ليرى أن محمداً ﷺ لم يعلن يومـاً للنـاس ألُهويتـه كمـا فعـل أسـلاف ميكادو اليابان المؤلَّه !..

ولم يؤلهـه أتباعـه المؤمنـون بـه وبـصدق رسـالته كمـا فعلـت شـعوب كـثيرة بأنبيائها .. أو مصلحيها .. بل إن المسلمين يؤكدون في اليوم والليلـة عـشرات المـرات وهم يصلون عبودية رسولهم الصادق وبشرية نبيهم الأمين :

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله !

ونرى وضوح الوعي الكبير الذي يقرره الرسول الكريم لأمتـه وهـو ويعلـن في موقف رهيب حربه على الخرافة وعداء دينه للشعوذة والأساطير حين تقـع مـصادفة لها عند العرب في الجاهية دلالة كبيرة وأبعاد عميقة :

لقد كسفت الشمس ورسول الله يدس ولده المتوفى إبراهيم تحت أطباق الثرى ! !

ويتطلع القوم حول نبيهم العظيم .. ويسري بينهم همس ما أحلاه إلى قلوب أدعياء العظمة مرضى الجبروت : لقد كسفت الشمس لموت إبراهيم ! !

ولا تمنع رهبة الموقف .. وانصراف النبي إلى ولده يلقي عليه نظرة الترحم والاحتساب عند الله أن يلتفت إلى الناس معلناً بقوة لا تعرف الضعف ووضوح لا ينقصه شجاعة أو بيان .. حرباً على الخرافة والأساطير حيث يؤكد :

أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان ولا يخسفان لموت أحد ..

هذا من النبي الأمين صاحب مدرسة الوعي الكبرى ومنهاج التوحيد المنزَّل على الكون في عهد الشرك والضلال .. فماذا كان من تلامذته وأصحابه ! ؟

يتطلع عمر يوماً في صفاء المؤمن وشفافية الموحد الذي خلص حبه لله وانصرفت ذاته نفساً وجسداً وروحاً وجوهراً لفاطر السموات والأرض دون سواه فيخاطب الحجر الأسود ويعلن حقيقته بلا زيادة ولا نقصان :

أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم قبلتك ...

وإذن ما كان للشعب الياباني أو لفريق منه أن يتخلى عن عقيدته لو كان حاكمه في مستوى تلامذة الرسول الأعظم يعلنون بشريتهم بلا تأليه ولا تنزيه ...

وما كان لشعب الهند أو لجماهير منه أن تهزأ بدينها وأن تسير في ركاب الإلحاد لو كان دينها يرتفع بها عن مستوى روث البقر وعفونة نظام الطبقات الذي عرفته الهند ردحاً من الزمن حتى راح ضحيته غاندي بسبب دعوته إلى المحبة والإخاء ! ..

وما كانت شعوب أوروبا لتتدافع نحو الهزيمة والضياع في تيه من ازدواجية الولاء للكنيسة والعلم ونظام الحياة لو كانت تلك الشعوب على بصيرة من دين الإسلام الذي يدعو إلى التفكر والتدبر أثناء الليل وأطراف النهار ، ويبيح لأي إنسان حرية الحوار مع نفسه وبني قومه وأهله وجيرانه وقادته وعلمائه وفقهائه فيما شكل عليه من قضايا الفكر والسياسة والعلم والإيمان ...

ومن هنا استطاع ماركس أن ينتصر في أجواء تغص بالخرافة وتزدحم بالمُعَمّيَات .. بل إن فكره نفسه منطلق من أجواء يهودية عائلية يحياها دون أن تضع الحل بين يديه ، وأجواء مسيحية تحيط به دون أن تأخذ بيده أو ترشده إلى سواء السبيل .. فماذا عن ماركس والماركسية في محيط ديار الإسلام وآفاق التوحيد ؟!

إن الزعم بأن الدين بدأ يترنح تحت ضربات العلمانية وأن الإسلام بدأ يفر أمام زحف جيش المختبر والفكر المتحرر زعم مردود وفرضية باطلة ؛ حتى ولو قصدوا بالفكر المتحرر ما يقدمه المختبر من وسائل التعذيب وأساليب الإرهاب ، وعنوا بالزحف العلمي الأسلحة الميكروبية والغازات السامة الفتاكة !

كتب " ويرنو فوف براون " أبو القنبلة الذرية يقول :

" يتصور بعض الناس أحياناً أن التقدم العلمي ينقض الكثير من الأفكار الدينية ، ويهدم معظم المعتقدات الروحية . أما أنا فأعتقد أن العلم ينطوي على مفاجآت غير سارة لهؤلاء المشككين . مثال ذلك : أن العلم يؤكد لنا أن لا شيء في الطبيعة مهما ضؤل شأنه كالجزئيات الصغيرة للمادة ، لا يمكن أن يختفي دون أن يخلف وراءه أثراً ما . فإذا كان الخالق قد طبق هذ المبدأ الأساسي على أصغر وأضأل العناصر في خلقه ، فكم يبدو منطقياً القول أنه يطبق هذا أيضاً على النفس البشرية التي هي أنبل ما خلق !

وإني لأؤمن — وكلما علمتني المعرفة وما لا تزال تعلمني يؤكد إيماني هذا ويرسخه بخلود الروح بعد الموت .. فلا شيء في هذا العالم يختفي دون أن يترك أثراً"[1].

إن الزعم بهزيمة الدين يقوم على منطلق مغلوط في فهم طبيعة الإسلام الذي يؤكد دعاته ويعلنون أن الإسلام يعني نظاماً منبثقاً من عقيدة ، لا عقيدة محصورة في الرؤوس أو طقوساً مؤداة في الهياكل .. ومن هنا فلا تناقض بين العلم التجريبي الذي تجني البشرية كثيراً من فوائده وبين الدين الذي تغرق البشرية في تيه وقلق وحيرة كلما نأت عنه وتخلصت منه .

إن من أبشع صور الظلم أن ينبري فريق من " المنهزمين " يهاجمون تراث الإسلام العلمي والفكري وهم أعمق ما يكونون جهلاً به وتجنياً عليه ، والغريب في الأمر أن ينبري فريق من المهزمين من ذوي الاختصاصات العلمية المختلفة فيتنكروا للتراث الفكري الإسلامي والثقافة الإسلامية السوية دون أن يكون لهم عليها أدنى اطلاع ، وأن ينبري رجال الثقافة والفكر المستورد من المنهزمين فيتنكروا للتراث العلمي التجريبي الإسلامي دون أن يكون لهم به أدنى إلمام ...

وليس الذنب ذنب الإسلام أن يقوم من كوفحت فيه " أمية الحرف " لا " أمية الفكر " فيلصقوا به ما شاءت لهم خيالاتهم أن يتصوروا ، ولكن التبعة تقع على مستوردي مناهج التربية في ديار الإسلام الذين يدفعون بالشاب إلى مقاعد الجامعة لتقذف به فيما بعد إلى خضم الحياة ، وهو يجهل بديهيات الإسلام وأوليات دعوته لنراه فيما بعد صورة بشعة فيها مزيج من العقوق والجهل والتخلف والعناد ولو حمل شهادة علمية في فرع من فروع التعليم الكثيرة المتشعبة !

---

(١) العدد ١٧٣ من مجلة طبيبك في ذي القعدة ١٣٩٠ هـ كانون ثاني ١٩٧١ م .

إن الأطباء والمهندسين والصيادلة ودارسي الأدب والفلسفة والاقتصاد ممن لم يطلعوا على الفكر الإسلامي لا يجوز لهم بحال أن يصدروا أحكاماً عشوائية على الشريعة الإسلامية ، وأن يدلوا بآراء فجة طالما لا تخرج ثقافات هؤلاء عن حدود الاختصاص الذي انصرفوا إليه وعاشوا له ..

إن الذي لم يدرس الشريعة الإسلامية نفسها مستقلة كانت أو مقارنة بغيرها إنما يظلم نفسه وأمته والحقيقة العلمية المجردة حين يصدر أحكاماً ذات صلة بأنظمة تحكم الكون وتنظم الحياة في حين أن صلته بالفكر الإسلامي تنتهي عند بلوغ مرحلة الدراسة الثانوية ، وهي مرحلة لا يكفي ما فيها من دراسات إسلامية أن يكوِّن أساساً يعتمد عليه في إصدار الأحكام وإبداء الآراء السليمة الصائبة التي تضع أصحابها موضع الاحترام .

ومن البديهي في مجالات النقد وإصدار الأحكام المختلفة أن يكون الإنسان ملماً بالبحث الذي يتصدى له مطلعاً على جوانبه ذات الأبعاد الكثيرة والأعماق الجذرية الأصيلة .

ومثلما يرفض أديباً أن يصدر ناقد حكمه على نتاج أديب لم يدرسه منفرداً ومقارناً بغيره فإن من الأولى أن يرفض فكرياً وثقافياً إصدار الأحكام على الإسلام من قوم ظنوا أنهم علماء أو متعلمون وهم لا يحملون من الشهادات والإجازات إلا ما له علاقة بمجالات الطب والهندسة والزراعة والفيزياء ، أو دراسات أدبية محضة ، أو فلسفية فكرية جمعت أشتاتاً من آراء فلسفات الهند واليونان والصين وفارس وغيرها من الفلسفات القديمة ، أو آراء لروسو وديوي وماركس وسارتر من أصحاب المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة ؛ دون أن يكون لهم نصيب من الاطلاع أو البحث أو

الدراسة للفكر الإسلامي القيم والآراء الشرعية الحضارية والعقيدة الإسلامية الخالصة الثرة بكل قيمها وأسسها وأبعادها .

من هنا تسللت إلى دنيانا فكرة النزاع القائم بين العلم والدين .. نسخة من " الطبعة الأوروبية " لا أقول غير المنقحة بل المشوهة المسخ حيث يحكم جهلة لا يعرفون أو مرضى لا ينصفون فيتوهمون معركة قائمة بين جحافل الدين وجحافل العلم في حين يرى المسلم الحق والمؤمن السويّ ألاّ تناقض بين قناعته العلمية وإيمانه مثلما يرى الغربي أو الشرقي على حد سواء من غير المسلمين تضارباً وصراعاً بين حقائق العلم ومعطيات المختبر وبين ما حوته كتب الديانات الكثيرة المتضاربة من خرافات وملصقات وأساطير ؟

لقد حث الإسلام على العلم ، ونبه إلى أهمية الكشف العقلي والابداع الفكري، وظل المسلم ليؤكد له محدودية ما عرف حتى تبقى استمرارية البحث شعلة لا تخبو وديمومة الابداع قبساً لا ينطفئ .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [1].. ولو بلغتم سطح القمر !!

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] ... ولو اكتشفتم آفاق الفضاء !!

إن الإسلام يحرك فينا الدافع الأصيل للكشف والانطلاق ابتداءً من ذات أنفسنا وأعماق كياننا بكل أحاسيسها وانفعالاتها .. وانتهاء بآفاق الفضاء البعيد وأجوازه الرحبة التي يقف عندها عقل الإنسان طفلاً يدور في لعبة عقلية ودمية علمية اسمها السفينة الفضائية !..

---

(١) من الآية ٨٥ من سورة الأسراء .

(٢) من الآية ١١٤ من سورة طه .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

إن الدين الذي يعطي العقل البشري حرية الريادة في النفس والكون والحياة دين جدير بأن يتبعه العلماء قبل الجهلاء ، والعقلاء قبل البسطاء ، وما أحسب كتاباً سماوياً أو مذهباً فلسفياً أو دعوة إصلاحية وردت فيها كلمات العقل والفكر والتدبر مثلما وردت في القرآن الكريم ...

لقد ورد في القرآن من الكلمات الدالة على إعمال العقل والحث على التفكر من أمثال عقل ويعقلون ، وفكر ويتفكرون ، ورشد ويرشدون ، ولب ويتدبرون ، وبصر وبصير ويبصرون وما إليها مما يصعب حصره .. فأي دلالة يفهمها العقلاء المنصفون من ذلك إلا أنها دعوة العقل والعلم والمعرفة التي لا حدود لها في دنيانا الفانية ...

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٢)

ومن هنا فالحقيقة ليست مع الذين يزعمون أن الدين بديل خيالي للعلم .. ولا مع الذين يخدعون أنفسهم أو يخدعهم سادتهم بأن الدين بدأ يترنح تحت ضربات العلمانية ؛ إلا إذا قصد بالدين الصورة الشوهاء والنصوص المحرفة والخرافة المسطورة التي تعرض في دكاكين المعابد عند أرباب المسيحية الأوروبية ...

---

(١) الآية ٥٣ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٨ من سورة الصف .

لقد هجر الناس الكنيسة في الغرب لما يلاقونه من ازدواجية وتضارب بين العقيدة المسيحية والسلوك الكنسي فأعلنوا تخليهم عملياً عن الكنيسة وكل ما يدور في فلكها ..

إن الرماد المتهافت المتراكم عبر القرون من آراء المتآمرين والمنهزمين لا يمكن أن يحجب لهب الجذوة المتقدة في أعماق هذه الأمة التي لو تمسكت ببعض تراثها ورجعت إلى أصالتها لفضحت حضارة العهر المستورد ومدنية الجنس الوافدة ، ولوضعتها تحت نور من الحقيقة العلمية والواقع التاريخي في أبشع صورة من صور الهزيمة الفكرية والتخلف الإنساني والرجعية النفسية رغم كل التقدم الحضاري المادي الذي تدق له الطبول .. وتعلى له الرايات !

لقد لعب الولاء السياسي الأعمى للسيد الأجنبي أو الحزب العميل أو الصنم المؤلَّه في دنيا أمتنا دوراً بشعاً في مسخ الحقائق وتزوير المفاهيم والقيم .. ومن هنا هوجم كل ما هو إسلامي بتهمة " الأحلاف " و " العمالة " من قوم هم دعاة الأحلاف وعسكر العمالة في أمتنا المنكوبة الحائرة !

إن شبح الخوف من الاتهام بالعمالة والارتباط بالأحلاف دفع بالكثيرين أن يتناسوا تراثنا العلمي الإنساني ومجدنا الحضاري السامق الذي قام في ظلال المختبرات وأفياء المحاريب معاً دون أن يجد المسلمون غضاضة في الجمع بين هذين النشاطين التوأمين تحت راية القرآن ...

لقد بلغ أمر التزوير لدى الكثير من الكتاب المضبوعين ورجال الفكر الأسرى أن يطمسوا صفة الإسلام عن تراثنا في دوامة الصراع القومي القائم والهذيان الاشتراكي المحموم في صورة من التشعب والتمزق والضياع ، فسموا كل العلماء المبدعين عرباً ولو

كان معظمهم من بخارى وفارس وخوارزم وأذربيجان ، وأطلقوا على أبـي بكـر رائـد القومية العربية وهو الذي حارب العـرب المرتـدين ليعلـي كلمـة الله . ودعـوا أبـا ذر الغفاري الاشتراكي الأول لأنه طالب بوضع مفاهيم الإسـلام العادلـة وروحـه المنـصفة موضع التنفيذ في توزيع الثروة وحق الحياة الكريمة للمؤمنين .. قبل أن يولد ماركس أو يولد لينين بقرون طويلة من الزمان !..

لقد ابتلينا بفريق من أبنائنا " المنهزمين " المتصفحين لعناوين الصحف وفهـارس الكتب وكل مقوماتهم سنوات يقضونها في انـسلاخ تـام عـن ماضـي أمـتهم وحاضـرها ، في نفوسهم هزيمة التراث وعلـى رؤوسـهم الأعـاجم يلوكونهـا ، وبـين شـفافهم " غليـون " التبغ.. يستنزفون به معظم ساعات النهار تعبئة وتنظيفاً ونفث دخان !

أما الباحثون المنصفون والعلماء المطلعون على التراث العالمي في مختلف أوجه نشاطه والحضارة الإنسانية في شتى ميادينها فإنهم يشهدون بأسبقية أمتنا في ميادين العلم وجدارتها في تَبَوُّءِ أسمى مكانة وأعلى منزلة .

* إنهم يعترفون — مثلاً — بفـضل جـابر بـن حيـان و " يقـرون لـه بالـسبق والنبوغ في كثير من الأبحاث الكيماوية والتجارب العلمية ويعلمون أن له من المؤلفات بين موجودة ومفقودة ما لا نحب أن نحصره هنا أو نعدده .. وهـم يـدركون أن جـابراً يمتاز عن غيره من العلماء لكونه في مقدمة الذين عملوا التجارب على أساس علمي هو الذي تسير عليه الآن المعامل والمختبرات ، وأنه قد دعا إلى الاهتمام بالتجربة وحـث على إجرائها مع دقة الملاحظـة ، كمـا دعـا إلى التـأني في إجـراء التجربـة واسـتنباط الملاحظة وترك العجلة في ذلك "[1].

---

(١) العلوم عند العرب والمسلمين / قدري طوقان .

ويقول العلماء الباحثون المنصفون عن جابر :

سارطون : كان جابر شخصية عظيمة فذة ومن الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى.

ليكلرك في كتابه (تاريخ الطب العربي) : إن جابراً من أكبر العلماء في القرون الوسطى وأعظم علماء عصره .

برتيلو : إن لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق .

وابن الهيثم

[هو من العلماء الذين أحاطت معرفتهم بأشياء كثيرة مع الدقة والصحة ، ولقد شملت كتبه الكثيرة موضوعات متنوعة هي الحساب والحساب الهندي (الترقيم) والجبر والمقابلة والهندسة والمثلثات وحساب المعاملات والجوانب العملية من الحساب والهندسة والجبر] ...

[لقد وضع ابن الهيثم كتاباً في تعليم الرياضيات وكذلك له كتب في الفلك والطبيعيات وفي المناظر (البصريات) خاصة وفي الجغرافية والطب والصيدلة وفي الفلسفة وعلم الكلام وفي السياسة والأخلاق والأدب] ...

وقد [اتبع ابن الهيثم في بحوثه كلها – وخصوصاً ما كان منها في الضوء – منهاجاً علمياً بناه على الاستقراء في الأكثر وعلى الاستنباط أحياناً . وهو في ذلك كله يلجأ إلى القياس . وكان سبيله إلى ذلك المشاهدة والملاحظة ثم كان يقوم بتجاربه على هذه الأسس كلها مرة بعد مرة].

[وقد بالغ ابن الهيثم في اعتماد التجارب حتى إنه أعاد إجراء التجارب على عدد من الأمور التي كان الأقدمون (اليونان) قد جربوها واستخرجوا قواعدها ... هذه الخطة التي سار عليها ابن الهيثم في معالجة علم الضوء خاصة هي التي سماها الباحثون فيما بعد الأسلوب العلمي . والأسلوب العلمي هذا هو الذي أدى إلى النتائج الرائعة التي وصل إليها العقل الإنساني في كل ميدان من ميادين العلم وفي كل منحى من مناحي الحياة. وإن كثيراً مما ينسب إلى العالم والفيلسوف الانجليزي روجر بايكون خاصة من أنه أبو الأسلوب العلمي والمبتكر لعدد من الحقائق في علم الضوء قد أخذه روجر بايكون عن ابن الهيثم ثم نقله إلى الغرب الأوروبي كما قال نفر من علماء الغرب أنفسهم][1]

ولا أنوي الاستطراد في بحثي هذا فأعرض آثار ابن الهيثم ومؤلفاته العلمية في هذه العجالة، ولكن الذي يعنيني هنا أن أضع أمام المنهزمين حقيقة رائعة لا نملك المرور بها دون تثبت لأنها رد مفحم وحجة دامغة يدفع بها ابن الهيثم باطل " المنهزمين " الذين يثيرون الخصومة المزعومة بين العلم والدين وكأنه يرد عليهم من عصره ذاك قبل أن يولدوا فيقول : " وبعثت عزيمتي إلى تحصيل الرأي المقرب إلى الله ... فكنت لا أعلم كيف تهيأ لي منذ صباي — إن شئت قلت باتفاق عجيب ، وإن شئت قلت بإلهام من الله ، وإن شئت قلت بالجنون أو كيف شئت أن تنسب ذلك — أني ازدريت عوامّ الناس واستخففت بهم ولم ألتفت إليهم ، واشتهيت إيثار الحق وطلب العلم (ثم) استقر عندي أنه ليس ينال الناس من الدنيا شيئاً أجود ولا أشد قربة إلى الله من هذين الأمرين "[2]

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ .

(٢) تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ عن طبقات الأطباء ٢ : ٩١ ، ٩٢ .

والخوارزمي

[إن العالم مدين للخوارزمي بعلم الحساب وعلم الجبر . وإذا كان الخوارزمي قد تناول الأرقام والصفر معها من الهنود فإنه هو الذي استخدمها للمرة الأولى في العمليات الحسابية ودل الناس على طريقة استخدامها ، ثم دوَّن العملية الحسابية تدويناً أبرز فيه ترتيب الأعداد في مراتب معينة حتى تبرز الأعداد ويصبح جمع الأرقام بعضها إلى بعض (أو طرحها أو ضربها أو قسمتها) ممكناً وسهلاً][1] .

والذي يعنينا في هذا الباب أن نسوق للمنهزمين حقيقة يتعامون عنها وهي أن من الدوافع التي شجعت الخوارزمي ودفعته للتأليف والإبداع رعاية الإسلام له حيث يقول في مقدمة كتابه الجبر والمقابلة : " قد شجعني الإمام المأمون أمير المؤمنين... على أن ألَّفت من حساب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين وكري الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه"[2].

ألا يدحض مثل هذا القول الفصل الذي يقرره عالم كبير كالخوارزمي كل هذيان المستوردين لروح الخصومة بين العلم والدين حين نرى أن منطلقه العلمي وإبداعه العقلي إنما كان قائماً على تكليف من خليفة المسلمين وأمير المؤمنين الذي سأل الخوارزمي كذلك أن يكون في اللجنة التي شكلها المأمون لقياس محيط الأرض ؟!

---

(١) المرجع السابق .

(٢) العلوم عند العرب لعمر فروخ عن كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي .

والبيروني

[وحلَّ البيروني أعمالاً تعرف بمسائل البيروني ، وهي التي لا تحل بالمسطرة والفرجار ، منها قسمة الزاوية ثلاثة أقسام متساوية وحساب قطر الأرض وذكر أن سرعة النور أعظم من سرعة الصوت كثيراً . كما بحث في الثقل النوعي واستخرج الأثقال النوعية لثماني عشرة مادة من المعادن والحجارة الثمينة بدقة بالغة.

وتكلم البيروني عن كروية الأرض وعن دورانها على محورها من غير أن يصل إلى نتيجة حاسمة . وعرف تعيين خطوط الطول وخطوط العرض][1] .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن البيروني قد عاش ومات في رحاب بلاط مملكة غزنة لدى الملك المسلم والسلطان المجاهد محمود الغزنوي الذي عرف بورعه وتقواه وعلمه وفقهه ثم في عهد ابنه من بعده السلطان مسعود . .فأين الخصومة الموهومة بين العلم المؤمن والإيمان البصير أيها المستوردون للثوب والحذاء والفكر في وعاء واحد من الضعف والاستخذاء والهزيمة ؟!

وابن خلدون

ولا نود أن نذكر هنا من ثمرات إبداع ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع السبّاق إليه قبل مئات السنين وصاحب النظريات والآراء التربوية الرائعة ما لا نستطيع استيعابه في كتب ؛ فما بالك في بحثنا القصير !! ولكنا ننقل من رأي ابن خلدون في علم التاريخ جانباً يبين فيه للمُصرِّين على إقامة خصومة بين العلم والدين المروجين

---

(١) تاريخ العلوم عند العرب لعمر فروخ .

للخلاف بين المعرفة والإيمان كيف أن علماء المسلمين كانوا يعتبرون الاشتغال في القضايا والمسائل والأبحاث العلمية قُربة إلى الله تنيلهم رضاه لأنهم كانوا يربطون بوعي: علمهم بدينهم وبحثهم بتقواهم وإبداعهم بتوفيق من الله دون سواه ...

يقول ابن خلدون في مقدمته : " ونحن ألهمنا الله ذلك إلهاماً ... فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبهت بغيره فللناظر المحقق إصلاحه ، ولي الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدي (بنوره) من يشاء " .

أرأيتم يا متعالمون كيف يتواضع العلماء ويؤمن الباحثون ويحيا المؤمنون في رحاب الإيمان وميادين البحث التي لا يصل إليها كل الهاربين من ذاتهم وتراثهم وأمجادهم المشرفة السامقة ؟!

ولسنا هنا في مجال البحث إجمالاً أو تفصيلاً في علوم الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجغرافيا والفلك وغيرها ، ولا في مجال عرض الأبحاث وابداع العلماء الجهابذة من أمثال ابن سينا والرازي وغيرهما ، ولكنا نسوق في نهاية هذا المطاف السريع الخاطف في دنيا المعرفة الإسلامية — ولنكن على مستوى من الجرأة كريم فنسمي الأشياء بأسمائها — مما لا ينكره إلا جاهل أو موتور .. هذا القول الحاسم لابن سينا الذي يعلن حرب رجال الفكر الإسلامي وعلماء المسلمين على الدجل والشعوذة ، ويرد على المنجمين الذين يربطون أحوال النجوم في الفضاء

بأحوال العباد على الأرض ، فيقول في كتابه رسالة في إبطال أحكام النجوم : " ليس على شيء مما وضعوه دليل ولا يشهد على صحته قياس ... وقد أخذوه تقليداً من غير برهان ولا قياس " .

ألا ندرك بوضوح بعد كل الذي سقنا من براهين ونصوص ثابتة خلط أدعياء المادية والعلمانية والعقلانية من المزوِّرين بين روح الإسلام الداعية إلى العلم والبحث والتفكير والابداع وبين روح الكنيسة في قرونها المظلمة وأيامها الحالكة وجهالتها المغرقة على يد رجال الاكليروس الذين يعطون لآرائهم وأفكارهم وملصقاتهم الخاصة من القداسة والنزاهة ما يعطى لأقوال السيد المسيح عليه السلام ؟!

ألا يقوم منصف من هؤلاء الأدعياء في ساعة صحو فينفض عنه غبار التبعية ويلقي عنه أسمال الاستجداء والهزيمة ليقرر في جرأة وصراحة حقيقتين ناصعتين لا سبيل إلى إنكارهما :

الأولى : إن ليس في الإسلام رجال إكليروس يضعون من الآراء والنظريات ما لا سبيل إلى مناقشته أو الخوض فيه حيث يعلنون لأتباعهم دون حوار :

- لا حكم مع الدين .
- لا سياسة مع الدين .
- لا علم مع الدين .
- لا عقل مع الدين .

وإنما في الإسلام رجال علم وفقهاء دين ، آراؤهم الخاصة عرضة للخطأ والصواب قابلة للمناقشة والحوار حتى يصل المسلمون عبر ذلك إلى الحق الذي ينشدون والعلم الذي يبتغون والحكمة التي هي ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها ..

الثانية : أن العلم قام في أفياء الإسلام في أجواء من الألفة والود والانسجام التام الذي ما عرفت البشرية مثلها على اختلاف عصورها وتباين أنظمة الحكم فيها، وما الذي يزعمون من خصومة بين العلم والدين سوى فكر مستورد ورأي دخيل لم نعرفه إلا في العصر الحديث الذي نقل لنا مع " المنتوجات الصناعية وضجيج الآلة " كل نظريات الحياة لدى " الأمم الغاصبة الغالبة " في الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وغيرها ليتلقفها المنهزمون حقائق مسلماً بها وأموراً لا يجوز بحثها أو الخوض فيها في نقاش واع وحوار مفتوح !!

إن القرآن الكريم لم يتنزل ليتناول في إجمال أو تفصيل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والنبات والطب والرياضيات أو ليكون منهاج علوم وميدان تجارب ولكنه تنزل ليكون هداية للبشر وتشريعاً للإنسانية .. ومن هنا فلسنا مع الذين يحاولون التوفيق والمطابقة بين آية كريمة ثابتة فيها " العلم الحق " وبين نظرية علمية متغيرة ما أبدع العقل البشري ، متبدلة ما نشط ودقّ في كشف أسرار الكون ونواميس الحياة .

ولكن ذلك لا يعني بحال هذا الذي نسمع من هراء الأدعياء حول الخصومة بين العلم والدين؛ إذ أن في الكتاب الكريم من الاشارات الإلهية والأوامر الربانية ما يحث المؤمن على الكشف ويثير فيه روح الابداع والبحث الدائب الذي لا ينقطع إلا برحلة الخلود التي يبدؤها الإنسان بأول منطلق له نحو الآخرة عند عتبات القبر .

ويكفي أن يرد في القرآن الكريم دعوة إلى العلم وحث على على طلبه ، وإثارة لعقل الإنسان أن يغوص في أعماق البحار ، وأن ينطلق في أجواز الفضاء ، وأن يرود طبقات الأرض ، وأن يحلل مجاهيل النفس الإنسانية في أبعادها المترامية المتشعبة

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[1].

ألا يعني ببساطة ووضوح لا يحتاج الإنسان معه إلى الخوض في تفاسير أو شروح ، أن الله جل وعلا ينبه الإنسان إلى مظاهر إعجازه ودلائل إبداع صنعه في آفاق الفضاء ودوران الفلك وانتظام الأجرام وحركات النجوم ، كما يثير فيه خاصية التفكير بعمق في ذاته جسداً دقيق الصنع عجيب التكوين ، ونفساً متعددة النزعات والأحاسيس والمشاعر .. وليمض بعد ذلك في رحلة الكشف الطويل مزوداً بقوة جسد وحِدَّة إرادة وتفكر عقل هو من أكرم ما خلق الله في كونه الواسع وعوالمه الفسيحة المترامية !

إن الإسلام لم يتبن حشداً من النظريات وطائفة من القوانين العلمية بحيث يصر عليها ويحارب مخالفها ، بل ضم طائفة كبيرة من الآيات والأحاديث التي تحث على التدبر والتعقل والتفكر وتشير إلى الأفئدة والعقول والألباب التي ينفذ الإنسان عبرها إلى أسرار الكون ومجاهيل الحياة ، ومن هنا كان التلازم الكبير الذي لا ينفصم والعلاقة الوثقى التي لا تنفك عراها بين العلم والإيمان والمختبر والمحراب في ظلال القرآن وأفياء الإسلام ... دين العلم والعمل والحياة !

إن محاولة " البعض " من نصارى الغرب أن يوفقوا بين المسيحية والعلم محاولة تحمِّل المسيحية فوق ما جاءت من أجله ، وتجعل " المنهزمين " في حال من النشوة يحسبونها ظفراً حين يسخرون من عجز بعض رجال الدين عن التوفيق بين

---

(١) الآيتان ٥٣ ، ٥٤ : من سورة فصلت .

العلم والإيمان في صورة جادة معقولة .. ومن ذلك ما يسوقه واحد من المنهزمين الذين خلفوا أمجاد بني أمية في دمشق رماداً تذروه رياح الهزيمة النكراء في كتابه " نقد الفكر الديني " على لسان الأب " فرانسوا دوبره لاتور " حيث يقول : " لقد أخذت على نفسي أن أبين بادئ ذي بدء أنه ليس في الإمكان أن نكتشف بين الدين المسيحي والعلم أي تعارض كما تؤكد السلطات المسيحية كلما سنحت لذلك فرصة "[1]

ويمضي صاحب " نقد الفكر الديني " من هذا المنطلق معلقاً على آراء الشهيد سيد قطب الذي يرد المنهج العلمي التجريبي إلى روح الإسلام ويعتبر المنهج الإسلامي الأساس الذي قامت عليه النظرة التجريبية العلمية الحديثة .. ويبني متعالم دمشق رده على آراء الشهيد المسلم على أساسين:

الأول : يتكئ على ضعف التوفيق بين المسيحية والعلم الذي بيناه . كما أشار هو إليه على لسان الأب فرانسوا دوبره لاتور .

والثاني : ينطلق من رفض الشهيد سيد قطب للماركسية ونظريات فرويد في علم النفس .. مع أن الأولى كما يقول " المعلق المنهزم " أهم نظرية صدرت في العلوم الاجتماعية والاقتصادية في العصور الحديثة ، والثانية من أهم النتائج التي وصلت إليها البحوث العلمية في مجال الدراسات النفسية .

وهكذا بكل بساطة وسذاجة وأمية فكرية يرى صادق جلال العظم أن يلزمنا ويلزم كل الناس أن يتقبلوا هذا الذي يقول بلا حوار ولا نقاش ، فلنتحول بعد قراءة سطوره إلى ماركسيين فرويديين ما دامت نظريات اليهوديَّيْن من أروع ما وصلت إليه الإنسانية في العصور الحديثة ! .

---

(١) نقد الفكر الدينيي ص٤٤ / صادق جلال العظم .

أما أن الأمر لا يعدو نظريات وضعتها عقول خاصة في زمن خاص وبيئة خاصة وأن الأمر يمكن أن يناقش أو يرد عليه فهذا ما لم يتعرض له الكاتب ولم يخضع فيه إلا ببضعة أسطر فيها خلط واضح وسطحية بينة لا يستحق معهما الكاتب شرف الإنصاف ودقة البحث العلمي الجاد ؛ بالإضافة إلى ما قدّمه رجال فكر كثيرون وعلماء عديدون من الغرب نفسه من آراء ونظريات خالفوا بها آراء فرويد في علم النفس وآراء ماركس في كثير مما دعا إليه من أفكار ستصبح يوماً مهترئة بالية...

أي دين كدين الإسلام

ينزل أول ما ينزل بالعلم والمعرفة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

ويرفع الذين أوتوا العلم درجات من السمو الفكري والمكانة الاجتماعية لا تجوز للجهلة الذين لا يعرفون إلا لقمة العيش وضجعة الفراش .

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾[2]

ويتساءل في استنكار يحدد به رفعة الذين يعلمون وسُمُوَّهم على الذين لا يعلمون:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]

ويخضع أجنحة الملائكة لطالب العلم رضىً بما يصنع .

---

(١) الآيات من ١-٥ من سورة العلق .

(٢) من الآية ١١ من سورة المجادلة .

(٣) من الآية ٩ من سورة الزمر .

ولو رحنا نعدد الآيات ونتتبع الأحاديث التي حثت على العلم وأكدت ضرورته للمجتمع الإنساني لضاقت بنا هذه العجالة ولما أسعف المقام .

ومع كل ذلك يزعم الزاعمون أن العلم في الإسلام لا يتعدى أمور الفقه في مجال العبادات والفرائض دون غيرها من شؤون الحياة ! .

ونحب أن نضع بين أيدي الجهلة بالفكر الإسلامي آية كريمة تتحدث عن العلم والعلماء في مجال غير الذي يزعمون :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1]

إنها إثارة للعقل البشري الواعي وللإنسان السوي من ذوي الألباب أن يتفكر فيما حوله ليرى :

عالم النبات : ممثلاً في الماء الذي ينزل من السماء ليتفجر أنهاراً وينابيع وينبت الزرع والثمرات في أنواع كثيرة وأشكال متباينة وألوان مختلفة ورائحة وطعم يختلفان من فاكهة إلى أخرى ومن ثمر إلى آخر ، وكأن الآية إثارة للعقل الإنساني أن يرود عالم النبات ليلقى العجب العجاب ...

---

(١) الآيتان ٢٧ — ٢٨ من سورة فاطر .

عالم الجمادات : ومظاهر الكون من جبال وتربة وسهول وأودية تختلف باختلاف البيئة و المكان والطبقة والزمان ، وكأنما الآية تحرك الإنسان الباحث حوله وفي دنياه أن يرتاد التربة وطبقات الأرض بعلمٍ وبحث ومعرفة وتجارب .

عالم الإنسان : بكل ما فيه من اختلاف في البشرة والألسن والطباع وتكوين الجسد والأجهزة العديدة من دموية وغذائية وهوائية وأعضاء يؤدي دوره وفق ما وضعه له الخالق وما أبدعه من أجله في الوقت المناسب والمكان المناسب .. بالإضافة إلى طباع النفس البشرية بين شدة ولين وغضب ورضى وحزن وفرح وقلق واستقرار .. وكأن الآية تثير في الإنسان رغبة البحث عن المجهول ؛ بل تدفعه إلى ذلك دفعاً في ثنايا الجسد البشري وفي أعماق النفس الإنسانية .

عالم الحيوان : الشاسع الواسع في أجواز الفضاء وأعماق البحار وكهوف الأرض وغاباتها من ثدييات وزواحف وذوات أربع وطيور وأسماك وديدان وحشرات.. والواعي لعمق النص يدرك اللمسات التي تحرك العقل الإنساني برفق أن يدرس عالم الحيوان وأن يجعله جزءاً من عالم التجارب ودنيا الأبحاث .

وبعد ذلك كله .. بعد الحديث عن عالم الإنسان والحيوان والجمادات والنبات في صورة من الإيجاز الرباني والعمق القرآني لا يقدر الإنسان على مثله ولا يرقى مرتقاه .. يأتي ختام الآية : إنما يخشى الله من عباده العلماء : لأن الذي يدرك عظمة الله وبديع صنعه في دنيا الإنسان والحيوان والكون كله ويعلم بعمق قدرة هذا الصانع إنما يخضع لربوبيته ويدين له بالعبودية والولاء .. دون غيره من سائر المتعاظمين المتجبرين من خلق الله ...

ومن المعلوم أن العلماء المسلمين ورجال الفكر منهم لم يقصدوا " بالعلم " ما يظنه بعض المنهزمين حين يزعمون أن كلمة العلم في الإسلام لا تعني إلا العمل والبحث في مسائل الفقه ذات العلاقة بالعبادات ، وهم بذلك يطلون علينا من دهاليز مفهوم الدين الكهنوتي في الغرب في كلمة **Religion** وإن نموذجاً نسوقه من آراء العلماء المسلمين ممثلاً في قول الإمام الغزالي يؤكد عمق الدلالة التي يشير إليها القرآن في مواضع كثيرة ويفصلها الحديث في أكثر من مجال عن العلم والعلماء وقيمة ذلك في الإسلام بالمفهوم الأوسع والدلالة الأشمل :

" والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة . فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح . فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة .

أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب ، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما .

وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات ، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك . فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى

استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله . وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك "[1] .

ومن ثم .. وبعد الذي أشرنا إليه إشارة عابرة حول النشاط العلمي في الإسلام والدعوة إليه والحث عليه وشرح معناه ومفهومه في ميادينه الواسعة المتعددة أين يذهب زعم الزاعمين بأن العلم في الإسلام لا يعني إلا أمور العبادة والتفقه في الدين... ويحصرون هنا كلمة " الدين " في نطاق مفاهيم الكهنوت ومصطلحات الكنيسة ؟!

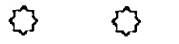

إن الزعم بأن الدين في تقهقر أمام زحف العلم وخلق الجو المعادي للعلم في ظلال الدين مستمداً من الوثنية الجاهلية أو المسيحية الأوروبية المحرفة ، أمر لا يجوز التسليم به أو السكوت عليه ..

وحتى في مثل تلك الميادين الوثنية أو المسيحية ..

هل صحيح بأن كل ما يقول به الحزب الحاكم في روسيا هو المصدق الذي لا يناقش في جمهوريات الاتحاد السوفيتي .. أم ان هناك قوة تأمر فتطاع وحزباً يقول فيؤمّن على قوله دون حوار ...

لقد عقدت روسيا مؤتمراً خاصاً في شباط ١٩٦٤ موضوعه (التربية الإلحادية)[2] في أواسط آسيا حيث يشكل المسلمون كثرة عددية غزيرة ومن أبحاث ذلك المؤتمر " التجديد الإسلامي خارج الاتحاد السوفيتي " و " الأيدولوجية الإسلامية " .. وقد جاء هذا المؤتمر الخاص بعد مؤتمر عام سابق تقرر فيه أن عدد

---

(١) إحياء علوم الدين : الإمام الغزالي – باب العلم .

(٢) جريدة برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الروسي عدد ٥ شباط ١٩٦٤ م .

"المؤمنين " في روسيا لا يزال كبيراً جداً رغم حملات الدعاية المستمرة ضد الدين .. وقد تقرر إنشاء معهد تربوي " للإلحاد المدعوم بالأدلة العلمية " وإدخال دروس إلزامية عن الإلحاد في مناهج الجامعات وغيرها من معاهد الدراسة ، وأكد المؤتمرون وجوب مضاعفة استخدام الأفلام والنوادي والمحاضرات المعادية للدين .

وهل صحيح أن الخرافة كل الخرافة .. والوثنية كل الوثنية .. في الهند وأفريقيا واليابان قد ولّت الأدبار ؟

أم أن هناك من الآراء ما يلزم الحكومات أحياناً أن تخضع ومن المعتقدات ما يفرض على المؤسسات السياسية منهاجاً خاصاً لا تحيد عنه ؟

وهل صحيح أن الدين في أوروبا قد انهزم — رغم العلمانية القائمة المتنفِّذة — أم أن أحزاباً مسيحية تحكم ورجالاً سياسيين ينادون بشعارات الإنجيل والكنيسة ويسوع المخلِّص ؟...

وأعود إلى دعوى " المنهزمين " بأن الدين ينطوي على هزيمة ذاتية في بنيته وهم هنا يعنون الإسلام ويخشونه .. فهل مثل هذه الدعوى صحيحة وهل مثل هذا الصوت صادق دقيق في زعمه ودعواه ؟..

لو كان الأمر كذلك لما لجأ " المنهزمون " إلى " الزنازين " يتفننون في إقامتها والسياط يصبونها فوق ظهور المؤمنين وأسلاك الكهرباء يصعقون بها أجسادهم وأدوات خلع الأظافر ومغاطس الماء المغلي أو المثلج والكلاب البوليسية المتوحشة الضارية بالإضافة إلى حرب الشائعات النفسية العفنة ولغو الاتهام الكاذب بالتآمر والعمالة ...

لو كانت الهزيمة ذاتية في بنية الدين نفسه كما يزعم " المنهزمون " لكفوا أنفسهم مؤونة التعذيب الذي يصبونه على المؤمنين حرب إبادة وإفناء ولأظهروا أنفسهم على الأقل بمظهر الظافرين فكرياً بلا آلات تعذيب ، المنتصرين ديمقراطياً بلا وسائل إرهاب — في حين يلمس المسلمون المعذبون في الأرض المفترى عليهم بكل لسان أن تبادل الخبرات قائم في وسائل التعذيب العلمية وأدوات الأذى الحضارية بين عواصم الشرق والغرب وظلالها من عواصم المنهزمين على حد سواء !..

لقد ثبت دعاة الإسلام لذلك كله وصبر المؤمنون أمام زحف العلمانية الظافر المزعوم — والعلمانية هنا مرادفة للإلحاد لا للعلم كما أشرنا — ورغم ما ذاقه دعاة الإسلام العاملون على إعلاء كلمة الله ، ورغم ما حل بهم من كوارث ظل الإسلام قمة القمم ودعاته سادة الموقف مهما تنكر الأهل وقسا العدو وغض الصديق الطرف عما يرى ويسمع .

إن كلمة مؤمنة يعلنها الشهيد المؤمن والعالم المسلم أمام كل وسائل الارهاب والتعذيب حين يقترح عليه وسطاء جلاديه أن يعتذر أو يرجو أو يسترحم ليفوز بالعيش ويكسب الحياة ويخلص عنقه من حبل المشنقة .. لأروع دليل على هزيمة كل خصوم الإسلام مهما اختلفت أصنافهم وتعددت ألوانهم ومشاربهم سواء أجمعتهم علب الليل والخنا.. أم مختبرات العلم والأبحاث .. أم أروقة السفارات الأجنبية ! !

إن كلمة الشهيد المؤمن ستظل تصفع كل أدعياء الهزيمة في نفوسهم وأمتهم وديارهم المنكوبة : " إذا كنت سجيناً بحق فأنا أرضى حكم الحق ، وإذا كنت سجيناً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل "[1]

---

(١) من كلمات الشهيد سيد قطب قبل إعدامه وقد وسط له الجلادون من يشير عليه بأن يسترحمهم للافراج عنه.

ولمثل هذا الموقف المتحدي السامق الذي يطل من عل على دنيا الصغار والاستخذاء يجري المخطط الرهيب الذي تصنعه عقول أعداء الإسلام من الساهرين وتنفذه أيدي أبنائه من الغافلين .

ويقضي هذا المخطط أن يهاجم الدين بعنف وأن يبرز التدين في أبشع صورة وأن يعلن عن خرافات دخيلة على أنها من الإسلام كتلك المرأة التي ملأ الإعلام العربي والغربي على حد سواء آذان الدنيا بجنينها الموعود الذي يتكلم في أحشائها ويقرأ القرآن .. ولكي تأخذ الخرافة طابعاً " إسلامياً " كما يخططون أكدوا صلاح المرأة وتقواها وحجها وصلاتها وحبها للرسول العظيم .. وظل العالم كله يتناقل القصة : قطيع المسلمين ينتظر رأياً من بعض العلماء المشغولين بالولائم ومقالات المديح وبرقيات الولاء والتأييد .. وجماهير الغرب الكافر تتناقل الحكاية بسخرية تزيدهم عن الإسلام الحق بعداً عبر الخرافة المرسومة والشعوذة الهادفة !...

وفي الوقت الذي تناقلت وكالات الأنبياء العالمية قصة تلك المرأة في صور وتحقيقات ملأت أعمدة الصحف طلعت علينا بعد مدة من تثبيت الخرافة في الأذهان تعلن هروب تلك المرأة المشعوذة من وجه رجال الأمن بباكستان في سطور لا تتجاووز الثلاثة .. دون أن يلتفت إلى ختام الخرافة ونهاية المأساة أحد .

وفي حشد من الحملات المنظمة يبرز الرماد الدمشقي المتطاير المنهزم فينقل للقارئ العربي في كتاب[1] ليس فيه جديد لأنه جاء حشداً من النصوص والآراء والمقولات والمحاضرات لعدد من الفلاسفة القدامى والمحدثين ؛ ابتداءً بالفلسفات

---

(١) كتاب نقد الفكر الديني لصادق جلال العظم .

اليونانية والهندية القديمة ومروراً بآراء الفرق الشعوبية الضالة وانتهاء بعصر اللامعقول والماركسية والهيروويين والوجودية ؛ حيث راح الرماد الدمشقي المتهافت يهاجم في كتابه نفسه وأهله وتراثه وإنسانيته وإلهه الذي أبدعه وسواه من خلال خرافة ساقها على أنها دين تتحدث عن تجسد العذراء في سماء مصر بعد كارثة الخامس من حزيران والناس يهتفون لها ويهللون ...

ويسوق الكاتب المتعالم دليلاً إثر دليل على أن هذه الخرافة لا يمكن أن تقوم ثم يدلل على أن الدين خرافات وأساطير وكأن مثل هذا الهذيان الذي يتبناه الكهان ويرضى عنه السلطان ويناقشه العلمانيون أمر من الدين وأصل من أصول العقيدة ؟!

ثم يسوق الرماد الدمشقي المتخلف خرافة أخرى على لسان الأب صموئيل بمصر يزعم فيها أن صلوات بطريرك الأقباط ودعاءه قد أزالا جبل المقطم من مكان كان فيه أيام المعز لدين الله الفاطمي إلى المكان الذي يقوم فيه اليوم .. ويعلق متعالم دمشق بسخرية وكأنه نال من الدين نفسه فيقول : " ونحن نقترح على البطاركة الكرام ، في هذه المناسبة حمل جبل المقطم بأسرع ما يمكن ووضعه مباشرة فوق غرفة العمليات الحربية الإسرائيلية أثناء اجتماع هيئة أركان الحرب العدوة ، ربما كان في ذلك نفعاً[1] وإفادة للقضية العربية عامة ولقضية تصفية آثار العدوان على وجه التخصيص".

وهذا هو الأساس من بحث الكتاب المشار إليه باعتباره نقطة من بحر المنهزمين الفكري الهادر الذي يذهب جفاء لأن الذي ينفع الناس يمكث في الأرض .. إذ يهاجم الدين كل الدين ليصل في النهاية كما قصد في البداية إلى الإسلام الذي لا ينهزم ولا يتراجع أمام غثاء المنهزمين وأوهام المضبوعين !

---

(١) هكذا وردت والصواب نفع .

ولعل من أبشع الأمور التي تلبس مسوح الموضوعية والعلم أن يهاجم بعض المنهزمين الدجل والشعوذة وكتابة الحجب والتمسح بقبور الأولياء على أنها الإسلام نفسه ويروحون يسوقون الأدلة والحجج ليثبتوا أنها مزاعم تتنافى مع العلم والعلمانية ؛ وما دروا أو لعلهم يدرون ويراوغون أنها تتنافى مع الدين الحق والعقيدة الخالصة ..

إن أبسط اطلاع على آيات من القرآن أو أحاديث الرسول ﷺ ، يؤكد تحريم الإسلام للسحر ومحاربته للشعوذة وإن إلمامة عابرة بأوليات علم التوحيد في الإسلام تضعنا على بداية الطريق المستقيم والدرب السوي الذي يحارب الوثنية والجهالة والسحر قبل أن تُعرف العلمانية الحديثة ويولد أدعياء العلم المزورون !

وتعمق أجهزة العدو تخطيطها وتمعن أجهزة " المنهزمين " في التنفيذ فيحارب الإسلام الواعي الذي يحث على العلم والعمل ويشرد بنوه المطالبون بتطبيقه ووضعه موضع التنفيذ دستور حياة ، في الوقت الذي يسمح فيه لبعض الطرق الصوفية هنا وهناك أن تحتل المكان الأوجه والدرجة الرفيعة من مجتمع الأمة الإسلامية ليحيا الناس في هذيان أبله واهتزاز راقص بعيداً عن أدب الفكر وخشوع الذاكرين !.

وفي هذه الأجواء يطارد الإسلام الحق من جهة وتحل الخرافة بدله لينقم القطيع الجاهل على الدين وينصرف المرتزقة إلى لقمة السحت ووجاهة المكانة يحسبونها رفيعة وما دروا أنها عين الذل والهوان ...

إن محاولات كثيرة تجري في أرضنا المحتلة على أيدي " يهود " لتزور العلاقة بين الإيمان والعلم في التوراة .. وتزيف الدعوة إلى الحضارة والمدنية باسم

التلمود إيماناً من القائمين على الأمر من المحتلين للديار ، المدنسين للمقدسات ، بأن للدين في النفس البشرية أثراً عميقاً لا يستغنى عنه بحال من الأحوال .. ومن هنا فهم يحاولون التوفيق زوراً وبهتاناً بين ما يؤمنون به وما يصنعون ، في الوقت الذي يعمل فيه المنهزمون عندنا لتحطيم الأواصر القائمة في ديننا بين العلم والإيمان وتمزيق الصلات التي تربط في عقيدتنا بين الدين والحضارة لتقع الكارثة ويكون الخسران المبين ...

وهل هناك إيغال في الاستسلام وإمعان في الهزيمة أبشع من موقف إنسان يلقي سلاحه ويتخلى عن موقعه ويروح يلهث وراء عدوه يستجديه الخلاص ويرجوه النصرة ورفعة الشأن ؟!

هذه هي الصورة المهزوزة الملطخة التي يريدها لنا " المنهزمون " ... أن تتخلى الأمة كلها عن مواقعها في الريادة وأن تكفر بها ، وأن تبدل الثلّة المؤمنة الصالحة ثباتها هزيمة ، وأن تلقى بسلاحها الإيماني وعدتها العلمية وتراثها الحضاري ، ثم تمضي في صغار الأمة المغلوبة الخاسرة التي تمدّ يدها راعشة هزيلة لكل سيد مستغلٍ وفكر مستورد تصدره لنا مصانع الغرب والشرق على السواء .. حيناً تقذف به في وجوهنا لندن وواشنطن .. وطوراً تصبه فوق رؤوسنا موسكو أو بكين !..

إن الذين لم يعيشوا ولو لحظات بتجرد وإنصاف في سيرة الرسول الأعظم ﷺ ولم يعرفوا شيئاً عن أصحابه عقيدة وعقلاً وخلقاً وسلوكاً ، ولم يسمعوا عن عمر غير قصة العجوز وصغارها الجياع — وإن كانت من القصص الشوامخ ذوات الدلالة الإنسانية السامقة — ولم يدركوا عن علي وخالد ومصعب وسعد وأبي عبيدة أكثر مما لقنوا بأنهم قوم ركبوا إبلاً وخيلاً ليحاربوا الشعوب ويفتحوا البلدان . إن الذين لم

يقرأوا كتاباً لابن سينا أو بحثاً لابن حيان أو رأياً فقهياً لأحد الأئمة أو لم يطلعوا على قول للغزالي وفكرة للماوردي ونظرية لابن خلدون عارٌ عليهم أن يقرأوا كل شيء عن لينين وأن يحفظوا كل أفكار ماو أو يبحثوا في تفاصيل حياة جيفارا أو يخوضوا في سراديب التفسخ الوجودي والحقد الماركسي وجنون اللامعقول .. إنهم ليسوا منا ولكنهم أجساد هائمة في دنيانا هابطة عن قيمنا تباهي بعقول غريبة ومبدأ مستور وفكر لقيط ! !

إن الجامعات العربية والإسلامية والمؤسسات الثقافية والفكرية مدعوة أن تحترم نفسها وتؤمن بذاتها وأن تنفض عنها غبار الإذلال وتنزع عنها مسوح التبعية والاستجداء الفكري الدخيل فتقرر في كل كلياتها ومع جميع تخصصاتها مادة الفكر الإيماني والثقافة الإسلامية .. ولا نعني بذلك الخلافات المذهبية والغزوات الحربية وحدها ونهمل بعد ذلك العديد من جوانب الإشراق الفكري النير والحضارة الإسلامية البانية تمهيداً لقيام جامعة عربية أو إسلامية تحترم نفسها وتعود إلى تراثها فتقيم كليات الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والسياسة والاقتصاد والفلسفة والآداب في أفياء المحاريب وظلال القرآن .

وعندها لا نسمع الضلالات المستوردة هذياناً يدور على ألسنة الشباب وفي عقولهم :

لا علم مع الدين ...

لا حكم مع الدين ...

لا حضارة مع الدين ...

لأن الدين حين يفهم على حقيقته داعيةٌ للعمل ونظامٌ للحكم وصانعٌ للحضارة!!.

فهل نسمع قريباً برشد أصحاب الملايين ونبصر هُداهم عن اليقين وهم يقيمون الجامعات والمختبرات والمصانع في طاعة الله وأفياء الدين ، أم أنهم ينتظرون هبوب رياح الحقد الأحمر والاستعمار البغيض والصهيونية الحاقدة فلا تبقي ولا تذر.. ويومئذ فقط يدركون عمق الدلالة ودقة المفهوم لقول الله جل وعلا ويدركهم في الدنيا والآخرة ما يدرك الكافرين الذين قال فيهم رب العزة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1]

---

(١) الآيتان ٣٦ – ٣٧ من سورة الأنفال .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس

اليمين واليسار

دوامة الضياع للجيل العربي الحائر

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

صدق الله العظيم

[الآيات ١٢٤ — ١٢٧ من سورة طه]

قال صلى الله عليه وسلم :

((عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : * ليأتِيَنَّ على أُمَّتي ما أتى على بني إسرائيل حذْوَ النعلِ بالنَّعلِ ، حتى إنّ كان منهُمْ منْ يأتي أُمَّهُ علانِيةً لكانَ من أُمّتي من يصنعُ ذلكَ . وإنَّ بني إسرائيل تَفرَّقوا اثنتين وسبعين فِرقةً وستفْترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً كُلُّهمْ في النار إلا فِرقةٌ واحدةٌ . قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليهِ وأصحابي)) .

" رواه أبو داود "

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس

اليمين واليسار

دوامة الضياع للجيل العربي الحائر

الوهم الكبير الذي يحاول دعاة اليسار في عقل الإنسان العربي الحائر هو أن اليسار يعني الكفاح من أجل التحرر والحياة الكريمة .. وأنه وحده عدو الاستعمار.. وأن اليمين عميل وأن اقوى قلاعه الدين .. ويقصدون بالدين هنا الإسلام دون سواه لأن سادتهم صفوا حسابهم مع الكنيسة في الغرب فعزلوها عن الكون والإنسان والحياة .. وجعلوها تدور في الصوامع والهياكل والطقوس التي لا يربطها بالحياة رابط ولا يشدها إلى الكون وما فيه من مجالات الابداع غير صلوات وتراتيل تغيب وتغرق في صخب وهدير الصواريخ ودوي الآلات ...

ونحن هنا في نظرتنا الموضوعية وعرضنا الواقعي نضع اليسار واليمين معاً على المشرحة ، ونَتَّهم الجناحين بأنهما أسهماً في الهبوط بالأمة العربية نحو الحضيض بل عملاً على قتل كل قيم الخير والبر والعطاء فيها .

أما الإسلام : الدين الحق الذي يرفض اليسار المنحرف واليمين المتخاذل ... ما باله يزج في المعركة ويحشر في الميدان بعد أن تغمض منه العينان وتكبل الأيدي ويسلب منه السلاح ؟

إنها الخصومة الفاجرة والسياسة العاهرة والضلال المبين ... لقد احتلت كلمتا " اليسار واليمين " في دنيانا العربية مكاناً لا يمكن إغفالهما معه .. ووقعنا في صراع عنيف لاحتلال العقل العربي في عصرنا الحديث المضطرب بالفكر المستورد والثقافة الدخيلة ..

ومفهوم اليسار واليمين في دنيانا العربية مفهوم قلق غير مستقر ممزق غير متماسك ، ميدانه المعترك السياسي الجماهيري ، وكراسي الحكم الوثيرة ، وأرصفة المقاهي وأفياء المتنزهات في العواصم العربية العديدة ...

يبدأ بالتعليق السياسي المهلهل ، فاللغو الإعلامي الغائم ، فالسباب البذيء والشتيمة الساقطة القائمة على حشد من الألفاظ :

ابتداء بالعمالة والتبعية وأخواتهما وانتهاء بالقذارة والخيانة وما دونهما..

وقبل أن أمضي في الحديث عن " اليسار واليمين " لا بد أن أشير إلى أنني سأتناول البحث في نقاط :

- مفهوم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في الإسلام ، وليس له علاقة ببحثنا الذي نتناول ، ولكن نعرض للمعنى دفعاً للبس ورداً للتوهم الذي قد يقوم في بعض الأذهان الساذجة .

- مفهوم اليمين واليسار سياسياً وعالمياً ... وكيف ولد ؟

- مفهوم اليمين واليسار في الوطن العربي - كيف بدأ وكيف انتهى ؟

- ماذا نعني حين نقول : الإسلاميون أو الدعاة إلى الله ؟ !

إن أصحاب اليمين في القرآن هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وجاهدوا في الله حق جهاده ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولذا فهم مكافأون أن يتناولوا البشرى الطيبة بدخول الجنة والفوز بالرضوان بأيمانهم :

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾[1]

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[2]

وأما أصحاب الشمال فهم الفجّار المبعدون عن رحمة الله لأنهم كفروا به وجحدوا نعمته ولم يعملوا صالحاً بل كانوا في ترف عفن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، ولذا فإن عقابهم عند الله أن يتناولوا النذير الذي يشير إلى مصيرهم السيء ونهايتهم المحتومة العادلة بشمائلهم :

---

(١) الآيات ٢٧ – ٤٠ من سورة الواقعة .

(٢) الآيات ١٩ – ٢٤ من سورة الحاقة .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾[1]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾[2]

وإذا كان لليمين مكان الصدارة وموضع التكريم في العقيدة الإسلامية فإن للشمال مكان الخزي وموضع الامتهان .. غير أنه ليس لليمين أو الشمال بالمفهوم الإسلامي كما سنبين أية علاقة بالمفهوم السياسي العالمي أو المفهوم العربي المصطنع المستورد لليمين واليسار ، لأن الجانبين في نظر الإسلام متآمران على الحق والخير

---

(١) الآيات ٤١ — ٤٧ من سورة الواقعة .

(٢) الآيات ٢٥ –٣٧ من سورة الحاقة .

متحالفان على حرب الله في ميدان واحد حيث يلتقيان على شعار سياسي واضح ودعوة علمانية معلومة انطلاقاً من تفاهم الأصل والسيد :

إسرائيل وجدت لتبقى ... وقاتلوا المؤمنين تحت كل سماء !

أما مفهوم اليمين واليسار السياسي عالمياً فمن المعلوم أن اليسار قد ولد أول ما ولد في فرنسا حين كان ممثلو الشعب في العهد الملكي يجلسون في الجانب الأيسر من مجلس الأمة ، وممثلو الملك ورجال الدين يجلسون في الجانب الأيمن ، وكان ممثلو الشعب يتبنون مطالبه ويعملون على رفع نير التسلط الملكي اللاهوتي عنه حتى وقعت الثورة الفرنسية وانتهى الأمر بتسليم ممثلي الشعب سلطة الحكم ليمثلوا السلطة التي انبثقت من صميم الشعب كما يقولون .

وجرى هذا التقليد وسرى في العالم كله حيث بدأت المعارضة في كل أنظمة الحكم تحتل مقاعد اليسار وترفع شعار التحرر من نير السلطة وظلم الحكام حتى وقعت الثورة البلشفية في شهر اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩١٧ فتحول الحزب الشيوعي السوفيتي المعارض إلى حزب حاكم يوجه سياسة الدولة ويرعى شؤونها .. وصار اليسار المعارض المتطرف يميناً لا يقول إلا بما تقول به الحكومة ولا ينادي إلا بما ينادي به الحاكمون .. وبين يوم وليلة صار المعارض للنظام الشيوعي الحاكم يميناً متخلفاً وعميلاً للأجنبي وعدواً للشعب أو على أقل تقدير صار يمينياً منحرفاً عاقاً للمبادئ الماركسية والأفكار اللينينية العظيمة !!

وبدأ سبيل الاتهامات فيما بعد يجرف أمامه كل من يرى غير الرأي الحاكم أو يقول بغير معتقدات القياصرة الجدد : وإذ بستالين يتهم بالتزمت والفاشستية والبطش والقهر ...

وإذ بتيتو يتهم لمجرد رأي يراه في سياسة السيطرة الموسكوية باليمينية والخروج عن محضن الأسرة الماركسية الحنون !!!

بل إن " موسكو " صارت من العقوق للفكر اليساري الأصيل بحيث أقامت عليها " بكين " النكير واتهمتها بالانحراف عن المبادئ اللينينية الخالدة !!

وطبيعي أن ينشق الظل تبعاً لانشقاق الأصل وأن تصبح الأحزاب الشيوعية في العالم ذات طابعين واتجاهين : سوفيتي متخلف عاق ، وماوي مثقف عظيم !

وبين هذا وذاك فريق من الدائرين في الفلكين الذين يتحركون أحياناً في براغ وبلغراد وهلسنكي وغيرها أو يغطون في سبات عميق !...

إن مجرد رأي يقال أو فكر يبدى أو تعديل يقترح أصبح سلاحاً خارقاً وسحراً عجيباً يسلط على صاحبه أضواء كشافة فاضحة تعلن للملأ انحرافه وتمرده وعمالته ، وتحمل أبواق هذه الدولة أو تلك هذا الاتهام ليمرغ سمعة الرأي الجديد وأصحابه في وحل الخيانة والعمالة والتبعية !

ولسنا ندري إذا كانت صفة معارضة الحاكم ومناقشته في شؤون الحاكم تضفي على صاحبها مسوح اليسار وعلى الحاكم أسمال اليمين فنسمي البدوي الذي قال اتق الله يا عمر يسارياً ونسمي عمر رضي الله عنه يمينياً .. ونمنح سعيد بن جبير أمام طغيان الحجاج وسام اليسارية والثورية !!

إنه الإسلام يا منهزمون يقسم الناس إلى أصحاب حق وعدل واستقامة .. وأصحاب باطل وظلم وعوج بلا يسار ولا يمين : قد أفلح من زكّاها .. وقد خاب من دسّاها .. ولكن هيهات هيهات أن يرتفع الوالغون في سؤر الأجنبي المقتاتون من فضلاته المطبوعون بفكره إلى السموامق الشوامخ من تراث الإسلام وحضارة التوحيد؟!

إني لأذكر في عمان موقفاً عجيباً وقفه الشيوعيون الموسكويون من رفاقهم الصينيين يؤكد ما أشرت إليه من حقد وبغضاء وصراع في فلك العقيدة الماركسية الأم ، فقد حدث أن قررت الفئات الوطنية – والتسمية مختارة منتقاة ! – أن تسير مسيرة بمناسبة ذكرى وعد بلفور المشؤوم واقترح الحزب الشيوعي الأردني أن يحمل في المسيرة لافتة تعلن عن " شكر شعبنا لمواقف الاتحاد السوفيتي الصديق الذي يدعم العرب ويقدم لهم العون في مختلف الميادين السياسية والعسكرية " .

ولما كان بعض المجتمعين على يقين أن جمهورية الصين الشعبية كان لها موقف سليم يومئذ من قضيتنا في فلسطين وإنها كانت تدعم الثورة الفلسطينية في كثير من المواقف فقد اقترح أن يضاف إلى اللوحة اسم جمهورية الصين الشعبية اعترافاً بالتأييد والجميل .. وكانت معارضة عنيفة من الشيوعي العربي السوفيتي وكان إصرار من الآخرين أن تشمل الصين بالشكر والثناء .. واتفق على حل : أن تنفرد الصين الشعبية بلوحة تكون من حيث ترتيبها في المسيرة بعد لوحة الشكر والثناء على الاتحاد السوفيتي الصديق العظيم ! !

ونأتي إلى الوطن العربي لنرى تشتتاً في مفهوم اليمين واليسار حتى مرت بالوطن العربي أيام عصيبة فُسِّرَ فيها معنى اليمين على أنه خيانة ومعنى اليسار على

أنه كفاح دائب ووطنية خالصة ، إلى أن انشق اليسار على نفسه وتمزق الحزب الواحد طرائق قدداً وفي يد كل فريق كتل من الوحل يرشق بها صاحبه وهو يهتف في وجهه : عميل متآمر .. ويمنيي قذر !..

ويجرنا مثل هذا المنطلق القلق المهزوز لمفهوم اليسار في الوطن العربي إلى الحديث عن مفهوم الخصومة الشريفة التي مارسها بعض الجاهليين في عدائهم للإسلام...

لقد خاصم الجاهليون صاحب الدعوة محمداً عليه السلام .. واختاروا له كثيراً من التهم التي تمليها طبيعة العداوة عليهم ، ولكن كثيرين منهم أبوا إلا أن يصفوه بالصادق الأمين ...

أما تهم اليسار العربي فقد رشقوها بغير خلق ولا اتزان في وجوه خصومهم أولاً ثم راحوا يتراشقونها هم فيما بينهم حتى لم يسلم منها في الوطن العربي مواطن إلا عبر إذاعة بلده إن كان متربعاً على كرسي الحكم أو قريباً منه أو محسوباً عليه !

وكان طبيعياً أن ينال الإسلاميون حظهم من التهم وأن يصيبهم منها رذاذ بل أن ينصب فوق رؤوسهم سيل منهمر من الخصومة الفاجرة التي لا تخجل ولا تعقل !

فمن هم الإسلاميون في هذا الموقف .. ومن هم دعاة الإسلام في هذا المجال ؟!

الواقع أن المفهوم المحدد لدعاة الإسلام الذين يغيظون أعداء الله هم أولئك الذين يؤمنون بالإسلام ويعملون بأحكامه ويطالبون بتطبيق نظامه متكاملاً في مختلف شؤون الحياة ويلاقون في سبيل ذلك العنت والأذى ويتحملون في هذا الطريق الشاق كثيراً من الكوارث والنكبات ابتداء بالاتهام الفاجر واللطمة القاسية والسوط اللاذع وانتهاء بالرصاص الغادر أو حبال المشانق .

إن خصوم الإسلام لا يهتمون كثيراً بما يكتب أو يقال عن عظمة الإسلام وجوانب العدالة والرحمة والخير فيه ما دام هذا الذي يقال كلاماً يسيل حبراً على ورق أو حديثاً ينطلق من على المنابر .. ولكن الذي يهمهم أمره ويتتبعون نتائجه أن يطالب بالإسلام نظاماً يحكم الحياة .. ومن هنا اسهم المستشرقون حيناً وترك المجال لكثير من الكتاب والمفكرين المسلمين أحياناً أن يثروا المكتبة العربية بالكتب وأن يزحموها بالأفكار والآراء طالما لا تتعدى هذه الآراء مجال الترف العقلي والنشاط الفكري الذي لا يحمله جيل منظم ولا روّاد حركة مجاهدون يحيون له ويموتون من أجله !

إن كل ما كتبه العقاد وطه حسين ومحمد حسنين هيكل وأحمد أمين لم يحرك خصوم الإسلام ولم يقلق بالهم ، ولكن الفكر الذي نادى به الشهداء : حسن البنا وعبد القادر عودة وسيد قطب أدى بهم إلى ساحة الاستشهاد عبر جهادهم ضد الظلم ومقارعتهم الطغيان ...

والآن .

أين يقف اليسار من قضايا أمته ؟ وأين يقف الإسلاميون ؟ ولا أقول اليمين بالمفهوم العربي المشوه والاصطلاح السياسي الحديث ؟

هل صحيح ما يقوله " المنهزمون " بأن الدين الإسلامي من أقوى قلاع الفكر اليميني الرجعي ؟

إذا قصد " المنهزمون " بالإسلام زمرة من المرتزقة الذين يهتفون لصاحب الكرسي وحامل السوط وباذل المال فهم صادقون فيما ذهبوا إليه ولكنهم ظالمون واهمون كاذبون في أن يسموا أولئك المرتزقة إسلاماً ...

وإذا قصد " المنهزمون " فريقاً من المسالين الذين ينشدون الراحة في ظل الحكم مهما ظلم وبغى فهم صادقون فيما ذهبوا إليه من تأييد أولئك الرسميين للحكم ولكنهم متجنون على الحقيقة في التسمية لأن الإسلام المجاهد الذي يرفض الباطل في واد ، والمسالمون طلاب الراحة والعيش الرغد في واد آخر !

أما الإسلاميون الدعاة إلى الله ، المعذبون في الأرض بسياط الطغاة المعلقون على مشانق الظالمين فما أبعد أن يسميهم " المنهزمون " حصوناً للفكر اليميني الرجعي وهذا جزء من كشف الحساب ...

لقد تآمر اليمين العربي واليسار العربي على الحركة الإسلامية وأذاقوها من الويلات ما تزول امامة الراسيات ، ولقد فتحت سجون العواصم العربية يمينية ويسارية للدعاة وحملة الفكر الإسلامي المنظم لا الفكر الإسلامي المبعثر المهدور حتى التقوا في نفس الزنازين التي جمعوا فيها بدعاة اليسار هنا وهناك ...

ففي مصر قاد الإسلاميون الثورة الشعبية الحقة في وجه الاحتلال البريطاني وأشعلوها حرب عصابات منظمة ضد الانجليز ، وقدموا من دماء الضحايا وأرواح الشهداء ما مكّن " الرسميين " فيما بعد أن يكتفوا بالجلوس إلى مائدة المفاوضات الدبلوماسية الناعمة ...

وانطلق رصاص عسكر فاروق في الظلام على الإمام الشهيد حسن البنا في أطول وأعرض شارع من شوارع القاهرة بعد أن أبعد الأطباء والممرضون عن المستشفى وأطفئت الأنوار في مسرح الجريمة النكراء ...

وأعلنت أقلام الإسلاميين الدعاة رأيها في عهد فاروق ونفوذ الباشوات يوم كان ادعياء التحرر عبيداً يدبجون المقالات في مدح النسب الشريف والسلالة الطاهرة...

واغتيل عدد من العسكريين الإسلاميين في الظلام ودفنوا في السر لا يدري أحد بما آلوا إليه وما بلغوه من إبادة وإفناء ...

ونادى الشهيد سيد قطب وإخوانه في عهد فاروق من قبل بالحياد الإيجابي الدقيق فاتهم بالتطرف والجنون وجر البلاد إلى ويلات الغضب الغربي الرهيب .. وحلت الجماعة المؤمنة المجاهدة في مصر بقرار صادر — شكلاً — عن الحكومة المصرية وفعلا عن مؤتمر سفراء الغرب الكبار في معسكرات فايد في ظل علم الاحتلال البريطاني على ضفاف القنال !..

إن التاريخ مهما طمست حقائقه ولوثت بزبد المعربدين سوف يكشف عن حقيقة البطولة المدعاة المزعومة التي وقف صاحبها يوماً يعلن في قلب القاهرة في أعقاب الثورة المصرية وفي مجلس ضم مجموعة من العسكريين وأخرى من أبناء الشعب المؤمنين وهم يخططون لتفويت الفرصة على الانجليز ... لقد قال التحرري الثوري العتيد حين سمع المتهمين اليوم بالرجعية يطالبون بالقتال لتحرير القنال والوقوف على الحياد بين الكتلتين :

" حياد إيه وكلام فارغ إيه .. الحياد جنون .. الحياد كلمة تافهة ما لهاش مدلول .. أنا لا أؤمن إلا بالانحياز وقد اخترت أميركا لتعيننا على إخراج النفوذ الانجليزي من كل المنطقة " .

وضاعت الحقيقة بين ضجيج المهرجين من جانب .. وأنات المعذبين وزمجرة سياط الظالمين من جانب آخر .. وانطلقت من جديد دعوة للحياد وعدم الانحياز ... ولكن على الطريقة الأمريكية !..

وفي العراق .. كان مفاخر نوري السعيد للصاغ صلاح سالم في مصيف سرسنك أن العراق لم يصرح أبداً لأية حركة إسلامية منظمة أن تنشط وتعمل في عهده إذا استثنينا جمعيات دفن الموتى والدعوة بأسلوب مسالم رتيب إلى مكارم الأخلاق .. وحمل صلاح سالم البشرى يومئذ إلى القاهرة أن لقاء على حرب كل نشاط إسلامي واعٍ قد تم بين " التقدميين الأحرار " في القاهرة .. و " الرجعيين العبيد " في بغداد !..

وفي الأردن أعلن الإسلاميون قولاً وعملاً رفضهم لمشروع أيزنهاور وحلف بغداد ، وكانوا طليعة النضال ضد الأحلاف ودعاتها وما زال المراقبون للأحداث في الأردن يذكرون أن كل حرف من جريدة الكفاح الإسلامي لسان الحركة الإسلامية الواعية والطليعة المؤمنة يعلن رفض التدخل الأميركي والأحلاف العسكرية .

ولم يقف دور الإسلاميين في الأردن عند هذا الحد بل كانوا أول الرافضين لدخول القوات البيرطانية إلى الأردن عام ١٩٥٨ مما أدى إلى حشد عدد منهم يومئذ في سجون عمان .

لقد لقي الإسلاميون في الأردن من جراء مواقفهم المشرفة كثيراً من الأذى والمضايقات على يد عدد من الحكومات المتعاقبة حيث زج بعدد منهم في معتقلات الجفر وسجون العقبة ومعان وعمان وأربد وغيرها مما لا ينكره عليهم حتى المكابرون..

والفارق بين الإسلاميين وبين غيرهم إن منطلق المسلمين الدعاة لم يكن لإرضاء معسكر على حساب الآخر بل كان رفضاً للتدخل وإرضاء الله وحده .

" منطلقي في كلمتي هنا ليس أمريكياً فأنا أعلم أن أمريكا تتآمر على بلدي وأنا على يقين أن أمريكا تدعم دولة العدوان بالمال والرجال والسلاح ، وأن أمريكا لا تبيت خيراً لأية بقعة من ديار الإسلام بحقد جذري كلما ذكر أساطين الإمبريالية في أمريكا عظمة وبطولة صلاح الدين !

منطلقي ليس بريطانياً فبريطانيا هي أم إسرائيل وصاحبة وعد بلفور المشؤوم! منطلقي ليس سوفياتياً فكلنا على يقين أن تأييد السوفييت المعلن لنا حتى تزول آثار العدوان !

منطلقي ليس مع دولة تحمل من الإسلام اسمه وهي تمد يدها من وراء ظهورنا لتصافح إسرائيل !

إن منطلقي هو الإسلام . والقرآن .. من رحاب رسالة محمد ﷺ "[1]

إننا لا ننكر على غيرنا السير في نفس الطريق برفض قوات الاحتلال الغربي وتسلل الفكر الاستعماري والثقافة الاجنبية ، ولكننا نتساءل ما دور اليسار العربي لو كان الحذاء المحتل سوفياتياً والراية الدخيلة تحمل في أجوائنا المنجل والمطرقة !؟

إننا نرفض التدخل والاحتلال حيثما كان مصدره ، وهذا هو الفارق بين " وطنية اليسار " المزعومة وإيمان المسلم بربه وإخلاصه لدينه وعزته بالله وتعلقه بمهبط الوحي وكل حبة من تراب الأرض الطهور الذي ضمخته دماء الصحابة والمجاهدين ...

---

(١) من كلمة للمؤلف في مجلس النواب الأردني بتاريخ ١٩٧٠/٣/٢ .

وفي الوقت الذي يسعى دعاة الإسلام إلى أن تكون ديار العروبة مهبط الرسالات ومنزل الوحي مهوى أفئدة الناس كافة في تبعية عزيزة وولاء كريم ، يصر دعاة اليسار إلا أن يكونوا هم الاتباع : أجسادهم في عمان والقاهرة وبغداد والرياض وغيرها .. وقلوبهم تهفو إلى موسكو وواشنطن ولندن وبكين ..

إن العمالة لا تتجزأ .. واليسار الذي يدين بالولاء لموسكو أو بكين ويقف ذليلاً خاشعاً عند قول يصدر عن ماو أو كاسترو أو بريجنيف لا يختلف في نهاية المطاف عن اليمين الذي يدين بالولاء للندن أو واشنطن أو باريس .. وينحني إجلالاً وطاعة للأوامر الصادرة له من حكام الغرب والآراء التي يصدرها فلاسفته ومفكروه ..

وفي فلسطين .. انطلقت حركة الجهاد ممثلة في الشعب الفلسطيني الباسل وعلى رأسه الشيخ الشهيد عز الدين القسام الذي وقف يعلن ولاءه لله وحده ويدعو الناس إلى رفض الوجود الكافر في ديار الإسلام حتى لقي الله راضياً مرضياً في سبيل الله.. ومع ذلك وجد من لا يستحي ويعلن على أبناء الشعب الفلسطيني بأن الصراع الطبقي والفقر الذي كانت تعانيه طبقة القسام كرجل كادح هو الذي حركه ليقود الحركة الباسلة التي أدت إلى مصرعه في سبيل الثورة والاشتراكية !

وجاء عام ١٩٤٧ .. وتحرك الشعب الفلسطيني مرة أخرى ليقاتل المحتلين والغزاة ، وكان عبد القادر الحسيني المؤمن الذي لقي الله وهو يقول : إني أشم ريح الجنة على رأس المجاهدين الأبرار ، والتقى الإسلاميون من مصر والشام والأردن وغيرها في رحاب الأقصى ليقفوا في وجه العصابات الصهيونية المسلحة المدعومة بالمؤامرة البريطانية والسلاح الأميركي والطيارين التشيك والاعتراف السياسي

السوفياتي . وخذلتهم الجيوش العربية الرسمية إذ ذاك وسيقوا إلى أعماق الصحاري وظلمات السجون ووقف ضابط كبير من جيش فاروق يومئذ وكان قد صحا على الحقيقة المرة ليقول :

" أسوأ مكافأة قدمتها في حياتي أني جمعت فئة مؤمنة من الشباب قاتلت العصابات الصهيونية بإيمان صادق وعقيدة خالصة وشجاعة نادرة ، ثم قمت بإرسالهم في سيارات كبيرة لتلقي بهم في معتقلات الهاكتسب والطور ، تنفيذاً لأوامر صاحب الجلالة في القاهرة ".

ووقعت الهدنة .. وجنى الإسلاميون أبشع الثمرات حين عارضوا ذلك حيث طوردوا في كل أرض وتحت كل سماء .

وتوضع الخطط .. وترتب البرامج .. وينفذ المنفذون ، وتكون النتيجة أن يلتقي " الشرق الأحمر " " والغرب الأسود " على شعار : إسرائيل وجدت لتبقى .. وعلى هدف التصفية الجسدية لدعاة الإسلام الداعين إلى التحرير الشامل لفلسطين وتصفية الوجود الصهيوني كدولة في الوطن السليب .. وكان من مظاهر هذا اللقاء وذلك المخطط :

١- أن تنصب المشانق لعدد من العلماء ودعاة الإسلام ممن هم في مراكز القيادة والتوجيه .

٢- أن تفتح أبواب المعتقلات لجماهير المسجد في العهود الثورية التقدمية مثلما فتحت لهم في عهد فاروق ، وراح المرض والجوع والأذى ينهش المؤمنين في ظل تخطيط بشع رهيب لا يقف أمامه إلا ذوو العزائم .

٣- أن يحارب أنصار الدعاة المؤمنين ومؤيدو الحركة الإسلامية من جماهير الأمة في أرزاقهم ومجالات أعمالهم المختلفة .

٤- أن يحرم كل أولئك من خوض معركة الشرف على نطاق إيجابي واسع وبصورة مجدية على ثرى فلسطين ، وليبق شعار الكثيرين - يساريين ويمينيين - ترحيباً بإزالة آثار العدوان وهتافاً بحياة الصداقة العربية السوفيتية .. تلك الصداقة السوفيتية التي أقامت لها فروعاً ومراكز عدة في معظم قرى ومدن الأرض المحتلة من فلسطين في ظل راية إسرائيل !..

٥- أن يظهر بديل للإسلام الحق والإيمان الصادق .. إسلام يعلن عن التوافق بين " الإسلام " و " الحياة الجديدة المعاصرة " بكل غثائها ، وطبيعي فإن واضع مخطط البديل الذي نشير إليه لا يعني من هذا التوافق إلا أن يجمع بين الصلاة في المسجد والرقص في الحفلات ، والصيام في رمضان واحتساء الخمر بعد مدفع الإفطار ، وبالتالي فلا حرج من أن تكون مسلماً مصلياً صائماً سكيراً فاجراً في آن واحد ... نفس الإسلام الذي استغل ليعلن عن نسب فاروق النبوي ومجده العريق وصلة أمجاده بمحمد ﷺ !..

وانطلق المنفذون يطبقون مخططات العدو لصنع ذلك الإسلام الجديد الذي يوفق بين الأذان في المئذنة وصخب موسيقى الجاز في الحانات والمواخير الليلية ، ويعمل على تقبل الحضارة الغربية بكل مظاهرها في المأكل والمشرب والملبس حتى غدا طبيعياً أن ترى الأب في الصف الأول من المسجد وابنته تتهادى على أرصفة شوارع العواصم العربية " بالميني " العاري .. أو شواطئ البحار " بالمايوه " !..

وأي اعتراض على مثل ذلك السلوك المتناقض المريض الضائع كفيل بتصدي "المنهزمين" يدمغونه بالتعصب والتخلف والرجعية ..

والغريب أن يلتقي في هذا الموقف ضد دعاة الإسلام عملاء الغرب والشرق على حد سواء حتى الذين يرون شرفاً كبيراً في أن يمضوا جزءاً من أعمارهم المديدة على موائد السفارات الأجنبية وحفلات الكوكتيل في أعيادها الوطنية !

٦- أن تقوم حملة مسعورة تهون إلى جنبها المشانق المعلقة والمعتقلات المفتوحة وأجواء التعذيب الرهيبة ، حملة تضليل كبرى تعمل على أن يلوث الإسلام ويلطخ أهله متهماً حيناً بالرجعية والتخلف ، وحيناً بالعمالة والخيانة ، وحيناً بالتآمر والتحالف ضد الوطن والوطنية والأحرار والحرية ..

وعميت أعين الجماهير وصمت آذان الأمة عن الحق وراح القوم ومعظمهم مضلل مضبوع يطعنون الإسلام نفسه وما دروا أنهم ضحية مؤامرة صهيونية استعمارية كبرى اشترك فيها الغرب والشرق على حد سواء للتخلص من دوافع الكرامة الحقة ومنطلقات التحرير الصافية وأمجاد التراث الذي لا يرضى بوجود أجنبي دخيل — مهما كانت هويته — يحتل شبراً من ديار الإسلام ...

وراح بعض ضعفاء النفوس من المسلمين — حتى بعض رجال الفكر وحملة القلم من العلماء — ينحنون أمام الكابوس الفكري الرهيب أو ينافقون ويراءون ، وأخفهم رعباً وأقلهم طواعية للكابوس من صمت يبتسم ببلاهة ويشرد في ذهول ، وقليلون أولئك الذين أصروا على حمل الراية والمضي برجولة المؤمنين وإيمان الرجال حتى نهاية الطريق .. ولو كان في ذلك عذاب أليم وحرمان وسخرية فاجرة ... وعلى الرغم من ذلك التخطيط الظالم الرهيب وقف الإسلاميون أفراداً وجماعات بتواضع

المعذب في وطنه وجهد المشرد من ديارة المحارب من كل الأنظمة العربية الملوث بالدعايات الشرقية والغربية المسمومة في الوطن العربي يحملون راية الجهاد ما استطاعوا ويوجهون الرصاص لصدر العدو مع كل المخلصين لقضيتهم من المقاتلين البواسل..

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن...

ماذا تنتظر من قوم ما زالت بقاياهم في ظلمات السجون . ومن أفرج عنهم ظلوا في رزقهم مطاردين .. ومن وجد باب الرزق مفتوحاً أحاطت به أبواق الحكم والنفوذ والانتهازية تهدده بالفناء بعد أن وصمته زوراً وبهتاناً بالعمالة وخدمة الاستعمار ...

ومع كل ذلك أتاح اليسار العربي المنحرف بما حشر الأمة فيه من متاهات وما زج الأمة فيه من نزاعات فكرية واتهامات سياسية رخيصة ، أتاح لليمين أن يوالي الضربات وأن يجد المبررات التي يضع معها شعار إزالة آثار العدوان وحده دون سواه هدفاً من أهداف " المنهزمين " جميعاً لا فرق في ذلك بين يسار ويمين والكل يدعو لوضع شعار الهزيمة موضع التطبيق : أن تحيا إسرائيل في حدود آمنة .. وأن تعطى حرية الملاحة في الممرات المائية .. وأن تزول آثار العدوان .. مع شيء من التسامح العربي اليميني اليساري الأصيل !

أما التحرير الشامل .. أو الوصول إلى البحر .. أو تصفية الوجود الصهيوني كدولة .. فويل لدعاته اليوم من أعوان الغرب والشرق معاً وويل لهم أكثر يوم ترضى إسرائيل بشكل أو بآخر بتنفيذ قرار مجلس الأمن أو ما هو منه قريب ..

إن القناع يومئذ سيهتك .. والحجاب سيزول .. وسيعلم العرب جميعاً والمؤمنون بعامة من هم الذين سيثبتون على العهد وسيمضون إلى آخر المطاف ونهاية الطريق ... ومن هم الذين سيتهافتون على الحلول السلمية راضخين .. تهافت الفراش على النار يحترقون ...

والسؤال الثاني الذي يطرح نفسه هنا .. ويفرض وجوده :

ما هو موقف اليسار العربي لو كان القائم على الحكم في إسرائيل هو الحزب الشيوعي الإسرائيلي لا أصدقاء الغرب أحباب واشنطن ؟.

أيكون لليسار العربي يومئذ موقف غير التنسيق والتوفيق .. والتفاهم الأخوي بين اليسار العربي وشقيقه في إسرائيل ؟

لقد راح واحد من مندوبي هذا التنسيق ينعب من وراء مذياع القاهرة بإسم الشعر الحر والأرض المحتلة يدعو إلى وفاق وأخوة بين الأحزاب الشيوعية في بلاد العرب والحزب الشيوعي في إسرائيل .. ولا يخجل محمود درويش الشاعر أن يتناسى أن كثيراً من الشباب الفلسطيني الذي يصرعه رصاص اليمين الأسود قد لقي كذلك مصرعه في الحرب على يد رصاص منطلق من بنادق تحملها أكف شيوعية وقلوب يسارية من مجندي ومجندات جيش الدفاع الإسرائيلي الذي حمل علمه الشاعر العربي المتحرر في صوفيا .. إحدى عواصم اليسار العالمي العتيد !

إن رفض اللقاء مع من يصافحون إسرائيل ويمدون لها العون على أية صورة أمر تفرضه عقيدة الإسلام الخالصة مهما حاول المبررون للتعاون مع إسرائيل أن يختلقوا المعاذير سواء تمثل ذلك التعاون في تخاذل اليمين أم انحراف اليسار .

إن " إسرائيل " في عرفنا وعقيدتنا هي أمة الكفر والحقد على دين الإسلام منذ قامت دولة الإسلام في " المدينة " وإلى أن أحرقت الأيدي الآثمة في رحاب الأقصى محراب صلاح الدين ؟

ونعرج على اليمن .. لنطالع صحف اليسار الشرقي واليمين الغربي على السواء تتهم الإسلاميين يوماً بمحاولة الإطاحة بحكم آل حميد الدين ، واتهم الإسلاميون يومئذ بأنهم سفاحون وعلى رأسهم إذ ذاك الشهيد حسن البنا عليه الرحمة والرضوان .

ثم تتبدل المقاييس وإذ بالسلاّل يمثل جانب التحرر وإذا بالقضاء على حكم آل حميد الدين يمثل قمة الوطنية والنموذج الرائع المشرّف لأهداف الشعب المناضل والأمة المكافحة ...

ولا نحب أن نخوض فيما وقع بعد ذلك من أحداث لها من تاريخنا العربي المعاصر أبشع الصفحات .. ولكنا نرجو أن تكون النهاية إلى خير بحيث يقوم في اليمن صحو ووعي يمكنان أبناء اليمن من إحصاء عدد الضحايا من أبناء الأمة في كل مكان حتى لا تنسى حسنات اليمين .. ولا ينكر فضل اليسار ؟

وإذا كان اليسار العربي – ومعظم أجنحته غريبة الولاء والتمويل – يتهم الإسلاميين بدعم الدول الاستعمارية والتحالف معها ويضرب لذلك الأمثال في كل من تركيا وإيران وغيرهما من دول بلاد الإسلام ، فإنه يقع بذلك في أخطاء ومغالطات مبعثها الجهل بأحكام الإسلام وأوضاع تلك البلاد أو التشويش المتعمد والإساءة المقصودة .

إن أبسط نظرة نلقيها على أوضاع العالم الإسلامي اليوم تؤكد أن حكام البلاد الإسلامية لا يتبنّون أحكام الإسلام أو يطبقون شريعة القرآن فيما يحكمون وإنما يطبقون نظماً تتأرجح بين اشتراكية الشرق وديمقراطية الغرب ، أو هم يحكمون شعوبهم بمزيج من الدساتير المستوردة من هنا وهناك أضفت عليها القوة والنفوذ روح التشريع وطابع الدستورية فكيف نتهم الإسلام من منطلق سياسة ينفذها من لا يحكمون بالإسلام ؟..

إن دعاة الحركة الإسلامية أيتام غرباء في ديار الإسلام ، إلا من باع نفسه لهواه منهم — وعندها لا يكون بينه وبين الإسلام إلا ما بين أنظمة الحكم القائمة المختلفة والتشريع الإسلامي من صلات وروابط .. في حين يلقي اليساريون إن ضُيِّق عليهم في بلد من أجل فكرتهم كثيراً من العواصم تفتح لهم وترحب بهم مدعومين بمال وإعلام يبذله لهم سادتهم في سبيل الفكرة التي لها يروجون ..

ومن هنا فإن دعاة الإسلام يرفضون دعوى الأدعياء وزعمهم بالعمل على رفعة شأن الإسلام والمسلمين سواء أكان ذلك في بيان يعلن على الناس أو خطبة تلقى في مؤتمر يتداعى له القوم المضلِّلون من كل جانب ...

لقد كان الإسلاميون واضحين في كل ما ينادون به : رفض كل ما ليس من الإسلام .. سواء أكان مصدره إذلال الشرق أم عبودية الغرب .. وكانوا في مواقفهم من الجرأة بحيث يعلنون ارتباطهم بالفكر لا بالأفراد وبالعقيدة لا بالحكام الذين يحيون ويموتون ويصيبون ويخطئون وتستقيم أمورهم وينحرفون :

إن الأجيال لا يمكن أن ترتبط بأشخاص بلا فكر ولا عقيدة لأن الأشخاص فانون زائلون ... وإلا فأين هتلر وموسليني ونابليون ؟ وأين صيحات الإعجاب ونظرات الدهشة والذهول التي كانت تملأ أجواء برلين وروما وباريس يوم كان الشباب يسيرون في استعراضات فاشستية منظمة ، ولكن الأجيال الصالحة البناءة تلك التي ترتبط بالإيمان والفكر والثقافة ، وبمقدار ما يرتبط أبطال التاريخ بالإيمان والفكر والثقافة يخلد أولئك الأبطال ومن هنا عاش عمر حياً بيننا ، وظل خالد علماً على البطولة ، وعرفنا جعفر بن أبي طالب ذا جناحين يطير بهما في الجنة ، وترحمنا بكل أحاسيسنا

ونبضات قلوبنا على صلاح الدين ، وإن نفوسنا لتهفو باشراقة إلى ذكرى شهيد كربلاء الحسين بن علي المبدأ والرأي والعقيدة "[1] .

والإسلاميون الذين يرفضون أن تتمثل وحدة الأمة في لقاء عابر بين دول البلاد الإسلامية ينفضُّ بعده السامر ... لا يفهمون الاستعمار كما يحب الماركسيون أن يفهموه محدداً في نطاق النفوذ الغربي الإمبريالي فحسب ، وإنما هم لا يفرقون بين احتلال البرتغال ل (جوا) واحتلال الاتحاد السوفيتي للأراضي التشيكوسلوفاكية ؟.

وإذا قيل بأن السوفييت قد تخلَّوا عن الأراضي التشيكوسلوفاكية بعد أشهر فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن اطمأنوا إلى ولاء من يحكم تشيكوسلوفاكيا بعدهم وتثبتوا من اخلاصه للكرملين قبل اخلاصه لبراغ .

ولو عاد التشيكوسلوفاكيون إلى معارضة الكرملين من جديد لعاد هدير الدبابات ووقع الأحذية السوفيتية مرة أخرى يصم آذان من يحبون لبلادهم التحرر من أي نفوذ .

والأمر كما نرى قريب جداً من روح الاستعمار الغربي الذي قلنا بأنه لم يعد يهتم بوجود " الجسد " الغربي في الأرض التي يحتلونها بمقدار ما يهتم بوجود الفكر والثقافة والنفوذ السياسي الاقتصادي قبل أي شيء آخر ...

إن في ذلك من دهاء السياسة وخفاء التسلل وسرية الوجود ما يثبت المستعمر ويطيل من عمره في أرض " العقول المغصوبة " و " الثروات المسلوبة " !

إن " الإنجليز الحمر " لا يخرجون من أرض أو يتخلون عن قاعدة إلا بعد أن يطمئنوا إلى نوعية " الإنجليز السمر " الذين سيحلون محلهم وينفذون مخططاتهم

---

(١) من كلمة للمؤلف ألقاها في مجلس النواب الأردني في جلسته المنعقدة في ٦ / ٥ / ١٩٦٧ .

بأسلوب مباشر أو غير مباشر ... وأول مظاهر هذا التنفيذ وأوضح دليل على ذلك الولاء ضرب عقيدة الأمة ، ومطاردة إسلامها .. وليحكم بعد ذلك الشيطان ...

ومن هنا فإننا نلاحظ أن " الإسلاميين " لم يمكّنوا في أرض ولم يحكموا في بقعة من ديار الإسلام ، لأن اللقاء الشرقي الغربي قائم أبداً على " حماية إسرائيل " وضرب " العناصر الإسلامية " التي تدعو إلى اجتثاث إسرائيل كدولة تحتل قلب العالم العربي المنكود .

وعرض نماذج من بلاد الإسلام التي يحكم الإسلام جانباً هامشياً من حياتها على أنها دولة إسلامية أو أنظمة إسلامية أمر لا يغني من الحق شيئاً ولا يغير الواقع المر الذي يعلن " يتم " الإسلام " وغربة " دعاته المشردين .

وإذا قدِّر للإسلاميين أن يحاربوا بعنف وأن يطاردوا بشراسة الكفر ذي الجناحين الهابطين بأمتنا إلى الدرك الأسفل من الضياع والحيرة والفشل ، فإن الشباب الذي ينشد الحق والجيل الذي يبحث عن الطريق مدعو إلى التفكر عبر كل الأحداث المتتالية والوقائع المتعاقبة في الوطن العربي .. والتساؤل عن سر الحيلولة بين الإسلام وبين الحكم في حين بلغ خصومهم من أدعياء التحرر والوطنية والثورية مواقع المسؤولية ؟..

إنه سؤال جدير بكل من يحترم عقله ويجل نفسه عن الغوغائية واللغو أن يطرحه ليتلقى الإجابة المنصفة العادلة .

لو حكم الإسلاميون بما أنزل الله لقدموا النموذج الصالح للنظام الصالح والحاكم العادل والفكر النزيه والخلق العف ، ولقام أمام القلوب والأبصار النموذج

الحي الكريم الذي يعيد إلى الأذهان ورع الصديق وعدالة الفاروق وبطولة الإمام علي وحياء وسخاء عثمان عليهم الرضوان أجمعين ... ولو حكم الإسلام أو أتيح له أن يحكم لفهم الناس حقيقة الدين الذي يجمع بين المختبر والمحراب والآلة والكتاب معرفة مؤمنة وإيماناً لا يعرف الجهالة ...

ومن أجل ذلك .. يحارب الإسلام في شخص دعاته الذين يدعون لاستئناف حياة إسلامية لإنهم لا يكتفون بالترف العقلي والتخمة الفكرية عبر الخطبة والمقال والكتاب ، ولكنهم يقدمون من دمائهم ما يروون به بذرة الفكرة ونبتة الدعوة وحقل العمل الإسلامي المنظم الذي يرفض الغرب والشرق .. واليسار واليمين على حد سواء...

فهل يقدّر للإسلاميين أن يتخطوا الحواجز وأن يكسروا الطوق ، وأن يقتحموا كل السدود من حولهم ليصنعوا الحكومة والدولة ويقيموا المجتمع على أسس من تقوى الله وعدالة الحكم واستقامة السلوك ، لتعرف الدنيا فئة مباركة لا تنهب مال الحكم ولا تعبث بقوت الأمة ولا تنحرف في سلوكها عن جادة الصواب ؟

إن المسلمين في كل ديار الإسلام مدعوون قبل فوات الأوان أن يجمعوا صفوفهم وأن يوحدوا كلمتهم وأن يبحثوا عن العاملين في الحقل الإسلامي ، للسير بالأمة على طريق هداها في تنظيم سليم وتحرك متلاحم قبل أن يستشري الداء ويستفحل البلاء فتقع الفتنة الكبرى التي لا تستثني أحداً من بلائها :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

لقد وصف " دالاس " وزير الخارجية الأميركية الأسبق الدواء لحل القضية الفلسطينية وحدده في وصفتين وضعتا في كثير من البلاد العربية موضع التنفيذ :

الأولى : قتل العقيدة الإسلامية في نفوس أبناء فلسطين وغيرهم من أبناء الإسلام بحيث يرتبطون بالتراب والحجارة والبيَّارة وينسون مسرى الرسول وموطئ أقدام الصحابة ومحاضن جثث الشهداء الأبرار .

والثانية : أن يترك الأمر للزمن حتى يقوم جيل جديد ولد ونشأ في غير فلسطين فتُنسى البيّارة وتهجر الأرض وتستبدل أبنية بأبنية بعد أن تموت العقيدة ويضعف وازع الإيمان ...

واليوم نلمح بل نرى يقيناً أن " السيكلوجية الأميركية " تنفذ المخطط وتأخذ بعين الاعتبار حين تركز على أن القضية في فلسطين قضية أرض وتراب وحقوق في الممتلكات المغصوبة ، دون أن نلمح في الإعلام العربي تركيزاً على " إسلامية " القضية وارتباطها بالإيمان والعقيدة إلا حين تقتضي الظروف بعض الألسنة والأقلام أن تتقيأ الدعوة إلى " إسلامية " القضية في حفلات الويسكي وعلى موائد القمار !..

إن الإسلاميين حتى اليوم لم يحكموا في بقعة من ديارهم بل هم غرباء فيها مشردون من ربوعها ، ومن الظلم أن يناقشوا هم فيما جناه غيرهم من أصحاب النفوذ المتربعين على كراسي الحكم المنتفعين بدفء الكراسي الوثيرة والمراكز المغرية . وليس غريباً أن تُحتل أجزاء من ديار العروبة والإسلام حين يكون الإسلام غائباً عن المعركة مغلوباً على أمره مطارداً من حملة السوط رافعي أعواد المشانق .. ولكن الغريب أن يطلب من الإسلام المكبل أن يعمل ومن الإيمان المهمل السجين أن يصنع المعجزات ،

وكل الذي يملكه أصحابه زنزانة ضيقة وقيد ثقيل وظلمات بعضها فوق بعض من ظلم الطغاة وحقد الحاقدين لا يبددها إلا إيمان الصابرين الثابتين الواثقين من طلوع الفجر مهما طال الليل وادلهمت الظلمات ..

ومع كل ما أشرنا إليه من مغالطات " المنهزمين " فإننا نتساءل في مقارنة موضوعية هادئة :

هل هو الإسلام الذي دعم الهند الوثنية ضد باكستان ؟

أم هو الذي دعم اليونان ضد الشعب التركي ؟

أم هو الذي دعم نيريري لقتل العرب وسفك دمائهم في زنجبار . وهل كان السكوت عليه لأنه حقاً تقدمي يساري والعرب في زنجبار رجعيون عملاء للاستعمار؟.

لقد لقي قتل " لومومبا " من الاهتمام في صحف العرب التحررية يومئذ أكثر بكثير مما لقي إفناء عشرات الآلاف من العرب في زنجبار ، بل إن ذلك لم يحظ بسطر واحد في صحف العرب التقدمية المسعورة !

وأعود لأتساءل .. هل هو الإسلام الذي يقف إلى جانب هيلاسيلاسي " أسد يهوذا الغالب بأمر الله "[1] ضد المجاهدين الأبرار من أبناء أرتيريا والصومال ؟

إننا مدعوون أن نحترم عقولنا وأن نطالب اليسار العربي أن يقف موقفاً حازماً شريفاً — وإن كنا نشك في ذلك — من هيلاسيلاسي ليحدد موقفه من إسرائيل التي جعل الإمبراطور من بلاده قلعة من قلاعها في القارة الأفريقية ، مثلما يعلن

---

(١) اللقب الأصلي لإمبراطور أثيوبيا .

الإسلاميون رأيهم دوماً في بعض الدول دول البلاد الإسلامية التي تتعاون ظلماً وعدواناً مع إسرائيل .. أم إن أديس أبابا رغم دعمها لتل أبيب تظل عاصمة التحرر والإخاء الأفريقي الذي لا يناقش لأن نهاية المطاف لقاء بين ماركس وهيلاسيلاسي في رحاب دولة التواراة والعهد القديم ؟!

أين هي مؤتمرات الكتاب والشعراء والسياسين والفنانين والطلاب والمحامين وغير ذلك مما يحمل شعارات " الأفروآسيوية " ؟

أم أن أثرها ينتهي بانتهاء الخطب التي تقال والقصائد التي تلقى في دوامة الإعلام العربي الذي أسهم في الهزيمة وعمل على غرسها في عقول الناس ومشاعرهم قبل أن تقع ، ثم راح يبرر وجودها ويوطن الأمة على تقبلها في صغار بشع وذل مهين.

إن اليسار في ديار العروبة والإسلام يلتقي مع كل الفئات ويصافح كل الجماعات ، ولكنه لا يلتقي بحال مع الإسلام الحق والدعاة إلى الله ، لأن الخلاف بين الفئتين جذري وقائم على تباين عميق في الرأي والمعتقد ، هذا الخلاف الذي سيضع العالم كله أمام حقيقة لا سبيل إلى إنكارها مهما طال الزمن :

* إيمان يتمثل في الفكر الإسلامي الواعي والعمل الإسلامي المنظم .

* وكفر يتمثل في الفكر الماركسي والعمل الشيوعي المخطط له . وبينهما قوم يتأرجحون ذات اليمين وذات الشمال جهلاً بحقيقة الموقف أو انتظار لمنفعة ينالونها أو فائدة يحققونها بالإنحياز إلى هؤلاء أو هؤلاء ...

وإلا فما بال اليسار يلتقيان في السودان ممثلين في الحزب الشيوعي السوداني وحكومة العساكر في عهد عبود حين يكون الخصم هو الإسلام ممثلاً في دعاته الداعين إلى وضع دستور للبلاد مستمد من أحكام الإسلام ؟

وما بال قوى اليسار واليمين تلتقي في حلف مشترك بباكستان كلما رأى سادة اليسار وسادة اليمين إن الإسلام في طريق الحكم وإن الدستور الإسلامي في طريقه إلى الإقرار ؟

لقد لقيت الجماعة الإسلامية في باكستان كثيراً من كيد القاديانية من اليمنيين وكيد الانفاصليين من اليساريين لأن يمين القاديانية يأتمر بأمر الإنجليز الذين لا يرضون أن يحكم الإسلام في باكستان والقاديانيون يعتبرون جند الإمبراطورية " أولي الأمر " منهم لا يرد لهم حكم ولا يعلن عليهم عصيان .. ويسار الانفصاليين يأتمر بأمر موسكو حيناً وواشنطن حيناً آخر ، وكلاهما لا تضمر للإسلام غير الحقد ولا تكن له غير العداء .

إن الشعوب حين تجتاز فترات التخدير التي تمر بها حيناً بعد حين لا يمكن أن تنسى تآمر اليمين واليسار معاً على الإسلام المفترى عليه الغريب في دياره.. وإذا كان البعض ينسى أحياناً فإن الجميع لا ينسون دائماً وسيذكرون كيف صفقت أحزاب اليسار في إيران لليمين المتآمر يوم سفك دم الداعية الشاب المسلم " نواب صفوي " لأنه أعلن تآمر الحكام القتلة على مصالح البلاد والعباد مع المستعمرين الكفرة وشركات البترول الاحتكارية الأجنبية ..

إن لقاء اليسار الشيوعي في البلاد العربية يتم مع فئات يسارية منحلة مهرجة يرشون لها العلف ويبعثون فيها الحياة ، ثم لا يلبثون أن يسحبوا من تحتها البساط كما وقع في أكثر من فترة وأكثر من مكان في سوريا والعراق وأندونيسيا وباكستان ...

وقد ظلت التكتلات اليسارية على تباين مؤسساتها وتعدد فئاتها في الوطن العربي بين حدة في إبداء الرأي أو تلطف وبين تصريح في إعلان الكفر أو تلميح .. ويعتمد مثل ذلك التصريح أو التلميح على طبيعة الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في بقعة من البقاع التي يعلن فيها الرأي بعنف أو يتسلل .

وفي يقييني بل من البدهيات المسلّم بها في الوطن العربي أن اليسار العربي مسيَّر لا مخيَّر ، يتلقى التعليمات وينفذها وفقاً لما يراه الفكر اليساري العالمي حسب ارتباطه والتزامه خطاً معيناً ووجهة معلومة ...

وليس عجيباً ولا غريباً أن يكون في الوطن العربي يسار أمريكي مزركش يهاجم الإمبريالية ويندد بالإستعمار ، وتكل ألسنة قادته ومفكريه من السباب والشتيمة ضد أمريكا المتآمرة ومخططات المخابرات المركزية ... ومع ذلك تصدر لمثل هذا اليسار صحف تمولها حكومات بينها وبين شركات النفط العالمية علاقة قربى وروابط مودة وصلات أرحام !...

لقد مرت بالوطن العربي فترة كانت سياسة اليسار العالمي فيه ألا يصطدم مع جمهور المسجد أو جماعة المصحف من عباد الله المؤمنين حتى يحسن التسلل إلى المنطقة ، فيضع قدمه على الدرب ويسير الخطوة الأولى في الطريق الطويل ليثبت

"حسن النية " و " عمق الوفاء " و " طهر القصد " ويرد اتهامات المعسكر الإمبريالي إلى نحره ويفوت على الإستعمار الغربي كل ما يحدث الناس به من كفر الشرق الملحد ومطاردته للأفكار والمعتقدات ..

وإذا كان لا بد من الصدام مع جماهير المسجد وعقيدة الأمة فليتم ذلك على يد " الفئات الوطنية " و " الأحزاب اليسارية الشكل " والرجال " الأحرار " باسم محاربة الرجعية ومطاردة عملاء الاستعمار ... فإن نجح " الأحرار " و " التقدميون" و " اليسار الظل " حققوا لليسار العالمي والشيوعية الدولية ما تشاء وهي تقف موقف المتفرج المراقب للأحداث من بعيد فيخلو المكان وتبدأ الخطوات الأولى على الطريق الطويل .. وإن مني " الأحرار والتقدميون " بالفشل لم يسجل اليسار العالمي على نفسه محاولة تصفية الأديان في مهبط الأديان ومحاربة المؤمنين في رحاب منزل الوحي ومنبع الإيمان .

لقد قالها خروتشيف صريحة مدوية وألقاها صفعة في وجوهنا لنتجاهلها صحافة السلطان وأقلام الهوان حين قال في خطاب له في حفل افتتاح السد العالي بأسوان :

" نحن لا نقدم العون من أجل وحدة عربية ... وإنما من أجل المبادئ اللينينية العظيمة ... من أجل وحدة العامل والفلاح في كل مكان ..."

وقد ساعد " الأحرار والتقدميين " على تنفيذ المخطط العالمي والخطة المحكمة إن الأمر لقي لدى " الغرب " هوى ، ووجد في النفس الصليبية المظلمة حقداً كامناً ينفس عنه أن يحل الأذى بأحفاد صلاح الدين ...

وهكذا عاش اليسار العربي مثلما عاش اليمين العربي كذلك متآمرين على الإسلام ومطية ذلولاً للشرق والغرب لتحقيق أهدافه وخدمة نواياه ...

وفي اعتقادي أن في اليسار العربي واليمين العربي كذلك رجالاً حسنت نواياهم وضل سعيهم وانحرفت بهم السبيل ، وهؤلاء وأولئك مدعوون أن يلتقوا على خير هذه الأمة ما بقيت فيهم بقية من خير ، ولينبذوا المتآمرين العملاء من اتباع الشرق المسبحين بحمده واتباع الغرب الذين لا يرون إلهاً سواه ، ذلك إن مثل هذا اللقاء الذي نشير إليه ونراه يمكن أن يقوم على عقل وينهض على خلق ، فيرفض الولاء لغير الله ويأبى المسيرة الضالة في غير الطريق الذي سلكناه أعزة بناة أباة . ومن هنا يوضع حد حازم جاد لهذا الغثاء الزاحف إلى دنيا العرب وديار الإسلام من شعارات تزور الخير وتفتري على الحق وتتنابز بالألقاب .

وقادة اليسار واليمين مسؤولون عن ضياع الجيل لولائهم الدخيل وتبعيتهم الذليلة ، حيث يتلفت الشباب الحائر فلا يرى المثل الصالح الذي يحتذيه نابعاً من ديارة منبثقاً من أمجاده وفخاره .. وإذا جاز للقادة المتاجرين بالشعارات أن يستوردوا من الفكر ما يحسبون أن فيه خلاصنا وهناءنا فإنهم اليوم ملومون إن أصروا على رفع الشعار المستورد والولاء للدولة المصدرة بعدما تكشف زيف الشعارات وتحقق فشل الدعوات الدخيلة التي لا تنبع من ديننا وأصالتنا وأمجادنا ...

لقد ثبت لكل ذي عقل من المنصفين أن الدخيل من الفكر لا يمكن أن يعيش مع الأصالة ، ولا أن يلتقي بالتراث ، لأنه مرفوض مردود عبر التاريخ الأمين والواقع المعذب والنفس الأبية المتمردة على الهوان .

إن القادة والمسيطرين على مواقع النفوذ اليساري واليميني على حد سواء مدعوون لأسباب عقلية وخلقية وإنسانية وحضارية أن يقوموا من جديد بالإطلاع على الفكر الإسلامي السامق والتراث الإسلامي الحضاري ، ليخرجوا من تقوقع أميتهم الفكرية التي ما عرفوا خلالها الإسلام إلا عبر عناوين الكتب المنضدة أو آيات الذكر الحكيم ترتل بلا روح ولا تطبيق في مأتم من المآتم أو خلف جنازة من الجنازات .. هذا إذا لم يلقن معظمهم الشبهات والخرافات والأساطير في مراحل حياته الفتية على أنها الإسلام الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

إن من الثابت في واقع السياسة العربية ودنيا لغوها إن الذين يستوردون الفكر الأجنبي ويرفعون الشعار الدخيل جلّهم ليسو مسلمين ديناً وعقيدة ، فإن كانوا كذلك في سجل المواليد فهم من الذين تربوا في محاضن المناهج الأجنبية وجامعات التبشير وفي طليعتها قلعة التحرر والوطنية والقومية العربية .. الجامعة الأمريكية!!!

لقد آن للعقول أن تتحرر من " موضة " اليسار واليمين وأن تطّلع على الفكر الإسلامي اطلاعها على الفكر المستورد على الأقل ، ليكون الحكم بعد ذلك منصفاً والرأي واعياً والقاضي بالقبول أو الرد متخلقاً بأخلاق العالم المنصف أو المطلع المحقق أو الحكم العادل الذي لا يحابي باطلاً ولا يخضع لبهتان ...

وإذا كان اليسار يرفض كل حل أو رأي ينبع من اليمين المتخاذل ، واليمين يرفض كل أسلوب يصدر عن اليسار المنحرف ، فما على العقلاء من الذين حسنت نواياهم منهم وضل بهم السبيل إلا اللقاء على الحق الذي لا يضل والنور الذي لا ينطفئ والطريق الذي لا يعوج ؛ على الإسلام دون سواه :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢)

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٣)

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٤)

لقد حدثني صديق كان يطلب العلم في لندن أن يهودياً في الجامعة وقف يراهن الطلاب على أن إسرائيل سوف تكسب الحرب إذا وقعت ، فلما انتهت حرب حزيران وسئل عن أسباب ثقته بما يقول قال :

ما دمتم تدعون إلى قومية ... وعروبة ... واشتراكية وغير ذلك فنحن لا نخافكم .. نحن منتصرون .. أما إذا ذكرتم الإسلام فإنا نخافكم ، فإن خضتم المعركة على أساسه كنا خاسرين ..

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٨ من سورة الصف .

(٣) الآية ٨١ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ١٨ من سورة الأنبياء .

لقد حدد اليهودي الذي يعي حقيقة المعركة معالم على الطريق وكأنه يقرأ من كتاب حديث رسول الله ﷺ حيث يقول :

* لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي ، فإن أنتم خرجتم على سنتي سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من صدوركم حتى تعودوا إلى سنتي)).

فهل تصحو الأمة على هذه الحقيقة ؟؟!

فتربي الجيل على القوة ، وتبعث فيه معاني العزة وأحاسيس الكرامة والإيمان بالله والاعتزاز بالتراث .. فتنطلق في :

إيمان لا يعرف الكفران .

وتنظيم لا يعرف الفوضى .

وعلم يمزق ظلمات الجهالة .

وخلق منصف لا يعرف الفجور والتجني .

وعزة لا تعرف الذل والمهانة .

أم نغيب من جديد .. في كارثة جديدة .. ودوّامة من الصراع لا يبقى على سطحها غير شعارات اليمين المتخاذل واليسار المغرور ؟..

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد ...

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس

الإسلام دون سواه

طريق الوحدة والمجد

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

صدق الله العظيم

[الآية ٩٢ من سورة الأنبياء]

قال رسول الله ﷺ :

((مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم ، مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعَى له سائر الجسد بالسَّهرِ والحُمَّى)) .

" متفق عليه "

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس

الإسلام دون سواه

طريق الوحدة والمجد

تساؤلات مُغرضة

يتباكى " المنهزمون " من أحفاد الفكر اليهودي بدموع آبائهم الروحيين من أمثال هيرتزل وكرومر وجلادستون وبلفور حين يتساءلون :

ما لنا وللدعوة إلى الإسلام ؟ .. أو ليست تفرق صف الأمة وتمزق كلمتها وتشتت وحدتها ؟ أو ليست الوحدة على أساس الإسلام معناها إيذاء مشاعر " المسيحيين " والنيل منهم وإذاقتهم صنوف البلاء وألوان العذاب ؟

بهذه النغمة الطائفية البغيضة وهذه التساؤلات المغرضة يفتتح أدعياء مكافحة الطائفية استنكارهم وتبدأ أبواق الوحدة الزائفة المتهالكة معزوفة الحديث عن الوحدة !

ولسنا بالمتنصلين من أن دعوتنا للوحدة تقوم أول ما تقوم على الإسلام بمفهومه الواعي وعقيدته الصحيحة وفكره السليم كما أراده الله للناس كافة ، لا الإسلام الذي تعلمه " المنهزمون " أو أوحي إليهم عبر دوائر الاستخبارات الأجنبية والمدارس التبشيرية وكتب المستشرقين التي تقطر سماً وتفيض حقداً وكراهية ...

ولو كانت " أبواق عدونا " الذين يستنشقون هواء ديار الإسلام ويستظلون سماءها يخضعون الأمور التي يعالجون والشعارات التي يحملون للحوار الفكري الهادف لاستطاعت أمتنا أن تجتث من نفوسهم جهالة الجاهلين أو غرض الموتورين، ولكنهم يقيمون الشعار ويطبقون الرأي بالإرهاب الفكري المسلح حين يثبون على مواقع السلطة بعد استشارة أكثر من جهة اجنبية واعتماد أكثر من سفير !!

ومن هنا يبدو الحديث عن الوحدة التي يزعمون مضحكاً لا يستحق الالتفات ولا يحظى بالتقدير .. ومن هنا ننطلق في حديثنا الهادف عن وحدتنا التي لا نرتضي بغيرها بديلاً ولا نرضى بسواها شعاراً ووسيلة وغاية نتناول فيه أسس الوحدة التي تقوم عليها وحدة الأمة المسلمة ، والأقليات التي تعيش في ديار الإسلام دينية كانت أو قومية ، والدعوات التي ينادى بها في صفوف المسلمين طائفية جاحدة أو شعوبية حاقدة لنخلص في النهاية بأسلوب موضوعي وعرض علمي إلى أن أية وحدة في ديار الإسلام لا تقوم على العقيدة الإسلامية والمفاهيم القرآنية ولا تتخذ من حضارة التوحيد رسالة تحملها للعالم وحدة في بنيتها الداء الذي يمزقها قبل أن تقوم ، والعلة التي تجتثها من الجذور إن كان لها جذور .. ولو تغنت بها كل حناجر المأجورين .. ورددت شعاراتها كل اذاعات المسعورين .

أسسُ الوَحدَة

لقد دعا الإسلام إلى الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال :

الأول :

وحدة الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فانتزع الخلاف الذي يمكن أن يقوم بين أبناء الأمة حول طبيعة الإله ، كالذي قام بين المسيحيين عبر العصور حول طبيعتي الإله البشرية والإلهية كما يزعمون ، فالمسلمون جميعاً لهم إله واحد خالق قادر مالك ، ليس كمثله شيء و " خلقه وعبيده" يستوون أمامه ، لا فضل لأحد منهم على سواه إلا بالتقوى والعلم والعمل الصالح .

والثاني :

وحدة الاتجاه نحو كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم حيثما كانوا من كل أطراف الكون وجوانب المعمورة مما يحقق بينهم وحدة الهدف ويعودهم وحدة التوجه الخالص الذي لا تشتته أهداف جانبية ولا تتنازعه غايات دنيوية تزول ، ما دام الجميع يسعون إلى رب الأرباب ويتجهون إلى بيته العتيق في طهر وصفاء وجهاد دائم لا ينقطع .

والثالث :

وحدة الكتاب الذي يقوم عليه التشريع وتنبع منه الأحكام في مختلف شؤون الحياة التعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية مما

يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة .. وهي من الأسس الهامة التي لا يقوم لأمة بغيرها قائمة ، ذلك أن قيام ثقافات عدة وأفكار متطاحنة في بنية الأمة الواحدة إنما يزرع التفكك والانحلال في صفوفها ويمكن للثقافة الوافدة أن تهيمن وأن تفرض سلطان أصحابها من الغالبين .. ومن هنا كان للأمة المسلمة ثقافة واحدة عبر القرون في عصور الوحدة ، يؤثرون في غيرهم ويتأثرون ، ويأخذون ويعطون بفكر مستنير وعقلية متفتحة تأخذ وتعطي ولكن في حدود شريعة الله وضمن إطار المفاهيم الإسلامية القائمة على وحدانية الله وحاكمية الخالق وأخوة المؤمنين .

والرابع :

وحدة اللغة التي أنزل الله بها القرآن الكريم وحث نبيه الناس على تعلمها والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسلام وتفهم تشريعاته ، وهي الوسيلة الحيوية الفعالة لتوحيد الفكر ونشر الثقافة ، وللإسلام عليها فضل لا ينكره إلا المكابر الكنود ، فقد حفظها القرآن وصانها الإسلام ، ونشرتها بين الأمم دعوة التوحيد حتى صارت اللغة الشريفة واللسان الكريم لكل الأمة الإسلامية على امتداد رقعتها واتساع ديارها ، ولولا مؤامرة الاستعمار الانجليزي في الهند والفرنسي في أفريقيا والهولندي في أندونيسيا لما وجد مع العربية في شبه القارة الهندية والشرق الأقصى ومعظم أفريقيا لغة أخرى تضارعها انتشاراً وتفوقها تمكناً على الألسن وفي النفوس ....

والخامس :

وحدة الآمال والآلام التي تجعل من المسلمين أمة واحدة يحس الواحد منهم بإحساس الآخر في السرّاء والضرّاء ، فوطدها الإسلام على أسس من المفاهيم النيرة

والمشاعر الخيرة التي جعلت الأمة المسلمة عبر عصور الوحدة والازدهار كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وصنعت للعقيدة الواحدة والأمة الواحدة جيشاً واحداً يقاتل في سبيل الله لا تتعدد غاياته ولا تكثر مطامعه كأنه البنيان المرصوص :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1].

ولو استعرضنا مجال الآمال والآلام عبر تاريخنا الطويل لما وجدنا المشاركة الوجدانية الخالصة والوحدة العملية الحقة إلا في مواقع بدر واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وغيرها من مواقع العطاء والبناء تتجه إلى الله وتمد يد الخلاص للإنسان المعذب في كل بقاع الأرض ، تحرك فيه نظرته الخيرة وتستثير فيه انسانيته لعله يعود !

والسادس :

وحدة القيم والمثل والتقاليد والعادات وهو أمر لا سبيل إلى انكاره في أمة توحدت عقيدتها ولسانها وفكرها وثقافتها وآمالها وآلامها .. أن يقوم بينها وحدة في القيم والمثل والتقاليد والعادات . ومن هنا يدرك المطلعون على حياة شعوب الأمة المسلمة كيف ذابت عادات الجاهلية في ديار العرب ، وتلاشت عادات الوثنية في شبه القارة الهندية والملايو واندونيسيا والفلبين وأفريقيا وغيرها بمجرد أن آمنت شعوب

---

(١) الآية ٤ من سورة الصف .

تلك البلاد بالإسلام الذي ينشر بينهم مفاهيم صلة الرحم وحق الجار والحشمة والوقار ونبذ المنكرات وأكل الطيبات ويعلمهم أعراف الأسرة وآداب المعاملات وما إلى ذلك ؛ حتى إنك لا تشعر بغربة أو تنافر حين يضمك جمع من المسلمين الواعين ولو كانوا من أقطار شتى لأن الإسلام وحّد قيمهم وتقاليدهم وفق أحكام القرآن ومفاهيم السنة .

لقد شكا لي من أعرفه : بأنه سافر يوماً إلى بلد أهله مسلمون متدينون فأحس نحوهم بعاطفة طيبة ، ولكنه مع ذلك أحس بغربة بينهم ...

قلت له : طبيعي أن يحس انجليزي بغربة بين هؤلاء المؤمنين !

قال : ويحك ولكني عربي مسلم ؟

قلت : لا تعجل .. ألم تعش فترة من عمرك طويلة في بلاد الإنجليز ؟

قال : بلى .

قلت : ألم تأكل مما يأكلون وتشرب مما يشربون وتلبس مما يلبسون ؟

قال هكذا فرضت علي الحياة ...

ولم أعلق على تبريره ولكني سألته : ألم تحمل الفكر والثقافة التي يحملون؟

قال : بلى .

قلت : وهل تصوم رمضان .. وتؤدي الصلاة ؟

قال : وقد أخذته العزة بالإثم شأن المنهزمين الذين يجادلون : هذه أمور شخصية تقوم على العلاقة بين الفرد وربه !

قلت : فما بقي من إسلامك وقد هجرت دينك وتخليت عن قيمك وصببت نفسك في قالب من عادات الغرب وتقاليدهم ؟؟ وتريد ألا تشعر بغربة بين قوم مؤمنين يقيمون الصلاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ! إن شعورك نحو القوم المسلمين الذين زرتهم بعاطفة طيبة كما ذكرت مرده إلى فطرتك الأصيلة ونشأتك الأولى .. وشعورك بالغربة بينهم مرده إلى الدخيل من العادات المستورد من القيم والتقاليد التي استقرت في نفسك وجرت في دمك وصارت جزءاً من حياتك اليومية وأسلوبك المعاشي الوافد !..

وبعد .. فأية أمة تقوم وحدتها على مثل هذه الدعائم المتينة والأسس الراسخة ولا تكون أمة قائدة رائدة تتسلم زمام القيادة الفكرية والسياسية وتؤدي دوراً حضارياً واضح المعالم في جنبات الكون وفي مجالات الحياة الإنسانية كافة ؟.

ومن الواضح الذي لا يغيب عن القلب البصير والعقل المستنير الدعوة المبثوثة في ثنايا القرآن للمؤمنين باعتبارهم أمة واحدة وجماعة متكاملة متماسكة لا مجموعة من الأفراد لا يربطهم رباط ولا يؤلف بين قلوبهم ميثاق .

إن المتتبع لآيات الخطاب يجدها جميعاً ودون استثناء قد وردت بصيغة الجمع لا المفرد والأمة لا طبقة دون طبقة أو فئة من الناس دون الأخرى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1]

---

(١) الآية ٦ من سورة التحريم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

وهكذا .. يمضي الخطاب في الكتاب على هذا النسق في مخاطبة الأمة لا الأفراد في شتى مجالات النشاط التي تشمل السلوك والعبادة والقيادة ليقرر وحدة الأمة وتماسكها في الهدف والسلوك والعمل .. ومن هنا كان النداء الذي يحرك في المسلمين – لو وعوا كتابهم – كل التطلعات النفسية والخطوات العملية لتحقيق الوحدة التي تحفظ كيانهم وتصون وجودهم وتصنع أمجادهم وترفع مكانتهم بين الناس :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[3]

ومن هنا كان الإصرار والتحديد الذي بينه رب العزة رداً على كل المزاعم والأباطيل بأن أية وحدة لا يضع الرحمن أسسها ولا يبارك خطواتها ولا يوثق رباطها وحدة زائلة لا محالة ، منهارة قبل أن تقوم لها قائمة ولو انفق من أجلها وعلى طريقها المعوج كل ثروات الأرض :

---

(١) الآية ١٨٣ من سورة البقرة .

(٢) الآيتان ١٠ – ١١ من سورة الصف .

(٣) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

ولعل هذا المعنى القويم والمفهوم السليم هو الذي عاد إليه الدكتور طه حسين بعد أن بدأ حياته متمرداً على الدين ليعرف طريقه إلى الشهرة والمجد على صفحات صحف كان يصدرها الغرب في مصر وما زال بحروف عربية مهمتها نشر الفساد والإلحاد .. لعل هذا المفهوم من الوحدة الإسلامية المتينة الذي بينته الآية هو الذي عناه عميد الأدب العربي في كتاب له صدر منذ سنوات قليلة حيث يتحدث حديث مفكر متزن وحكيم مجرب ملَّ الشهرة وسخر من الغرور الذي وقع فيه من بعده أمثال خالد محمد خالد ومصطفى محمود قبل أن يعرفوا الطريق إلى الله :

" وإذا كانت هناك الآن وحدة إسلامية عامة أو شيء يشبه هذه الوحدة فبفضل القرآن وجدت وبفضل القرآن ستبقى مهما تختلف الظروف وتدلهمُّ الخطوب . وإذا كانت هناك وحدة يحاول العرب أن يعودوا إليها ويقيموا عليهم أمرهم في الحياة كما قامت عليها حياتهم القديمة . فالقرآن هو أساس هذه الوحدة الجديدة كما كان أساساً للوحدة القديمة "[2].

أليست هذه الوحدة هي التي قال فيها الرسول صلوات الله عليه :

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الأنفال .

(٢) مرآة الإسلام لطه حسين .

* " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [1] .

أليست هذه الوحدة هي التي أشار إليها النبي الكريم ﷺ في صورة مشرفة لتحمل المسؤولية والمشاركة في البر والتقوى والوقوف في وجه كل ممزق للشمل مفرق للجماعة مدمر لمجهودها الباني وعملها المبرور وسمؤوليتها المتماسكة :

* " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا.. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعاً " [2] .

أليست هذه الوحدة هي التي حركت في المعتصم نخوته وسيرت جيشه بعقيدة المؤمنين ومروءة المجاهدين الذين لا يقبلون لامرأة تدين دين الحق من أبناء الأمة الواحدة ان تذوق الهوان ولو كانت بعيدة عن مستقر الخلافة في أقصى المعمورة ؟

أليست هذه الأسس هي التي قال من منطلقها عمر : لو عثرت بغلة في العراق لكنت مسؤولاً عنها بين يدي الله يوم القيامة ؟

أليست هذه المرتكزات " الوحدوية " الأصيلة هي التي كانت تجمع الأبيض والأسود والأحمر في جيش " عقائدي " واحد قبل أن يبعث " المنهزمون " بمفهوم "العقائد " ويلوث " المضبوعون " كل مبادئ الأرض ؟

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

أليست هذه الوحدة هي التي حققها الجادون الذين لا يعرفون عبثاً .. أولئك الذين استجابوا لقول الله جل وعلا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

ولكي تكون الوحدة هادفة غير هزيلة ، جادة غير عابثة ، ذات رسالة لا ذات تجبر واستعلاء ، تدعو الناس إلى الخير وتقيم علاقاتهم على أسس متينة ، آمرة بالمعروف والعمل المبرور ، ناهية عن المنكر وفاسد المنهج والثمرات فقد جاء قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

ومن آمن بوحدة على غير هذه الأسس من الاعتصام بحبل الله ومن أجل غير هذه الأهداف الداعية إلى الخير والبر والمرحمة تفرقت به السبل واستقر في مهانة وعذاب في الحياتين دنيا وآخرة :

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

ومن الطريف العجيب في دنيا العرب اليوم ، وكل دنيا العرب — حين يتخلون عن الإسلام — طرائف وعجائب ؛ أن يقف فريق من المتنطِّعين الذين يحرفون الكلام عن موضعه ليزعموا أن " العرب " لا " المسلمين " هم المقصودون بقول الله تعالى جلت قدرته :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2].

وهم بذلك يقعون في مغالطات كثيرة بعضها يأخذ بخناق بعض :

للآية تتمة لا بد أن تتلى وتثبت :

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[3] .

فهل أصحاب حرب البسوس وداحس والغبراء ، وحماة ذوات الرايات من البغايا يأمرون وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ؟.. أم هم المؤمنون الصادقون والمجاهدون الأبرار الذين عناهم رب العزة بأمره وأكرمهم بتوجيهه حين يقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[4]

---

(١) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

أليست هذه الآية – وقد تقدمت الآية المشار إليها ببضع آيات – واضحة الدلالة تشير إلى طرازين من الخلق ونموذجين من الناس : الذين كانوا أعداء وهم العرب قبل الإسلام في ظلمات الجاهلية واحتراب القبائل واستعلاء الطغاة ، والذين ألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته أخوانا .. وهم الذين حملوا الإسلام ورفعوا لواءه وجاهدوا في الله حق جهاده ؟

ولكنه بلاء الأمة في " المنهزمين " الذين لا يعرفون من الإسلام إلا " الشبهات " ولا يحسنون من العربية إلا " الرطانة " ولا يؤمنون بعقيدة غير "الضلال" يجادلون في الحق ويرفعون لواء الباطل ويغرقون يوماً بعد يوم في وحل المذلة والعار!..

وإذا كان العرب هم المعنيين بقول الله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فمن بديهي القول والفهم أن المعني به هم حملة الإسلام الداعون إلى الله .. ومع ذلك ينبري الذين لا يؤمنون بالإسلام عقيدة ولا يرتضونه نظاماً فيزعمون أن العرب في ضلالهم هم وحدهم المعنيون بالخطاب .. ألا ساء ما يحكمون !

إن المسلمين في كل أقطار الأرض ليقرون للعرب بحمل رسالة الإسلام ويعترفون لهم بالأستاذية يوم حملوا تلك الرسالة ونشروها في جنبات العالم الفسيح وقدّر الله للدنيا أن تؤمن على أيديهم . بل إن المسلمين اليوم حيثما كانوا ليعجبون كيف يتخلى القادة عن مكانتهم ويتنحّى الرواد عن مواقع الريادة وهم يدعون العرب أن يأخذوا مكانتهم الأولى في القيادة والريادة على أسس من الهدى والعلم واليقين .

ولكن " عرب اليوم " يرفضون أن يكونوا قادة أمة وحملة رسالة ويصرون إلا أن يكونوا ساسة محترفين وحكاماً مرتزقة ، وما على مسلمي العالم إلا أن يقبلوا خاضعين يطرقون عليهم الأبواب ويقبلون الأعتاب تقديراً لحملة الرسالة من الأجداد ولو تخلى عنها الأحفاد وتنكروا لكل معطياتها الحضارية التي أثمرت قيمها في رحاب الإسلام أسمى وأكرم الثمرات !

وبعد ...

فمن بديهي القول والحقائق المسلم بها في دعوة الحق أن الإسلام حرص على كرامة بنيه ودعا إلى عزة الأمة في ظل الإيمان على أسس من اليقين فقال تعالى يثبت المؤمنين ويبكت المنافقين :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

وبمزيد من الربط بين " العزة والإيمان " وبين " النصر والإقبال على الله " يحث الله عباده المؤمنين وجند الحق بقيادة الرسول الأعظم ﷺ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٢) .

ويُعلي الله تبارك وتعالى مكانة المؤمنين ومقام المجاهدين فيهب الثابتين منهم السكينة وعلو المنزلة ، ويربط ذلك كله بالإيمان وحده في وضوح لا لَبْس فيه ولا إبهام :

---

(١) من الآية ٨ من سورة المنافقون .

(٢) الآية ٧ من سورة محمد .

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

ويتحدى ربنا — جل وعلا — كل زعم بالنصر بلا إيمان وكل ادعاء بالعزة بلا جهاد ، ويربط النصر بالله والخذلان بالتخلي عنه إلى " المؤلهات " الحجرية والبشرية والفكرية والمادية ويحث المؤمنين ويدعوهم إلى واسع رحمته وفسيح رحابه:

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

والملاحظ المدقق يقف أمام أمر هام في موضوع الدعوة إلى الوحدة والحث على العزة والمنعة في القرآن الكريم : فهو يحث على القتال في صف واحد وجهة واحدة :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[3] .

وهو يخاطب المؤمنين جماعة لا أفراداً وأمة لا شيعاً :

" يا أيها الذين آمنوا " .

وهو يدعو الأمة في كثير من الآيات في عديد من السور أن تكون أمة رائدة قائدة تمسح عن الإنسانية آلامها وتحقق لها الرخاء والهناء في ظل حضارة التوحيد القائم على الإيمان والعلم ، الداعية إلى البر والمرحمة .

---

(١) الآية ١٣٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٤ من سورة الصف .

ومع ذلك فهو يركز ويوحد آيات الوحدة والقوة والمنعة والعزة في سورة آل عمران ويجعل منها منهاجاً شاملاً متكاملاً للعمل المنظم والطريق القويم الذي يحقق وحدة الأمة ويعلي مكانتها ويصنع لها مجداً سامقاً لا يملك " المنهزمون " بلوغ السفح منه فما بالك بالقمم الشوامخ ؟

فإن قال " المنهزمون " بعد هذا الذي يدمغ باطلهم وما يزعمون :

و " المسيحيون " يا قوم .. ماذا نصنع بهم ولهم بيننا وجود .. فوق أرض واحدة وتحت سماء واحدة ؟؟

الجواب العفوي الأول الذي لا يحتاج إلى عميق تفكر ولا طول تدبر :

ماذا يصنع الصينيون بملايين المسلمين لديهم .. وماذا يصنع الروس .. والهنود ؟

أيصنعون تشاريعهم وفق ما يرى المسلمون ؟ أم يلغون فكرهم الموحد الذي يطبقون حرصاً على عواطف المسلمين وأجيالهم المتعاقبة ؟

إن الفكر الماركسي هو صاحب المقام الأول في الدول الشيوعية .. ولا فكر سواه!

والفكر الرأسمالي هو صاحب المقام الأول في الدول الرأسمالية وغيره مردود مرفوض !

والفكر الهندوسي هو صاحب المقام الأول في دولة الهند ورأسه تأليه البقرة والتطهر بإفرازها ولو رفعت الهند كل رايات الديمقراطية وحملت كل شعارات العلمانية !..

فلم لا يناقش " المنهزمون " هذا التسلط الفكري .. أم أنه تسلط من دول " السادة " فلا يناقشون ليعمق معنى الهزيمة في النفوس ونزداد إغراقاً في مهاوي الضلال ؟..

لماذا يسكت المنهزمون عن إذلال المسلمين تحت كل سماء وفوق كل أرض ويعملون على منع الفكر الإسلامي أن ينتشر والثقافة الإسلامية أن تعمق والوحدة الإسلامية أن تقوم ليسعد في أفيائها المسلمون والمسيحيون على السواء .. بل لتسعد في ظلالها الإنسانية المعذبة وقطعانها المزقة المهدورة ؟!

الإسلام رحمة للعالمين

إننا نعرض الإسلام بوعي كما يفهم من الكتاب والسنة لا كما يعيش في رؤوس المرضى وقلوب الحاقدين .

إن النصارى في الوطن العربي الكبير بلا رياء ولا مجاملة فريقان واضحا الولاء والاتجاه .. فريق معنا ونحن معه ، وفريق علينا ونحن عليه لا يبدل الأمر دجل سياسة ولا مجاملة لقاء :

من يحسون أنهم جزء من الأمة يسهمون في بنائها ، ويرضون لأنفسهم صلاة في كنيسة وترنيمة إنجيل ، ولكنهم يعتزون بالحضارة الإسلامية والمجد الذي شمخت راياته فوق جموع البشر وحشود الخلق عزاً وعطاءً وعلماً ودواءً حيثما كان للإسلام حكم وأينما قامت له دولة .. هؤلاء القوم يقفون مع المسلمين في أفياء الإسلام لا تفرقه بينهم في المعاملة ولا تمييز بينهم في العدل والحق والقضاء .

لقد رعى الإسلام هؤلاء وحدد علاقة المسلمين بهم بقوله جل وعلا :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

فأقام العلاقة بين هؤلاء وبين المسلمين على أسمى ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حد " الإنصاف " إلى آفاق البر والمرحمة .

وهذا الطراز من " النصارى " الذين يربطهم بالمسلمين عهد وميثاق جعلهم الرسول في رعايته وحماه وهو يربي الأمة وينظم صفوفها لتعرف عدوها من صديقها :

* "من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة " [2].

ولقد كان الإسلام باراً بأهل الكتاب داعياً إلى حوار كريم هادف معهم لا يقوم على تعصب مقيت ولا ينبع من تشنج صاخب أو انغلاق صارم ليصل المتحاوران إلى حقيقة تملأ السموات والأرض بنور الله :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

---

(١) الآية ٨ من سورة الممتحنة .

(٢) ذكره الخطيب عن ابن مسعود في الجامع الكبير وسكت عنه .

(٣) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] .

فإن أصر القوم على ما يعتقدون فإن آفاق الإسلام تسع الخلق بالرحمة والإنسانية بالتساهل :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

ويمضي القرآن في توضيح نماذج من أهل الكتاب : الأقرب مودة والأشد عداوة، الأمناء منهم والخونة الغادرين ، لتكون المعاملة قائمة على أساس العلاقة التي يقيمها أولئك والسلوك الذي يرتضون :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٨٢ من سورة المائدة .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

واعترافاً من الإسلام لذوي الفضل بفضلهم يسوق مزيداً من التحديد والتميز للصالحين من أهل الكتاب ليلقوا من المسلمين الرعاية كل الرعاية والبر كل البر :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[2] .

وحتى يقوم بين الفريقين المتعاونين ، أو المسلمين الحاكمين والنصارى المنصفين ثقة وتفاهم أقام الإسلام علاقات اجتماعية تسهم في دعم التفاهم وتزيد من الثقة المتبادلة إذ يبيح للمسلمين طعام أهل الكتاب ويأذن للمسلمين بالزواج من بناتهم :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) الآية ٧٥ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران .

أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1] .

أرأيتم كيف يسمى القرآن طعام أهل الكتاب طيبات ؟ وكيف يدعو إلى التزوج من بناتهم ويحرم اتخاذهن خليلات ليعيش أبناء الأمة في خلق وثقة وبر ومرحمة؟..

وجواب المسلمين حين يتمادى غيرهم في غير عقيدة التوحيد أو يصر مخالفوهم على إنكار نبوة محمد ﷺ يأتي قمة في التسامح والإخاء الإيماني الرفيع القائم على تكريم الأنبياء وتقدير الرسالات السماوية السابقة :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3] .

---

(١) الآية ٥ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٨٤ من سورة آل عمران .

(٣) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

هذا الطراز من " أهل الكتاب " أو " النصارى " أو " الذميين " رعاهم الإسلام وأولادهم من العناية ما لا يخطر على بال إنسان يعيش في حكم لا يدين بدينه لا يسير وفق معتقده !

الإسلام يا " منهزمون " بعد ذلك كله يحمي جنده الكنيسة فلا يهدمها معتدون ، وينظم شؤون من تتباكون عليهم زورا وفق شرائعهم وما يعتقدون .. إذ لهم كتابهم الذي يتلون وكنيستهم التي يؤمون وقضاتهم الذين يحكمون ...

وفي شؤون الزواج والمعيشة والحياة الاجتماعية يحرص الإسلام على أن يترك لأهل الكتاب حرية التصرف والحركة والعيش دون أن يمسوا غيرهم بالأذى أو يصنعوا ما ينشر الفساد ويغري بالتفسخ الخلقي والانحرافات المسلكية ليكونوا بناة لا هدّامين ودعاة للفضيلة لا مفسدين .

أسمعتم حتى في الأساطير وتصورتم حتى في الأوهام حقيقة العدل التي قامت في أفياء الحكم الإسلامي والتشريع القرآني يطبقها صحب محمد صلوات الله عليه ، حين يتناول عمر رضوان الله عليه السوط ويأمر شاباً نصرانياً أن يضرب شاباً مسلماً ظلمه اعتداداً بفتوته واعتماداً على مكانة أبيه الذي قاد الجيش وفتح مصر لأن الإسلام يساوي بين الناس لا يميز بعضهم عن بعض أمام العدل مكانة اجتماعية أو عقيدة دينية ... ولسنا في هذا البحث بالمفصلين لأحكام الإسلام في حكم غير المسلمين فذلك ما حوته كتب كثر وأشرقت به صفحات ، ولكنا نوقد شمعة في ظلمة القلوب الحالكة والعقول المكابرة التي أغلقت أبوابها دون كل ضياء ، واحتضنت كل مستورد من غث الفكر سقيم الرأي هزيل القيم فبات أصحابها من " المنهزمين " يدمغون بقول الله ولا يشعرون :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1] .

ونعود لنكشف الغطاء ونزيح الستار عن فئة من النصارى ظالمة لنفسها متنكرة لوجودها في ديار الإسلام ، ترفض العربية لغة والإسلام حضارة وتسعى آناء الليل وأطراف النهار لهدم الأمة وتمزيق الصف ، لتستبدل الأمة الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فتنشر فسادها باسم الفكر المعاصر ، وتشيع ضلالها باسم التحرر يد منها في الشرق تعب من إلحاده ، ويد أخرى في الغرب تقتات من فساده ، أولئك هم الفاسدون الذين ترفضهم الأمة في رحاب الوحدة الخالصة والصف المتين والبنيان المرصوص ... وأولئك هم الذين قال فيهم رب العزة محدداً موقف الأمة منهم إلا تسكت عن ضلالهم وألا تتيح لهم المجال لمزيد من الهدم والإفساد :

---

(١) الآيات ٧ — ١٢ من سورة البقرة .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] .

أولئك الذين يقيمون على كل مرتفع ديراً غريباً وفوق كل رابية كنيسة دخيلة وفي كل مدينة إرسالية تبشيرية أجنبية تدعمها سفارات أعدائنا وتمولها أموال الصليبية الحاقدة في كل أنحاء المعمورة باسم الإنسانية حيناً وهم وحوش ضارية وباسم الرحمة حيناً آخر وهم أقسى مخلوقات الله على الأرض ، يستبيحون سفك الدم وذبح الأبرياء ومطاردة المؤمنين كلما أتيحت لهم الفرصة وانفسح لهم المجال ...

إنهم هم المعنيون بقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[2] .

وهم الذين تفضحهم الآية الكريمة وتسلط عليهم الأضواء ليتعرى حقدهم وتنكشف كراهيتهم لله ورسوله وللخير والبر والمرحمة :

---

(١) الآية ٩ من سورة الممتحنة .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة آل عمران .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

هؤلاء هم الذين يفضلون نابليون على خالد ، ويرتضون غورو واللنبي على عمر وصلاح الدين ، ويسعَون لدعم كل دخيل وهدم كل أصيل .. إنهم رقعة سوداء في ثوب الأمة الناصع ، ولطخة جحود في جبين الإخاء والصفاء ، وسوسة تنخر الصرح حين يرتفع وتمزق الوحدة حين تقوم ...

لعلك أدركت من أعني .. الدخلاء الذين ليسوا من غسان ولا عدنان بل من أحفاد ريكاردوس وجودفري وشارلمان !

وحتى يضع الإسلام المسلمين أمام حقيقة ناصعة ويواجههم بواقع ثبتت أسسه وقامت دعائمه على الحق الذي لا يتهاوى ولا ينهدم يتنزل على قلب الرسول الأمين :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]

وأمام مشيئة الله وقدرة الخالق يقف الإنسان الذي يتعجل الأمور فيلقى في الكتاب قول الله :

---

(١) الآية ١٠٩ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(١)

ويقف المرء في رضى وطمأنينة في أفياء ألوية الرحمة ورايات المحبة بين الناس وهو يطالع أهداف رسالة النبي الكريم والإسلام العظيم :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٢)

ويسري من أفئدة المرضى ونفوس " المنهزمين " تساؤلات هزيلة متهافتة ...

وما لكم تسمون " المسيحيين " : نصارى ؟ وأهل الكتاب ؟ وذميين ؟

أليس في هذا معنى من معاني المهانة وأسلوب من أساليب الإذلال ؟

ويرد الإسلام عليهم في غير عوج ولا ضلالة :

لقد سماهم الإسلام يا " منهزمون " بأسماء لها مدلولات فكرية نيِّرة لا تقوم على خلط ولا مجاملة ...

فهم نصارى .. نسبة إلى " الناصرة " بلد السيد المسيح ، أو نسبة إلى النصرة التي يمثلها التفاف الحواريين حول النبي المعلم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ

---

(١) الآية ٩٩ من سورة يونس .

(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[1]

وهم " ذميون " من الذمة والعهد حيث يقوم بينهم وبين المسلمين عهد وذمة ووفاء لا يؤذونهم ولا يسيئون إليهم ، بل يؤازرونهم ويقدمون لهم الحماية والرعاية والعون في المال والعرض والدم ، بل إن العلاقة في ظل الإسلام ترتفع بين " المسلمين " وبين " الذميين " إلى أسمى ما عرفت الإنسانية من علاقات بين حملة الدين الحاكم وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى حتى تبلغ درجة البر كما أسلفنا وتلك –لعمري– أسمى الرتب وأرفع الدرجات ...

وهم " أهل كتاب " اعترافاً بدينهم وتقديراً لنبيهم إلى حد ينفي الإيمان عن المؤمنين أي إنكار لرسالة المسيح وأي امتهان لكتابه .. كلمة طاهرة لله وروحاً قدساً منه سبحانه :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] .

---

(١) الآية ١٤ من سورة الصف .

(٢) الآيات ٤٥ – ٤٧ من سورة آل عمران .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] .

هذا هو الإسلام الذي تُجمع عليه الأمة :

ديناً :

يدعو إلى التوحيد ، عقيدة وسياسة وهدفاً وطريق حياة .

لا يذل لغير الله من يدين به ، ولا يرضى بغير حكمه ولا يقبل بغير سبيله شرعة ومنهاجاً .

وثقافة وفكراً :

قامت في أفيائه المستشفيات وشمخت في رحابه الجامعات والتقى عنده العالم الفقيه العالم في جنبات المختبر وظلال المحراب يوم كانت أوروبا وشعوبها ترتدي جلود الحيوانات وتقتات جذور الشجر ويعالج مرضاها بالرقى والتعاويذ .

ولغة :

فيها من جمال اللفظ وجلال المعنى وسعة الاستيعاب ما أهلها لأن تكون لغة عقيدة وعلم وحضارة على مدى قرون وأجيال ، أثرت في كثير من اللغات الحضارية

---

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

وتأثرت بها في غير جمود ولا تزمت وإنما في عذوبة وقوة ومتانة وإشراق ، حفظها القرآن من الضياع وحملها الإسلام وحملته لتكون إحدى لغات الأرض العامرة بالعمران المضيئة بالمعرفة .

وتاريخاً :

مشرقاً حمل للدنيا الكتاب والمعرفة والبر والمرحمة قبل السيف الذي اتخذ وسيلة لمنع ظلم الظالم وتمادي الجهول ، وكانت بدر واليرموك والقادسية وكانت حطين وعين جالوت .. ومعها صنوف من البطولات ونماذج من الرايات تبذر الخير وتزرع الإحسان لتقطف الإنسانية أسمى ما عرف الإنسان من العلاقات الكريمة وأرفع ما بلغه العقل البشري من معرفة .

حديث أقليّات .. وشعوبية !

فمن هم " النصارى " الذين يتباكى عليهم " المنهزمون " ويحزن عليهم " المضبوعون " فصلاً من مهزلة ومشهداً من مؤامرة وتجديداً لعداوات القرامطة وضلالات المزدكية وأحقاد اليهودية الرعناء والصليبية العمياء في ثياب جديدة من التحرر والتقدمية والتجديد والفكر المعاصر ؟!

في ظل ما أشرنا إليه من مفاهيم إسلامية ونظم قرآنية وروح إنسانية دعا إليها دين الحق نتناول بالبحث والدراسة والتمحيص موضوع " النصارى " في الوطن العربي والأقليات النصرانية .. وواضح لذي اللب والبصيرة أن موقف الإسلام من

نصارى الغرب موقف يختلف ما احتل أولئك أرضاً مسلمة وسفكوا دماً طاهراً وتآمروا على كيان الأمة في ظلام .. واليهود الذين يدنسون أرضنا ويمرغون عرضنا في وحل العار قوم معتدون ظالمون كافرون ، ليس بيننا وبينهم إلا الحرب ، ولا يصفّي العلاقة بيننا وبينهم إلا نصر من عند الله يصنعه المؤمنون ليعود اليهود مواطنين مسالمين في ديار الإسلام ليس لهم دولة ولا سلطان ، لنقول بملء أفواهنا لمن أراد العيش منهم معنا بعد ذلك : لكم ما لنا من عدل وإنصاف ومرحمة !

في مصر :

عدد من أقباط مصر ورجال الفكر فيها يحتلون بين قومهم مكانة الصدارة في الدين والعلم والسياسة والاقتصاد ، يعلنون على الملأ في أكثر من بحث وأكثر من كتاب وأكثر من محاضرة أن الحضارة القبطية والعنصر القبطي لا تربطهما بالعرب والعروبة رابطة ، ويدعون إلى العودة إلى التراث المصري القديم لغة وحضارة ، وينادون باتخاذ أسيوط — همساً — عاصمة لهم ، لأن العرب قوم محتلون دخلوا مصر كغيرهم من الغزاة وأثروا في أهل مصر ما يؤثره الشعب الغالب في الشعب المغلوب .. وعليه فلا بد من قيام حركة تحرير شامل تخلص الأقباط من لغة القرآن وتعيد إلى مصر حضارة غير التي حملها المسلمون ونشر راياتها المجاهدون ...

ونحن لا نسوق هذا الكلام شائعة تقال أو حديثاً تتناقله الألسن فحسب ، بل إننا نلمس روح ذلك يسري في كتب سلاّمة موسى ومقالات لويس عوض وغيرهم من الذين لا يهمهم من العرب والعروبة شيء إلا بمقدار ما يحارب العرب الإسلام ، وفي حدود مفهوم العروبة العلمانية التي لا تؤمن بالله واليوم الآخر ولا تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر .

إن كاتباً قبطياً كسلاّمة موسى يأسف لكل قطرة دم تسري في عرق مصري تسللت إليه من العرب أو الشرق أو المسلمين عبر الفتح والغزوات كما يقول ، ويشير إلى أن المصريين غربيون لا شرقيون وهم أقرب في أصالتهم إلى " الأوروبية " منهم إلى "العربية " ويدعو إلى العودة لمثل ذلك الأصل ونبذ ما عداه من الآراء فيقول :

" فقد عشنا نحو ألف سنة ونحن جزء من الدولة الرومانية . ثم نحن في هيئة الوجوه أوربيون . والشعب الأول الذي سكن مصر لا يختلف البتة عن الشعب الذي كان يسكن أوروبا قبل ٤٠٠٠ سنة "[١] .

ولكي يكون القس الفرعوني وفياً لسادته الإنجليز مضى يبشر بدعوة القاضي الإنجليزي ولور[٢] والمهندس الإنجليزي وليم ولكوكس[٣] وكلاهما عمل في مصر ودعا إلى هجر الفصحى ونبذ العربية وإحلال العامية والحروف اللاتينية محلها حيث يقول : " لنا من العرب ألفاظهم فقط ، ولا أقول لغتهم بل لا أقول كل ألفاظهم ، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية ، وهي لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن " وحتى يجرد القلم الجاحد والفكر الحاقد مصر العربية المسلمة من كل آصرة تربطها بالقرآن يعلن أن " حقيقة الأزهر جامعة أوربية أسسها رجل أوروبي هو جوهر الصقلي " وهو بذلك يتناسى عقيدة الإسلام في قلب جوهر ودور الأزهر في حفظ اللغة العربية وآدابها وحمل

---

(١) كل ما نورده هنا عن سلاّمة موسى ورد في كتابه " اليوم والغد " .

(٢) قاض انجليزي عمل في مصر وأصدر كتاباً له بعنوان : The spoken Arabic of Egypt .

(٣) مهندس انجليزي عمل في مصر ودعا إلى نبذ العربية في مقال له عام ١٩٢٦ وكان من أتباعه المؤيدين له الكاتب القبطي سلامة موسى .

الإسلام ورسالته ، تلك التي يطالب سلامة موسى بإلغاء وجودها من حياة المصريين وتاريخهم :

" ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان ، ولا بأس من أن نعتمد على الترجمة إلى حد بعيد حتى يتمصَّر العلم وتتمصَّر ألفاظه وعندئذ نسير فيه بالتأليف ".

وسلاّمة موسى حين يدعو إلى " ثقافة أبعد ما تكون عن الأديان " لا يعني بذلك غير الإسلام لما يعرفه من شمول نظام الإسلام في علاج مشكلات الحياة واقتصار المسيحية على الطقوس والصلوات ، ولما يعلمه من تصفية الحساب مع الكنيسة في أوروبا المتحررة التي يدعو للسير على طريقها والأخذ بكل ما يرد منها من رأي ومنهاج ..

ولعل قائلاً يقول بعد هذا : إن ما نثيره اليوم قد فات أوانه ودال زمانه . والحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها أو التغاضي عنها هي أن كل دعوة للعروبة في مصر أمس أو اليوم أو في غد لا تقوم على أساس إسلامي ولا تنطلق من منطلق قرآني هي امتداد للروح الشعوبي الحاقد والفكر الفرعوني الجاحد الذي ظل سلاّمة موسى وما زال تلامذته من بعده يبثونه لتمزيق الأمة وهدم الأجيال ولو تبدلت الأعوام .. واختلفت الأسماء .. وتعددت الصور والأشكال !..

إن قضية العروبة والإسلام في مصر تحسمها كلمة عفوية تصدر عن " ابن البلد " الساذج حيثما تواجد على أرض مصر بقولها دون زيف ولا تنطُّع ولا غرابة وهو يحدثك حديث القلب للقلب : " يا رجل ده إحنا عرب موحدين بالله ، مش جماعة خواجات ! ".

ألا ترى أنه بفطرته وطبيعة حياته وأصالة مشاعره لا يفرق بين " العربية " و " الإسلامية " كما يفرق المنهزمون ، ويصر على أن كل عربي لا بد أن يكون مؤمناً موحداً بالله وأن ما عدا هذا الطراز من الناس " خواجات " لا يربطهم بالأمة رابطة ولا يشدهم إلى كيان الأمة آصرة أو وثاق ؟!

لقد جرت محاولات شتى لطمس إيمان هذا المواطن المسلم الصادق في أرض الكنانة — والوطن العربي كله — وقامت دراسات وتجارب وألفت كتب وأخرجت أفلام لتحول بين هذا الإنسان وبين عقيدته وتراثه وتمحو من مواطن تفكيره كل ما يشده إلى معالم الإيمان وآيات القرآن ، فحدّثوه عن ماركس ، وعلموه تاريخ لينين ، وفصّلوا في ذكر جيفارا ونهرو وتاغور ، وعرضوا عليه صور تيتو لومومبا ، وأغرقوه بكتب الفكر المنحل والجنس المدمر .. وكل ما تنتجه العقول الأمريكية من نظريات تربوية وأفلام سينمائية — ومع ذلك بقي في عقله وميض الحق ، وفي قلبه شعلة الهدى ، وعلى لسانه كلمة التوحيد ، مما أذهل المخططين وصعق له المنفذين من المعسكرين على السواء !

إنها الأصالة الحضارية التي تسري حيثما ترددت " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .. تهدأ إلى حين ولكن لتقوم من جديد أشد ما تكون قوة وأروع ما تكون عطاء وأمضى ما تكون عزيمة :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1] .

ثم إننا بعد ذلك نسأل :

---

(١) الآية ٨ من سورة الصف .

من ذا الذي ينكر الدور الطليعي الذي يمكن لمصر أن تقوم بـه في قيـادة الأمـة المسلمة نحـو القـوة والمنعـة والازدهـار حـين تتخـذ مـن الإسـلام سـبيلاً إلى النهـضة والتحرر وطريقاً يفضي بها إلى صروح المجد ؟

ألم يكن دور مصر طليعياً كلما تمسكت بالإسلام وحملت رايتـه ودعـت إليـه عبر القرون منذ الفتح الإسلامي الظافر ؟

ألم يكن للأزهر دور كبير صان به العربية لساناً ، وذبّ عن حيـاض الإسـلام عقيدة ، وغرس في كل بلد عقلاً وعلى كل رابية منارة خير وحق وعرفان ؟

ألم يكن " لمصر الإسلام " دور كبير في حرب أعداء الله ومطاردة فلول الـضلال ودحر جحافل الشرك وجيوش الطامعين صليبية كانت أم تترية .. وعلى رأس جـيش الظفر فيها قائد مسلم فذ لا يربطه بالعربية إلا رابطة الإيمـان والقـرآن ولا يـشده إلى "العرب " إلا آصرة التوحيد : وكان صلاح الدين في حطين .. وقطز في عين جالوت ! !

ولكنهم " المنهزمون " يفهمون غير هذا الفهم ويلتقون على رأيين متناقـضين ينبعان من نبع ضلال واحد : أن تحرم الأمة من إمكانيات الإسلام الكامنة فيها ومـن طاقات الإيمان الداعية إلى الوحدة الحقة سبيلاً إلى الخلاص وطريقـاً إلى حيـاة كريمـة ومجد سامق .

إن فريقاً من " المنهزمين " ينكر دور مصر في قيادة الأمـة المـسلمة مستـشهداً بما تعانيه عبر العصور من ضعف ومذلة حين تتخلى عن إسلامها ، وفريقاً آخر من " المنهزمين " يطالب لهـا بـدور القيـادة والريـادة زوراً وبهتانـاً ولـو غرقـت في دوامـة الضلال وحارت في تيه الضياع ، وما درى " المنهزمون " من هـؤلاء وهـؤلاء أن العـزة والإيمان في أمة الإسلام توأمان ، وأن المجد والقرآن في المسلمين — ومصر من طلائعهم

الخيرة – صنوان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فمن أراد العزة بغير الله أذلـه الله ، ومن أراد الرفعة بغير الإيمان كان من الخاسرين .

هـذه حقيقـة تاريخيـة مـسلَّم بهـا في حيـاة أمتنـا في كـل عـصور وجودهـا لا يرفضها إلا جاهل أو موتور : لم ينتصر المسلمون يوماً بغـير الإسـلام ولم ينهزمـوا في معركة إلا وكان بينهم وبـين الإسـلام فرقـة أو جفـاء .. فمـا بـال " المنهـزمين " مـن "أحفاد الفكر اليهودي الحاقد " لا يعون ولا يسمعون ؟

وفي لبنان :

ينادي " بعض " الموارنة بمثل ما نادى به " بعض " أقباط مصر مـن التخلـي عن العروبة لغـة ورابطـة ، ويـدعو إلى الأخـذ بكـل مـا للبنـان مـن تـاريخ لا يربطـه بالعروبة حرف ولا يشده إلى العربية تراث أو وجدان ...

ألا ترى أن " سعيد عقل " في ديوانه يارا **Yara** المنظوم بالعاميـة اللبنانيـة المكتوب بـأحرف لاتينيـة أسـهم الـشاعر – الـذي لـه في لبنـان مدرسـة ومكـان – في تطويرها إنما يعلن أن قضية العروبة بالمفهوم الذي يدعو له القوميـون علـى اخـتلاف نزعاتهم قضية غير مسلم بها ولا معترف بعلاقاتها وشعاراتها التي يرفعون ؟

والحركة التي تخرج مكة والمدينة والقاهرة والجزائر والشمال الأفريقي كلـه من نطاق دعوتهـا وخارطـة وطنهـا وتحـصر وجودهـا في " الهـلال الخـصيب ونجمـة قبرص " .. أليست حركة تضع علامات استفهام أمام " العروبة " الـتي بهـا يطـالبون إن لم تكن دعـوة مرفوضـة في عـرف هـؤلاء ، باطلـة في قاموسـهم الـسياسي والقـومي الاجتماعي على حد سواء ؟

والأحزاب السياسية التي تتناحر على المقاعد النيابية وتختلف على المكاسب الشخصية .. ما بال بعضها يلتقي على عاطفة موحدة وشعور لا يتبدل نحو " أمنا فرنسا[1] " التي يحبون ويعشقون ؟

وفي العراق :

منذ متى وبغداد تسمي " الآشوريين " فيها عربا وتعترف " لتل كيف " بنسل من قحطان وعدنان ؟

وأي روح قومي هذا الذي يعيد العراق إلى آشور وبابل ويحيي في العراق حضارة لا نقول بطمسها ولكن لا نرضى بها أن تحل محل حضارة " البصرة " و "الكوفة " وأمجاد " بغداد " و " سامراء " !.

لقد وضع الإسلام في العراق المعاصر على مختلف عهوده وأنظمة الحكم فيه في مكان لم يؤد فيه دوره ولم يسهم بما ينبغي له أن يسهم فيه من بناء وعطاء .. ذلك أن بعض العهود اعتبرته شعارات وعناوين تصلح للاحتفال في ذكريات المولد والهجرة والاسراء والمعراج ، وبعضها الآخر عده مدعاة تخلف وعنوان رجعية يبذل هؤلاء أو أولئك جهداً ومحاولة جادة توحد صف الشعب العراقي بالإسلام لتذيب تناقضات العرق والجنس والاستعلاء . ويقيني أن الشعب الكردي الباسل .. ما كان ليرفض أن يعد جزءاً من شعب مؤمن وأمة مسلمة يتولى القيادة فيها الصالحون ويحتل الصدارة في صفها الأبرار لو لم يجابه بقومية لا دينية باغية وشعوبية ظالمة جائرة ، ولّدت في أحضانها — عند بعض الأكراد — شعوبية جديدة ترفض العروبة والإسلام على حد سواء تارة باسم الانفصال وطوراً باسم التحرر وثالثة باسم الماركسية !.

---

(١) رمز لولاء بعض العاملين في حقل السياسة للغرب .

وفي السودان :

لقد كان النصارى في جنوب السودان واضحين صرحاء مع الناس ومع أنفسهم، فما فتئوا يعلنون رأيهم منذ استقل السودان يطالبون فيه بحكم مستقل لا عروبة فيه ولا إسلام لأن الأصالة عندهم هي القومية الزنجية **Africano** .

والحق عندهم والحضارة ما يمليه عليهم المبشرون والمستعمرون بكل ما أوتي هؤلاء وأولئك من تخطيط خبيث ومال وافر وامكانات أدت إلى إعلان العصيان المسلح والدعوة إلى الهدم والتمزق والانفصال في السودان العربي المؤمن الكريم .

إننا حين نبين هذا ونعلنه لا نسوقه في معرض التجريح والنيل من أحد ، ولكنا نسوقه حقيقة يعلنها أصحابها وبها يباهون ، ويتبناها ذوو العلاقة بالتكتلات السياسية والأهداف القومية والشعارات الوطنية في مواطن شتى من الوطن العربي وعلى أي أساس يرى أصحابها أن تكون .. وما عدا ذلك من مجاملات وتضليل أقنعة زائفة تصلح أن تكون على " مسرح السياسة العربية " لا في معترك بناء الأمم ومجال تحرر الشعوب ووحدتها في وجه عدو لا يرحم ومؤامرة أولى أهدافها : هدم دين وقتل أمة وطمس معالم حضارة !..

إننا نتساءل في دهشة وذهول ...

أهذا هو الطراز العجيب من " الأقليات " التي يطالب " المنهزمون " ملايين المسلمين أن يهجروا الإيمان من أجلهم ويتخلّوا عن الإسلام حتى يرضوا غير عابئين بتراث أصيل أو مكترثين بما يمكن أن يصيب الأمة من خسران ؟

ثم هذا الإصرار على ترك الدين وهجر الإسلام حرصاً على عواطف " الأقليات " ألا يشكل خطراً أشد ويمكّن لفرقة أعمق بين أبناء الأمة الواحدة وفيها الكردي في العراق والتركي في سورية والبربري في المغرب الكبير ..

ألا يرى " المنهزمون " أن هؤلاء لا يمكن لهم أن يلتقوا على عروبة بلا إسلام.. وقومية بلا قرآن وهم من هم إيماناً وتاريخاً وبناء وعطاء في أوسع مجالات البناء والعطاء الحضارية النيرة ؟

أم أن الحل الساذج عند " المنهزمين " أن يعتبروا كل أولئك أقليات تذوب في أنظمة العروبة الجديدة والقومية العلمانية ولو حاربت الإيمان وتنكرت للقرآن .. ليقود ميشيل جموع المجاهدين في المغرب ويسير أنطون على رأس المحررين لفلسطين؟!

ترى ...

أنسمي " الأكراد " في ديار العروبة أقلية وهم يشكلون نسبة أعلى من نسبة النصارى في كل بقاع الوطن العربي كله .. ونسمي الآشوريين مواطنين عرباً من حماة القومية وهم لا يرضون بذلك أو يقبلون ؟

أنسمي " الأكراد " في ديار العروبة أقلية وفيهم صلاح الدين .. ومن الطبيعي أن يلتحموا في صف الأمة التي هم بعضها لو قامت بدل " القومية " الملحدة و "العروبة " العلمانية دعوة إسلامية تتيح للعربي والكردي أن يكون رئيس دولة ما دام يحمل شعار التوحيد ويعمل على وضع ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] موضع التنفيذ ؟.

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات .

إن تصديع الصف بالقومية وتفتيت الأمة بالإلحاد كان من دواعي قيام حركة الانفصال في العراق ، حتى بات الكردي يرى — حين تتخلى الأمة عن دعوة الإسلام وشرع القرآن — أنه صاحب حق قومي ومنطلق عصبي يقوم على عرقه ولغته ما دامت العروبة تستثني الدين من مقومات الوحدة وترفض الإسلام فكراً وثقافة وحضارة !.

نعم إن الإسلام الذي أولى صلاح الدين قيادة الأمة ليسير بها في طريق الوحدة والمجد .. هو الإسلام الذي ما زال ينتظر القلب المؤمن والساعد القوي والعزيمة التي لا تخور ، فتتقدم الصفوف وتحتل الصدارة من أجل وحدة الأمة وعزة المؤمنين ، لا يسأل عن صانع المجد ورافع الراية إلى أي عرق ينتمي ما دام يحمل الإسلام في جنانه والعربية على لسانه ..

أليس من مهازل الفكر العربي المعاصر — حين يتجرد عن الإسلام ويلغ في سوء الفكر اليهودي الحاقد — أن نسمي " البربر " في المغرب الكبير أقلية غير عربية وعددهم في المغرب أكثر بكل تأكيد من كل النصارى في الوطن العربي الذي مزقته القومية العلمانية الحاقدة ؟

أنسمِّي هؤلاء الأبطال أقلية ونفرض عليهم عروبة بلا إسلام وقومية بلا إيمان تقوم على شعارات دخيلة وأفكار مستوردة ، وليس في المغرب كله من يصدق أن في الدنيا عرباً يدينون غير الإسلام ويؤمنون بغير التوحيد .

أنسمي " البربر " أقلية ودماؤهم الزكية وسواعدهم القوية أسهمت في معارك الجهاد الحق لتحرير المغرب كله من احتلال الغاصبين جميعاً إيطاليين كانوا ام فرنسيين أم اسبانيين .. أنسميهم أقلية من أجل مبادئ وضع بذورها في المشرق العربي " مشيل ، وانطون ، وقسطنطين " ؟

أنسمي " البربر " أقلية باسم القومية العلمانية وفيهم طارق بن زياد حرصاً على دعوة ينشرها بيننا أحفاد شارل مارتل واللنبي وجودفري ؟!

أنسمي الأتراك أقلية غريبة وهم الذين تجمعنا بهم وحدة الدين والتاريخ واللغة والعادات والتقاليد قبل أن تفسد الماسونية الدولة العثمانية ، ويشيع المستعمرون روح الطورانية ، ويحملوا بعض حكام الأتراك على تتريك اللغة وهجر القرآن ويحركوا من أطراف الدولة دعوات الإقليمية الضيقة والقومية المتنكرة للتوحيد والتراث ؟..

إننا لا نزعم ذلك زعماً ولكن التاريخ ينحني إجلالاً للمملوك الذي قاد الأمة كلها في معركة الشرف والمجد أمام جحافل التتار الرهيبة في عين جالوت .. أم أن "محمود قطز " كان قومياً عربياً تقدمياً اشتراكياً في الدويلات الممزقة التي وحدها بالإيمان وجاهد بجموعها في سبيل الله وتحت راية القرآن ؟..

ألا يرى هؤلاء " المنهزمون " استحالة جمع الكردي والعربي والبربري والتركي تحت راية العروبة العلمانية والقومية المتآكلة حيث يتخلى دعاة الوحدة عن إيمان الأمة وإسلامها ، ويسخرون من تراثها وفكرها ويقبلون على فكر مسمم وتراث دخيل ؟!

أم أنهم يزعمون أن الدولة العربية الموعودة والوحدة العربية المنشودة كفيلة بقهر هؤلاء جميعاً واذابتهم في بوتقة العروبة الجاحدة التي تناست فضل الإسلام عليها وتنكرت لدور القرآن في حفظها من الضياع ؟!

إن الإسلام قبل ذلك وبعده كفيل بجمع كل أولئك في تلاحم أصيل ووحدة متينة ، تقوم على الإخاء الصادق والعدل الخالص والتعاون على البر والتقوى في ظل المفاهيم القرآنية والأحكام الشرعية التي تأمر القائد بالعدل والأمة بالطاعة ، وتضع أولئك جميعاً تحت راية الشورى التي لا يعرف الاستبداد إليها طريقاً ولا يتخذها وسيلة استغلال :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1] و ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[2]

ألا يكفي خلو الجزيرة العربية كلها – من غير المسلمين – نجداً وحجازاً وسهولاً ووديانا وسواحل وهضابا من غير المسلمين ، ومثلها الشمال الأفريقي كله ، ومثلهما الخليج العربي ؛ مما يشكل قوة بشرية هائلة وبقعة جغرافية مترامية الأطراف لنشر الدعوة الإسلامية الحقة فيها والعمل على وضع التشريع الإسلامي موضع التطبيق دون تحرك طائفي من الداخل أو تذرع بوجود الأقليات المزعومة المدعومة .. أم أن أبناء الإسلام في الجزيرة والمغرب العربي الكبير مكلفون أن يستشيروا في وحدتهم وتحررهم وتطلعاتهم المشرقة المؤمنة رائداً كميشيل .. وقائداً كأنطون ؟!

ومن العجيب الغريب أن اليسار العربي الذي يتباكى على المسيحية والمسيحيين عند تطبيق الإسلام ، ويرفض حكمه حرصاً على مشاعرهم كما يزعمون ، هذا اليسار بحكم منطلقه الماركسي وعقيدته اللينينية لا يؤمن بالمسيح ولا يصدق برسالته !

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة الشورى .

(٢) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

والأعجب من ذلك والأغرب .. أن يقف دعاة الأممية من الشيوعيين وهم لا يعترفون بحدود وطن فيتنادون ويتداعون للوحدة العربية على أساس عرقي قومي في دوامة المزايدات على الوحدة المنشودة ، وسيدهم يعلن على ضفاف النيل عند مشارف السد العالي في حفل افتتاحه :

" إننا نقدم المعونة لمصر وغيرها ليس من أجل وحدة عربية ، وإنما من أجل وحدة العامل والفلاح في كل مكان "[1] .

ومع ذلك فالغاية تبرر الواسطة .. والأممية والماركسية يمكن السكوت عنهما إلى حين ما دامت البضاعة المطروحة في السوق التي يروج لها سماسرة الشعارات تتناول القومية والوحدة العربية .

غشاوة إلى زوال

أي منطق سليم إذن في ثنايا دعوة المتباكين على الوحدة بلا إسلام والمجد بلا عقيدة حين يطالبون الملايين المتطلعة للوحدة الباحثة عن الخلاص أن تلغي عقيدتها الأصيلة وفكرها النير وأهدافها الواضحة ورسالتها الإنسانية السامية ، لتتبنى بدل ذلك كله عقيدة مصنوعة وفكراً مرقعاً وأهدافاً سرابية غائمة ، لترضى عن وحدتنا — كما يتوهمون — أقلياتٌ مبعثرة على الأرض ، وشعوبية متمكنة في النفوس ، فتحقق بذلك غضب الله وغضب الأمة وغضب الأجيال ؟

---

(١) من خطاب خروتشيف في افتتاح مشروع السد العالي بمصر .

إن غضب الله والأمة والأجيال لا يساوي شيئاً حين يقيسه " المنهزمون " بغضب السادة الضامنين لكراسي الحكم الحامين لزمام القيادة الفكرية العمياء والزعامة السياسة المرتزقة ؟

أي دعوة واعية تكمن خلف دعوة الذين يقيمون صرح الوحدة على رمال الرياء السياسي والنفاق الاجتماعي عبر مجاملات لقاء فارغة في صالات القمار وليالي الخمر ودهاليز السفارات الأجنبية شرقية كانت أم غربية ؟

أية أصالة هذه التي يطالب بها أبواق الغرب الجاحد والشرق الحاقد أن تتخلى أمة العقيدة الواحدة عن عقيدتها ، وأن تهجر أمة الفكر الواحد فكرها ، وأن تسخر أمة الحضارة السامقة من حضارتها ، إلى عقيدة زائفة ، وفكر مستورد وحضارة تحمل في بنيتها كل أسباب التخلف والانهيار ؟

أية مصلحة هذه التي تحقق هدم العقيدة الواحدة والفكر الواحد واللغة الواحدة والثقافة الواحدة والتاريخ الواحد المشترك بدعوى وجود أقلية لا يزيد عددها عن خمسة في كل مئة من سكان الوطن العربي الكبير على أعلى تقدير ، حتى يقوم بدل ذلك كله شعب مشتت وأمة ممزقة وأحزاب متناحرة يرجم بعضها بعضاً ببقع من الوحل والدم والعار الأسود !

أيمكن أن يكون وراء ذلك غير " أحفاد الفكر اليهودي " الحاقد الذي عشش في مدارس التبشير وجامعات الغرب وصحافة العدو الناطقة بالعربية تبثه أقلام الصليبية والصهيونية وتحتضنه عقول " المنهزمين " ومؤسسات المضبوعين ؟!

أما آن للأمة التي ضاعت ضحية الشعارات الجوفاء والأماني الزائفة أن تدرك أن " سياسة حماية الأقليات " التي كانت دول الاستعمار تتخذها ذريعة لاحتلال الأرض وهتك العرض لم تعد قائمة في ديارنا على المدفع الأهوج والطيارة المغرورة والحذاء المتغطرس .. ولكنها تبدلت سياسة جديدة تقوم على الكتاب منهاجاً ، والحزب حكومة منفذة ، والمعونات المالية للدول النامية طريقاً يبلغ به العدو عقول الناس وقلوبهم عبر المعدات الجائعة والأمعاء الخاوية والنفوس المريضة.

حقاً : " إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "!..

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس

الموضوع	الصفحة
هذا الكتاب .. لماذا ؟	٥
الفصل الأول: مسؤولية الحكم بين مفهوم الكهنوت ومفهوم الإسلام	٢١
الفصل الثاني: فصل الدين عن الدولة ضلالة مستوردة	٥٧
الفصل الثالث: الرجعية والتقدمية بين الإسلام وخصومه	١٠٣
الفصل الرابع: انتصار العلمانية على الخرافة لا على الدين	١٥١
الفصل الخامس: اليمين واليسار دوامة الضياع للجيل العربي الحائر ..	١٨٩
الفصل السادس: الإسلام دون سواه طريق الوحدة والمجد	٢٢٥

دار الضياء للنشر والتوزيع

صاحبة الحق الوحيد في نشر مؤلفات

معالي الأستاذ الكبير

يوسف العظم

بموجب عقد مبرم معه

وقد أصدرت حتى الآن الكتب التالية:

- الأعمال الشعرية الكاملة.
- مذكرات ثلاثة أرباع قرن.
- المنهزمون : دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة.
- رائد الفكر الإسلامي المعاصر : الشهيد سيد قطب : حياته ومدرسته وآثاره

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المنهزمون

دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة

ISBN 9957-05-144-X (ردمك)